فنان حسن يوسف: لا نعادي الفنون... لكننا ضد الإباحية

العدد ٤٢٨ ـ السنة ٣٨ - ربيع الآخر ١٤٢٢ هـ - يونيو/ يوليو ٢٠٠١ م

الوعي الإسلامي
إسلامية شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م
al-Waei al-Islami

متى ينتهي الصراع بين رموز الفكر الإسلامي وصُناع القرار

قضية القدس ومحاولة تهويدها

الضوابط الشرعية لإجراء التجارب على الحيوانات

هديتك مع العدد

اشتراككم في مجلة الوعي الإسلامي
دعم لمسيرة الفكر الإسلامي المعاصر

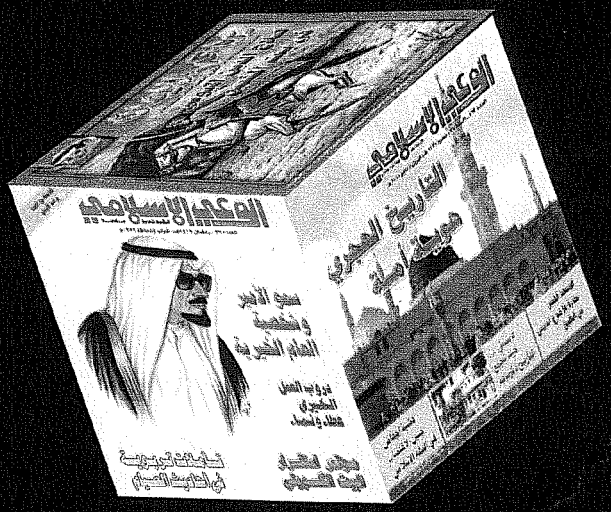

الوعي الإسلامي

شهرية جامعة إسلامية

al-Waei al-islami

ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت
هاتف : ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس : ٠٠٩٦٥٥٣٤٨٩٥٤
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 428 - السنة الثامنة والثلاثون - ربيع الآخر 1422 هـ - يونيو / يوليو 2001 م

موضوع الغلاف

حفلت الندوة الثقافية التي نظمتها لجنة العمارة بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، بالكثير من المشاركات القيِّمة من قِبَل عدد من الباحثين المهتمين بتاريخ العمارة، والتي دارت حول «عمران القدس ومحاولات تهويدها».

كلمة العدد

المسلمون ومعركة الهوية

الإخوة القراء

حاولنا في هذا العدد التركيز على قضية مهمة تعاني منها مجتمعاتنا الإسلامية في واقعها المعاصر، ألا وهي قضية الأصالة والهوية، في ظل الغزو الفكري والثقافي اللذين يتعرض لها عالمنا الإسلامي. الأمر الذي يستدعي إنهاء الصراع بين رموز الفكر الإسلامي، وصناع القرار السياسي وبذلك يتسنى للأمة بكل شرائحها وتياراتها مواجهة التحديات التي تقف عقبة في طريق تقدمها ونهضتها وازدهارها، كما أننا لا ننسى القضية الفلسطينية التي تمر في أصعب مراحلها حيث تواجه انتفاضة الأقصى وهي تدخل شهرها التاسع. الآلة العسكرية الصهيونية بكل صلفها وجبروتها، ومن ثمَّ تعرضنا لموضوع عمران القدس ومحاولات تهويدها ومخططات الكيان الصهيوني الاقتصادية، وقضية فلسطين بين التأصيل الإسلامي والتأصيلات الأخرى، إضافة إلى ضرورة أسلمة القضية باعتبارها الطريق الوحيد للتحرير والنصر وتخليص الأقصى من دنس الصهاينة المجرمين •

الوعي الإسلامي

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

وكيل التوزيع شركة المنى للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف ٣ / ٤٨٣٤٩٢٢ فاكس: ٤٨٣٤٨٩٣
ص.ب ٤٢٤٨٠ الشويخ 70655 الكويت

مطابع السياسة - الكويت

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلسا
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الامارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان : ٥٠٠ بيسة
- الأردن : **دينار** واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريال
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٥٠ ليرة
- المغرب : ١٠ دراهم
- ليبيا : **دينار** واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله.
- اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف : ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦
٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الإشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم
مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

في هذا العدد

جاليات:

14 المسلمون الناطقون بالفرنسية

أوساط الكنيسة في فرنسا تعيش في قلق شديد بسبب انتشار الإسلام بسرعة في أوساط الفرنسيين الذين تعمق الشعور الإيماني في نفوسهم وباتوا متعطشين إلى فهم قيم الإسلام الروحية ومعانيه السامية.

أحكام:

26 تخليق الإدارة العمومية

تخليق الإدارة (دعمها بالأخلاق) في زمن استشرى فيه الفساد الإداري وتفاقم فيه التسيب الأخلاقي أمر في غاية الأهمية من أجل تقدم الدول وازدهارها.

إدارة:

20 الضوابط الشرعية لإجراء التجارب على الحيوانات

ضوابط إجراء التجارب على الحيوانات ينبغي أن تكون محكومة بالشريعة الإسلامية، لأن إطلاق التجارب بلا ضوابط سيعمل على تفشي الأوبئة وبث السموم في أرجاء الأرض.

الفهرس

٣	كلمة العدد: المسلمون ومعركة الهوية	التحرير
٥	الافتتاحية: تشجيع السياحة البينية الإسلامية أمر مطلوب	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	للكويت تجربة رائدة ومثال يحتذى في محاربة الفقر	عبدالله متولي
١٢	السلطان قابوس يفتتح أكبر جامع في سلطنة عمان	التحرير
١٤	جاليات: المسلمون الناطقون بالفرنسية وموقفهم من معاني القرآن	د.ماهر خلف
١٨	قضايا: متى ينتهي الصراع بين رموز الفكر الإسلامي وصناع القرار	د.محيي الدين عبدالحليم
٢٠	أحكام: الضوابط الشرعية لإجراء التجارب على الحيوانات	د.مصطفى عرجاوي
٢٤	قضايا فكرية: الأمة الإسلامية وواجب البحث عن سبيل انعتاقها الفكري والحضاري	إبراهيم نويري
٢٦	إدارة: تخليق الإدارة العمومية في المنظور الإسلامي ٢/١	د.حسن عزوزي
٣٠	ملف القدس: عمران القدس ومحاولات تهويدها	محمد مروان مراد
٣٤	قضية فلسطين بين التأصيل الإسلامي والتأصيلات الأخرى	غازي التوبة
٣٩	مخططات إسرائيل الاقتصادية	د.زيد محمد الرماني
٤١	شعر: أمة عجيبة	أحمد حسن القضاة
٤٢	دراسات مظاهر الغزو الفكري في العالم الإسلامي	إدريس الكنبوري
٤٦	حوار: مع الفنان حسن يوسف	محمد عبدالشافي القوصي
٤٨	تراجم: دفع الافتراء والتهم عن ابن جليل الحافظ العلم	د.حمد شرشال
٥١	قصة: حزمة المال	د.طارق البكري
٥٢	دعوة: بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها	د.محمد البيانوني
٥٤	فقه: ظهور المذاهب الفقهية	د.محمد نجيب عوضين
٥٦	فقه: الآثار الفقهية للمزاح	د.حسن عبدالغني أبوغدة
٥٧	ثقافة: الثقافة والهوية أيهما يشخّص الآخر؟	د.حسن الوراكلي
٦٠	تربية: القلوب وعلاجها	د.محمد محمود متولي
٦٢	دراسة قرآنية: المجاز في القرآن الكريم	عبدالهادي صاقي
٦٤	علوم: منتجات النحل صيدلية ربانية	د.خالد سعد النجار
٦٨	البيت المسلم: الرسالة الحضارية للأسرة المسلمة	د.محمد بنعزوز
٧٢	حتى لا يضيع الحلم	منى السعيد الشريف
٧٣	حجر في قاع النهر	مروى عابد
٧٤	أنيميا نقص الحديد عند السيدات	د.محمد مصطفى السمري
٧٥	سعادة الأسرة تبدأ من الصلاة	نعيم نعيم السلاموني
٧٦	الطفل الموهوب كيف نكتشفه	د.عبدالرزاق السباعي
٧٨	إلى الفتاة المسلمة «شعر»	محمود محمد إبراهيم أحمد
٨٠	عصافير وأنياب (قصة)	علي محمد محاسنة
٨٢	تعزيز المشاركة بين البيت والمدرسة	محمود التجيري
٨٣	الوعي نت	تمام أحمد
٨٤	الإنترنت والأطفال - من يكبح جماح الإرهاب الإسرائيلي	عبدالمنعم أحمد
٨٦	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٨٨	نافذة على العالم	التحرير
٩٢	نافذة على الفكر	محمد هاتي
٩٥	اقتصاد إسلامي	عبدالكريم خليل
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	سلافة «مملكة العميان»	عبدالستار خليف

تشجيع السياحة البينية الإسلامية أمر مطلوب

الإسلام دين الفطرة السليمة، وقد راعى في توجيهاته وآدابه حظ النفس الإنسانية من الترويح. سواء باللهو المباح أو السفر والتجوال والسياحة في ملكوت الله ما يضفي على صاحبها ألواناً من الجدة والنشاط يدفعها إلى المزيد من العمل والعبادة ويكسبها مزيداً من المعارف والعلوم والثقافات.

ومع اقتراب فصل الصيف الذي يشجع على الحل والترحال ودخول موسم الإجازات يبدأ الناس في حزم حقائبهم استعداداً للسفر والسياحة. هذه الظاهرة وإن كانت مختلفة من بلد لآخر من حيث الحجم والضخامة إلا أنها باتت ظاهرة عامة تمس جميع الشرائح في أي مجتمع كان، بل أصبحت في عصرنا الحاضر ظاهرة اقتصادية واجتماعية يقوم صاحبها بأدوار عدة، وتؤدي وظائف عدة، وتشكل عاملاً رئيساً في الاقتصاد القومي ودفع عملية التنمية. شأنها في ذلك شأن بقية القطاعات الاقتصادية الأخرى.

وعلى سبيل المثال، نشرت جريدة الشرق الأوسط اللندنية مقالاً في عددها الصادر في ٢٠٠١/٥/٢٢م سلط الضوء على حجم السياحة في المملكة العربية السعودية، حيث ذكر: أن ثلاثة ملايين مواطن سعودي يستعدون للسفر إلى الخارج خلال هذا الصيف، وأن ما يؤرق المسؤولين السعوديين، أن هذا الأمر يسهم في خروج ما يزيد عن ٦,٧ مليار دولار سنوياً إلى خارج المملكة، وإذا كان هذا هو حجم السياحة في دولة واحدة من دول العالم الإسلامي، فما بالك في هذا بالنسبة للدول العربية والإسلامية مجتمعة؟ لا شك أن القضية في غاية الأهمية في عصر تسعى فيه كل دولة من دول العالم، سواء منفردة أو من خلال التكتلات الإقليمية والدولية التي تنتمي إليها . إلى تنشيط الحركة السياحية، ومن ثمَّ تحقيق المزيد من التنمية والرفاهية والازدهار.

إن عناصر السياحة وهياكلها الأساسية ومقوماتها موجودة، ولله الحمد في عالمنا الإسلامي، لما حباه الله من ثروة طبيعية خلابة قلَّ أن يوجد لها مثيل في العالم، كما أننا نملك تراثاً حضارياً زاخراً وفريداً، هو موضع جذب للسياح من مختلف أنحاء العالم، كل ما في الأمر أننا نحتاج إلى إعطاء السياحة في بلداننا الإسلامية بعض الرعاية والاهتمام، وتعريف الناس بها في إطار الآداب والقيم الإسلامية، وتوافر الخدمات الضرورية لها وتشجيع الاستثمار في مجالاتها المختلفة.

إن تشجيع السياحة البينية الإسلامية أمر في غاية الأهمية، كما أنه ضرورة تحتمها الوقائع والتحولات الاجتماعية والثروة في مجال النقل والمواصلات والمعلومات، بذلك نستطيع أن نحقق جملة من الأهداف والفوائد أبرزها:

- توفير البلايين من الدولارات التي تذهب هدراً إلى خزائن الدول الأجنبية بدل أن تستقر داخل البلدان الإسلامية.
- الإسهام في تنمية المجتمعات الإسلامية وتعزيز أواصر التبادل الفكري والثقافي بينها.
- تجنب الكثير من المحاذير والأمراض الخبيثة الناتجة من السياحة في الدول الأجنبية، فالتقارير الصادرة عن وزارات الصحة في الدول العربية والإسلامية تشهد بذلك.

وكلنا أمل أن تلقى دعوتنا هذه تجاوباً وقبولاً لدى حكومات العالمين العربي والإسلامي، حتى نثبت لشعوب العالم أننا أمة لها هويتها وأصالتها تميزها بين الأمم. والله من وراء القصد ●

رئيس التحرير

ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي، وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

لماذا.....
أصبحنا أهون الأمم؟!

أحزنني ما حدث للمسجد البابري في الهند والذي يعد جزءاً من التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، وتمنيت أن يكون للمسلمين صوت يعلو، ويد تتحرك لدفع هذا الظلم والفساد عن آثارنا ودينا، ولكن للأسف، فإن العالم يثور لتحطيم تماثيل بوذا في أفغانستان، ويصمت عن القتل والتخريب والتعذيب للمسلمين في كل مكان، وما هُنَّا على العالم إلا لهوان ديننا علينا، فأصبحنا أهون الأمم.

وللفاروق عمر بن الخطاب مقولة لو تدبَّرناها لعرفنا طريقنا، فقد قال: «كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، ولو ابتغينا العزة في غيره لأذلنا الله».

ندعو الرحمن أن يعزنا ولا يذلنا لأحد غيره سبحانه وتعالى.

د. تامر إبراهيم السيد - مصر

لماذا نحن أمة ممزقة؟

سؤال يدعو إلى الأسى والحزن، ولكنها وبكل أسف الحقيقة التي لا يدخلها أدنى شك، والأدلة على ذلك أكثر من أن تُحصى، على سبيل المثال، ماذا فعلت الدول الإسلامية للمسلمين في البوسنة والهرسك، وبعده في كوسوفا، وفي الشيشان، وفي كشمير، وفي الفلبين، وفي بورما، وفي أماكن كثيرة في العالم، لا شيء، لأننا كما أخبر الرسول ﷺ عنَّا «غثاء كغثاء السيل».

إن الدول الإسلامية بعدت عن المنهج الإسلامي، فكان الجزاء من جنس العمل يتلاعب بها اللئام في المحافل الدولية، والدليل على ذلك، نشأة إسرائيل، والأدهى والأمرُّ أننا أصبحنا نخطب ودها لأنها الأقوى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ونستجدي منها السلام الذي لن يكون، وهذه حقيقة أيضاً لا يدخلها أدنى شك. اقرأ تاريخ اليهود المشين، لتعلم أن الغدر والخيانة وإشعال الفتن واحتكار الآخرين والعنصرية ونقض العهود هي طباع هذه الشرذمة الخبيثة التي جبلوا عليها ●

العدل الغنيمي - مصر

سيرة آدمي

الطابق الأول: لما اكتمل فعل خلقي نزلت... لم أحتمل دنياكم فصرخت... في خرقة بيضاء لففت... وبحليب دافئ غُذيت... بين والدين رحيمين وضعت... أردت الحراك. فحبوت... نمت أطرافي... مشيت... نما عقلي حيناً فدرست... تفوقت... تخرجت ثم تسكعت... فتح لي باب رزق فرضيت... قالوا أكمل دينك فتزوجت... واملأ بيتك فأنجبت... بين الأبناء والأعباء كم تعبت... لما اجتاحني الهرم تساءلت... هل استعدت الفأس... هلا قضيت.

الطابق الثاني: لما اكتمل بسط رزقي ودعت... لم أحتمل دنياكم فرحلت... في خرقة بيضاء لففت وبماء دافئ غُسلت... بين صخور صهباء وضعت... أردت الحراك ما استطعت... تجمدت أطرافي... تفتت... تاه عقلي حين سئلت... صمتُّ... ترددت ثم أجبت... فتح لي باب مصير فشاهدت... قالوا أكمل برزخك فانتظرت واملأ سمعك فما فهمت.... بين الاحمرار والاصفرار كم تلونت... لما أضناني الانتظار تساءلت... قد شاب الرأس... هلا بعثت.

الطابق الأخير: لما اكتمل نفخ الصور بعثت... لم أحتمل صداه ففزعت... في خرقة ذنوبي لففت... وبعرق دافئ غُمرت... بين أناس عرايا وضعت... أردت الحراك فتحركت... ارتعشت قدماي فتعثرت... عاد عقلي حيناً فتذكرت... جريت... تدافعت ثم توقفت... فتح لي باب كتاب فقرأت... قالوا أكمل قراءته فأذعنت... واملأ فراغه فما وجدت... بين الخوف والرجاء كم تقلَّبت... لما أعياني النشيج تساءلت... هل نجا الناس... هل نجوت ●

شعيب لكراكشي - المغرب

ردود خاصة

● المصطفى طايل - المغرب:
يمكنكم مراسلة جامعة الكويت للحصول على شروط الالتحاق بالجامعة وشكراً لكم.

● الأخ يوسف الصيبي - سلطنة عُمان:
يمكنكم الحصول على الكتاب الأول من وزارة العدل القطرية، أما الكتاب الثاني فيمكنكم مراسلة منظمة «الايسيسكو» على عنوانها:
حي الرياض - ص.ب: ٢٢٧٥ - الرمز البريدي: ١٠١٠٤ - الرباط - المملكة المغربية.
الموقع على الإنترنت:
JRL: Http: //www.isesco.org.ma

● الأخ رضا محمد شعبان - مصر:
قدومكم للكويت من أجل العمل في المجلة أمر خارج عن إرادتنا، يمكنكم إرسال المواد الصحفية التي تتناسب ومنهج المجلة ليصار إلى تقويمها ونشرها إن كانت صالحة، وجزاكم الله كل خير.

تصويب

وصلنا مع الشكر والامتنان العدد رقم ٤٢٣ وتصفحناه فوجدنا كل ما سرنا، غير أننا لاحظنا في الصفحة ١٨ في موضوع (يوم العرض الأكبر) في السطر رقم ١٣ عدم وجود كلمة (الخالية) في الآية الكريمة: (بما أسلفتم في الأيام الخالية)، وجل من لا يسهو: ويهمنا جداً أن يتنبه الإخوة القراء لهذا الخطأ غير المقصود، وبارك الله فيكم.

أحمد عبدالله علي - اليمن

عثرات على الطريق

لم تتطور أنماط الإعلام الإسلامي في عصرنا الحديث بما يوائم قضايا أمتنا، بل ظلت أغلب أجهزة الاتصال ذات الخطاب الديني تراوح مكانها وعجزت عن المطاوعة والمثابرة، فيما قفزت الوسائل الأخرى، تقنياً وفكرياً، وتعدت حدود المنافسة في كثير من الأحيان.

وقد يكون مفهوماً بكثير من الواقعية ضعف الإيقاع الإعلامي الإسلامي بسبب جملة من الضوابط المتحكمة في أنفاس هذا الإعلام، فضلاً عن وجود أخطاء منهجية وعملية، إلى انحسار المد المطلوب للرجل الإعلامي المسلم، لما يوحيه نبض هذا الفن الصحفي من جمهورية لم تتوافر إلا عند قلة محدودة من العاملين فيما تفقد نوعية الخطاب حوافز الجذب المطلوبة وبريق الإثارة المنشود.

نحن لا نريد التلاعب بعواطف الجماهير، وليس هذا بحد ذاته هو هدف الإعلام الإسلامي، لكن إذا لم يكن للإعلام لون ورائحة، وقدرة على تشكيل رأي عام حر مستقل قادر على ارتياد منابر الحق والفضيلة لما كان هنالك ضرورة لوجود هذا الإعلام أو من يمثله لأننا إن لم نضع ما هو جدير بالاحترام وإثبات الذات، وفرض النفس على الآخرين بقوة ودون ضعف أو وجل، ستكون مهمتنا فاشلة وقضيتنا خاسرة... وعدل القول يفرض رفع القلم وخفض الجناح تقديراً لمسيرة الإعلام الإسلامي رغم كل العقبات ●

د.طارق البكري - دكتوراة في الإعلام الإسلام

ذكرى المولد النبوي

الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف عمل من الأعمال الجليلة ومظهر من المظاهر الطيبة وبرهان يتجلى فيه حب هذه الأمة لنبيها وتعلقها برسولها الكريم صلى الله عليه وسلم.

إن الاحتفال بذكرى المولد فرصة من أسعد الفرص، نذكر فيها تاريخ النبي الكريم وسيرة الرسول الأمين، ونقف منها على كثير من أقواله وأعماله وآثاره - الاحتفال حلقة اتصال بين الأجيال الماضية والحاضرة، ومرآة تتجلى فيها الحوادث الدارسة واضحة ناطقة ومجمع يلم شعث المسلمين ويجمع شتات المؤمنين - لو أردنا أن يكون الاحتفال رائعاً لوجهنا، أحسن وجهة، وقصدنا به خير قصد، فلا رياء ولا مباهاة، ولا غلو ولا سرف، إنما دروس في السيرة المطهرة ومحاضرات في السنة ●

مصطفى محمد سليمان المراغي - مصر

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

سبحانك ربي خلقت الكون، وأحسنت خلقه، وسخرته لبني آدم، وهيأت له كل متطلبات الحياة من هواء وشمس وماء، وحتى يستقر هذا الكون تحكمت فيه بقوانين إلهية، وأنت الحامي له من فوق سبع سموات بمجرد قولك للشيء كن فيكون، وها هو عبدك الذي استأمنته عليه يريد أن يغيِّر الخلق ويفسد في الأرض. إن هذا المخلوق الضعيف يتحدى خالقه ويظن أنه يسيطر على هذا الكون بالعلم، صحيح أن التقدم العلمي ضروري ومحمود، لكن لابد من ضوابط شرعية يقف عندها كل باحث، لأن الشيء إذا زاد على حده انقلب إلى ضده، كيف سوَّلت لهؤلاء أنفسهم استغلال لحم الميتة كغذاء يعطى بلا حياء! إذ إنهم يحولون لحوم الحيوانات الميتة التي كان من المفروض أن تدفن - إلى أغذية كمياوية تعطى إلى المواشي والدواجن ها هي النتيجة تظهر جلية في مرض جنون البقر والديكسين والحمى القلاعية وغير ذلك. إلا أنهم نسوا بأن المستهلك الأول لهذه الحيوانات هو الإنسان الذي سيصبح بطريقة غير مباشرة آكلاً للميتة، وإن هذه الأخيرة كما هو معلوم تصيب الحيوانات بأمراض خطيرة، وبالتالي تنتقل العدوى إلى الإنسان، وينطبق على ما سبق الآية الكريمة: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) ●

علي نجم - المغرب

هل يتعرض العرب والمسلمون للابتزاز؟

الابتزاز الدولي الآن أصبح ظاهرة دولية تغزو العالم العربي والإسلامي وبشكل وقح وقذر كل ذلك من أجل الاستيلاء على ثروات الشعوب بأساليب رخيصة. والآن هل يقف العالم الإسلامي والعربي إزاء هذا الابتزاز الذي تتعرض له أكثر الشعوب العربية والإسلامية؟... هل يرفع الحصار عن الشعوب المظلومة في الوطن العربي والإسلامي؟ إننا نطالب الرأي العام العالمي والحكومات المؤثرة ومجلس الأمن والأمم المتحدة إلى أن تكفَّ عن هذه المظالم التي ترتكب ضد الشعوب العربية والإسلامية، وبخاصة في فلسطين والبلقان وجميع الأقطار الإسلامية المغلوبة على أمرها والتي مازالت مستمرة حتى الآن... إن على الأمم المتحدة أن تتحمل المسؤولية إزاء ما يحدث من حصار لشعوب بريئة ترتبت عليها أضرار بالغة تحت سمع وبصر الشرعية الدولية... وكم من الجرائم التي ترتكب باسم الشرعية الدولية ●

محمد عامر - مصر

بقلم: عبدالله متولي

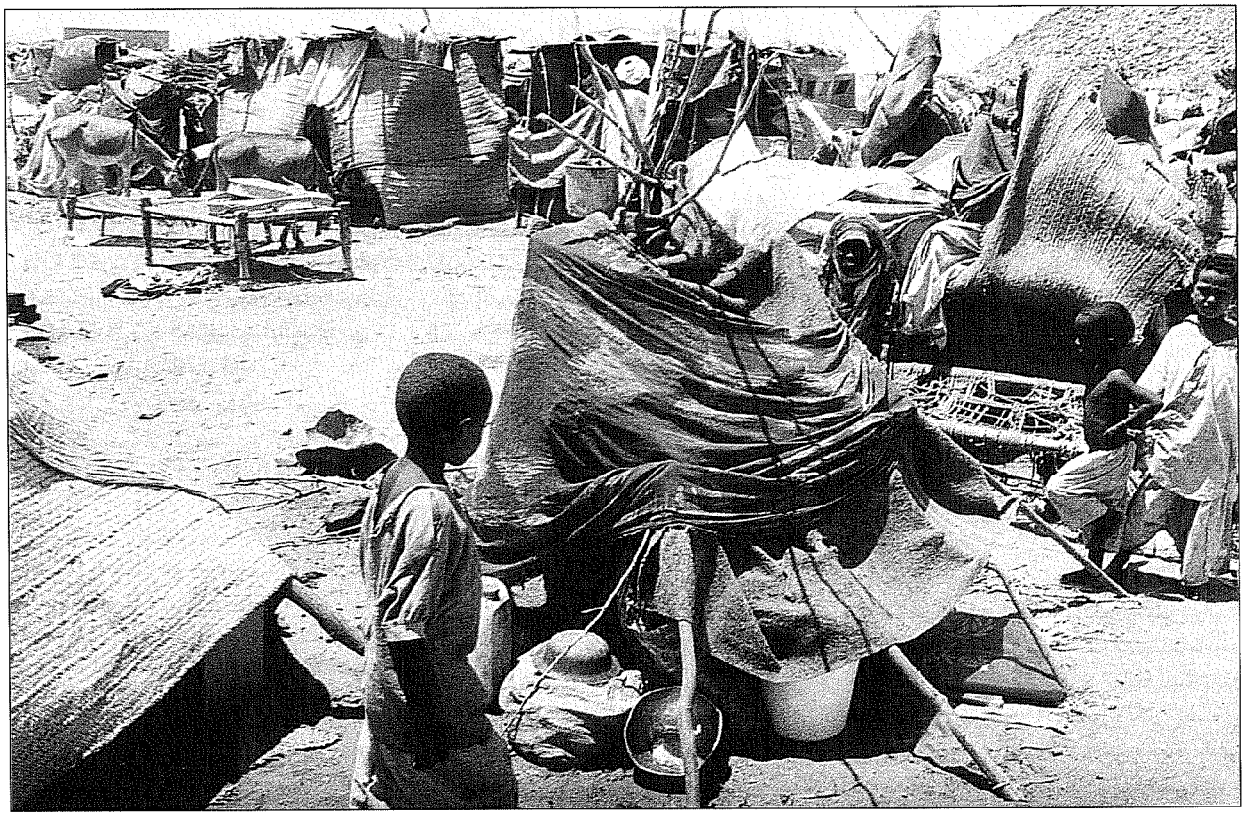

● آثار المجاعة ليست في حاجة إلى تعليق ●

للكويت تجربة رائدة ومثال يحتذى

الفقر... آفة مدمرة يجب محاصرتها بحلول جذرية

يعتبر الفقر من أخطر المشاكل التي تعاني منها بعض دول العالم الإسلامي، وتهدد أمنها وسلامتها، وذلك نتيجة لعدم قدرة هذه الدول على استغلال مواردها الطبيعية على الوجه الأمثل، أو نتيجة للكوارث الطبيعية التي تتعرض لها من حين إلى آخر ولأسباب أخرى كثيرة.

نتج من كل ذلك معاناة هذه الدول من آثار الفقر وأضراره سواء أكان ذلك على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة، وشعور هذه الدول بالحاجة الدائمة إلى المعونة والمساعدة من الأطراف المحيطة بها.

وللإسلام مواقفه الرائعة، وسياسته الحكيمة الرائدة من مواجهة ومعالجة هذه المشكلة والقضاء على جذورها وأسبابها حتى لا تستغل كسلاح من الدول الغنية

أعلن الإسلام الحرب على الفقر وشدد عليه الحصار درءاً لأخطاره

للتحكم والسيطرة على الدول الفقيرة واستعبادها في معظم جوانب الحياة.

الفقر والعقيدة

الفقر من أخطر الآفات على العقيدة، وبخاصة الفقر المدقع الذي يصاحبه ثراء فاحش، خصوصاً إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف الثري هو القاعد، فالفقر حينئذ يكون مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون، والارتياب في عدالة التوزيع الإلهي، وبالتالي، فإن الفقر إن لم يصاحبه إيمان قوي وثقة كاملة بعدالة الخالق وحكمته في توزيع الرزق، فإنه قد

يؤدي بصاحبه إلى التهلكة وضعف العقيدة وتشتتها، فالله سبحانه وتعالى كما يبتلي الإنسان بالغنى والثراء قد يبتليه بالفقر والحاجة. قال تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) الأنبياء:٣٥. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ في دعائه من شر الفقر مقترناً بالكفر، فكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر».

الفقر والأخلاق

الفقير المحروم كثيراً ما يدفعه بؤسه وحرمانه إلى سلوك ما تأباه الفضيلة والخلق الكريم من سرقة ورشوة وتزوير ونصب، وزنى وقتل وغير ذلك من الجرائم التي نهى عنها الإسلام. ومن ثمَّ فإن الفقر يعتبر من الأسباب المؤدية إلى الفساد الاجتماعي والأخلاقي.

الفقر والفكر

من المؤكد أن الفقر من العوامل المؤثرة تأثيراً مباشراً في فكر الإنسان، فالفقير الذي لا يجد ضرورات الحياة وحاجاتها لنفسه وأهله وولده، قد لا يستطيع أن يفكر تفكيراً دقيقاً، وكيف يفكر وهو مشتت الذهن مشغول البال؟ فلا يكون حكمه سديداً فيما يعرض عليه من أمور.

الفقر والأسرة

والفقر خطر على الأسرة من نواح عدة، ففي تكوينها نجده مانعاً من أكبر المُوانع التي تحول بين الشباب وبين الزواج ومسؤولياته، ولهذا أوصى الإسلام أمثال هؤلاء بالعفاف والصبر حتى تواتيهم القدرة الاقتصادية، قال تعالى: (وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله) النور:٣٣.

كما نرى أن بعض الناس يعرضون عن تزويج فتياتهم من راغب الزواج إذا كان رقيق الحال قليل المال، وهو داء قديم عرض له القرآن الكريم، ونصح الآباء أن يعدلوا موازينهم في اختيار الرجال ويقوموهم بالصلاح لا بالمال وحده، قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) النور:٣٢. كما أن الفقر قد يؤدي إلى التفريق بين المرء وزوجه على كرهٍ منه، وربما على كرهٍ منها.

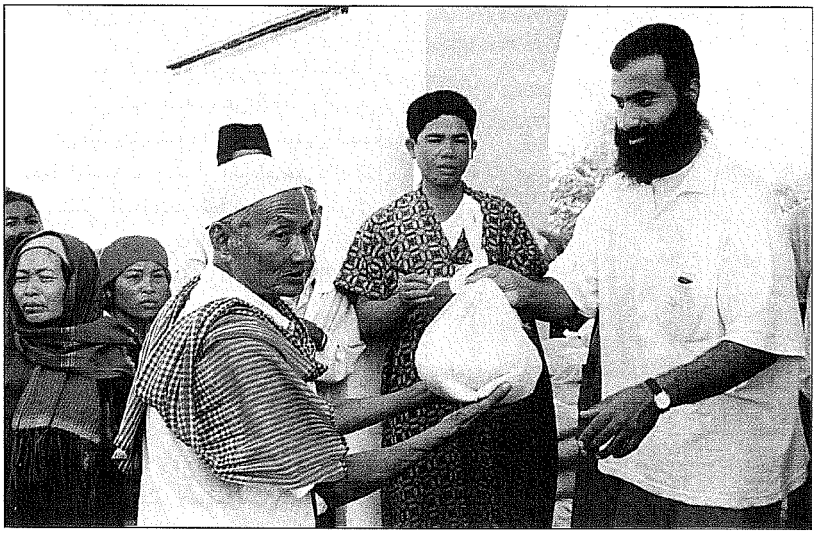

● العطاء الكويتي في كل مكان ●

وفي العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة نجد الفقر كثيراً ما يكدر صفاءها، بل قد يمزق أواصر المحبة بينها، وقد سجل القرآن حقيقة تاريخية رهيبة هي أن بعض الآباء قتلوا أولادهم تحت وطأة الفقر أو خشية منه، فأنكر القرآن الكريم هذا الأمر إنكاراً شديداً، وحذَّر منه أبلغ تحذير، قال تعالى: (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام:١٥١، وقال تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) الإسراء:٣١.

الفقر والاستقرار

فالفقر خطر على أمن المجتمع وسلامته واستقرار أوضاعه، فقد يؤدي إلى انتشار البطالة بين أفراد المجتمع، وإثارة الحقد والكراهية في نفوس الناس فيُحدث الفتن والاضطرابات، ويقوض أركان المحبة والإخاء بينهم. كما أن للفقر أخطاراً سيئة على الصحة العامة لما يتبعه عادة من سوء التغذية، وسوء السكن، وسوء الصحة النفسية، ولما يلازمه عادة من الضجر والتبرم والقلق والسخط وفي ذلك كله خطر على إنتاج واقتصاد الدول.

الحرمان قد يدفع بصاحبه إلى سلوكيات تأباها الفضيلة والخلق الكريم

وسائل العلاج

أعلن الإسلام الحرب على الفقر وشدد عليه الحصار، ورصد له كل مرصد، درءاً لخطره على العقيدة وعلى الأخلاق والسلوك، وحفظاً للأسرة، وصوناً للمجتمع، وعملاً على استقراره وتماسكه وسيادة روح الإخاء بين أبنائه، فلا يجوز في نظر الإسلام أن يعيش فرد في مجتمع إسلامي ولو كان من أهل الذمة جائعاً أو عارياً أو مشرداً أو محروماً من المأوى أو من الزواج وتكوين الأسرة، ولذلك قام الإسلام بإقرار الكثير من الوسائل التي تعالج الفقر وتكفل المعيشة اللائقة لأبنائه ومن هذه الوسائل:

١ ـ العمل: فقد طالب الإسلام كل إنسان في المجتمع المسلم أن يعمل، وهو يعيش في الأرض ويأكل من رزق الله تعالى، قال تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه

النشور) الملك:١٥.

وقد عالج الإسلام البواعث والمعوقات جميعها التي تثبط الناس عن العمل والسعي، وقرر أن التوكل على الله لا ينافي العمل واتخاذ الأسباب، وشعار المسلم في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «اعقلها وتوكل»، ومن الناس من يترك العمل بحجة التبتل والانقطاع للعبادة، وهؤلاء علَّمهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا رهبانية في الإسلام، فقال: «ما أكل آدمي طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده».

أما الذين يتركون العمل استهانة به واحتقاراً له، فقد رفع الإسلام قيمة العمل، فقال صلى الله عليه وسلم: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

أما الذين يدعون العمل اعتماداً على أموال الزكاة والصدقات، فقد بيَّن الإسلام أن هؤلاء ليس لهم حق فيها، كما جاء في الحديث الشريف: «لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

ومن الناس من يدع العمل عجزاً عن تدبير عمل لنفسه مع قدرته وقلة حيلته، فهكذا أوجب الإسلام على أفراد المجتمع أن يعاونوه في ذلك، وأولو الأمر بخاصة..

٢ ـ كفالة الأقارب: أكد الإسلام حق ذوي القربى في الإعالة والنفقة، وحضَّ على صلتهم والإحسان إليهم، وتوعَّد من قطع رحمه بالعذاب الشديد، فقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»، ولم يقرر الإسلام لهذه النفقة التي فرضها على القريب حداً معلوماً من المال لاختلاف حال الناس باختلاف الزمان والمكان، قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته» الطلاق:٧.

٣ ـ الزكاة: أمر الإسلام المسلمين بإيتاء الزكاة، قال تعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة:٤٣، كما أمر ولي الأمر بأخذ هذه الضريبة تطهيراً وتزكية لأصحاب الأموال، وإنقاذاً للفئات المحتاجة حتى يسود التكافل والعدل بين أبناء المجتمع المسلم.

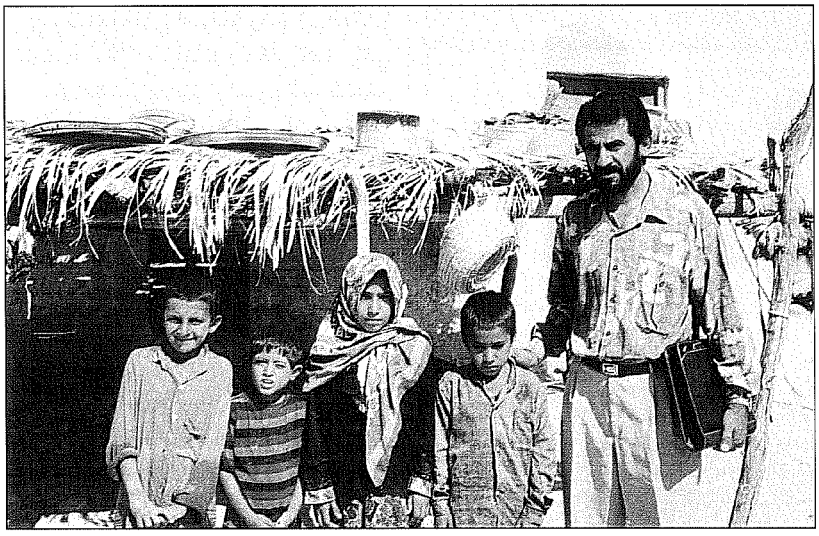

● ... وكفالة أيتام ●

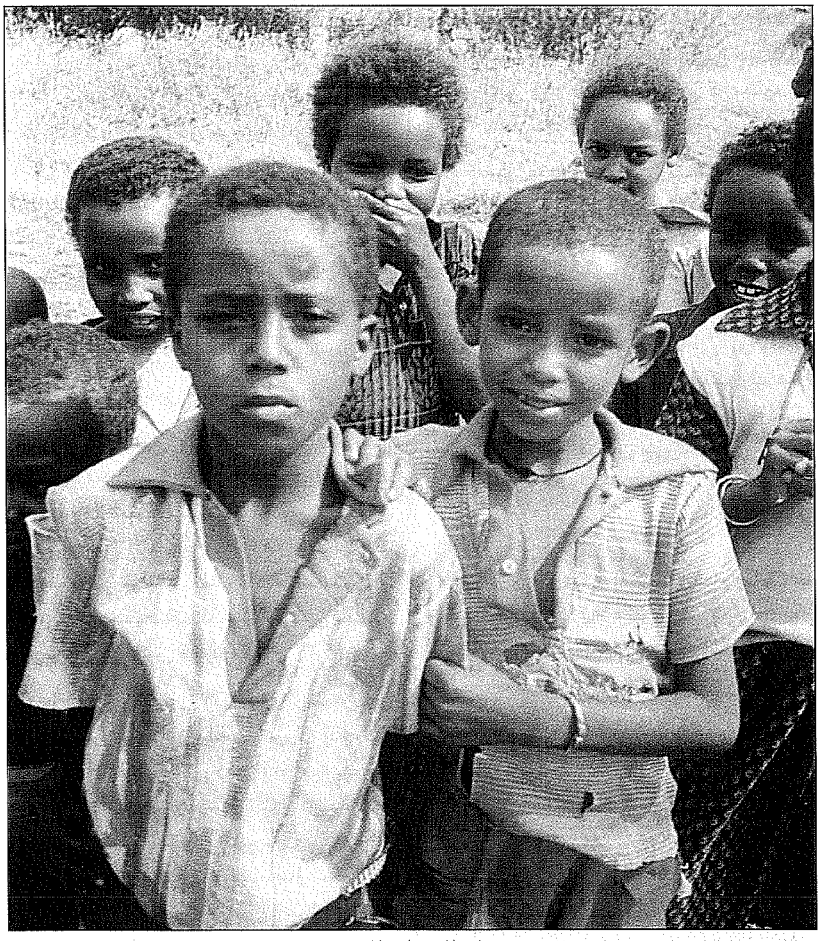

● في انتظار عطف المحسنين ●

فالزكاة بالنسبة للأصناف المستحقة لها معونة دائمة منتظمة حتى يزول الفقر بالغنى، ويزول العجز بالقدرة، أو تزول البطالة بالكسب.

إضافة إلى الزكاة، فقد أوجب الإسلام مجموعة من الحقوق المالية على المسلم بأسباب وملابسات شتى كلها موارد لإغاثة الفقراء، ومطاردة الفقر في دار الإسلام ومنها: الأضحية، والكفارات، والهدي في الحج والعمرة، وفدية الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يُرجى برؤه ممن يعجزون عن الصيام في شهر رمضان، وكذلك الحامل والمرضع.

٤ ـ الصدقات: إلى جانب الحقوق حرص الإسلام على تكوين النفس الخيِّرة المعطية الباذلة، قال تعالى: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) البقرة:٢٦١.

وكان من أهم ما رغَّب فيه الإسلام الصدقة الجارية، لأن نفعها دائم، وأثرها باق لصاحبها بعد موته ما بقي نفعها.

ومن خلال ما تقدم، عالج الإسلام مشكلة الفقر، وسد جميع منافذها، ومن واجب العالم الإسلامي اليوم أن يستعين بهذه الوسائل للقضاء على مشكلة الفقر، حيث وجدت في بلاد الإسلام، وبالتالي القضاء على أخطاره ومضاره.

وتأتي دولة الكويت على رأس الدول التي تهتم بأحوال المسلمين في البلدان التي تعاني الفقر والمجاعة، بما تقدمه من مساعدات متواصلة سواء عن طريق الدولة أو من خلال اللجان الخيرية المتعددة العاملة في هذا المجال، وفي مقدم هذه اللجان بيت الزكاة الكويتي الذي تدعمه الدولة لهذا الغرض، في جميع أنحاء العالم، فلا توجد مجاعة أو مناطق منكوبة، أو ظروف اقتصادية سيئة، إلا وتجد أيادٍ كويتية تمتد بالعطاء لإغاثة المنكوبين، ومساعدة المحتاجين، ورفع المعاناة عن البائسين، ضاربة بذلك أروع الأمثلة في البذل والعطاء، وهذا ما يسهم بشكل فاعل في تحقيق أهداف الدعوة، ويجسد طموحات المسلمين ـ وبخاصة المنكوبون والفقراء منهم ـ في العمل الخيري ويبعث الأمل في نفوسهم. كما أن الدور الذي تقوم به الكويت في هذا المجال يعتبر تجربة جادة ومثالاً يُحتذى، ودعوة إلى تحويل العمل الخيري من عمل فردي مشتت إلى عمل مؤسسي وجماعي منظَّم.

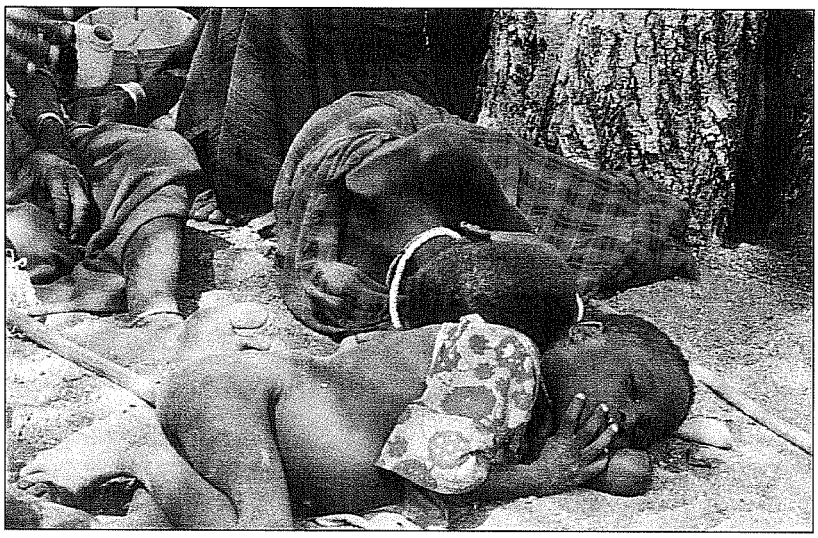

● أين القلوب الرحيمة...؟ ●

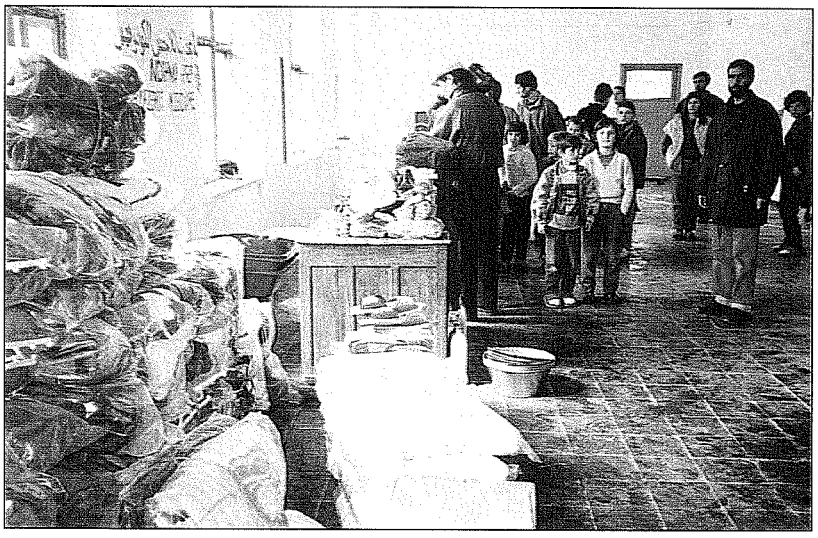

● مساعدات كويتية للاجئين ●

ولم يأتِ ذلك من فراغ، فقد برزت الكويت كواحدة من أكثر بلدان العالم حباً للعمل الخيري والتطوعي، محققة بذلك معنى الأخوة التي أمرنا بها الإسلام، هذه الحقيقة التي يجسدها القرآن الكريم في قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) الحجرات آية ١٠، ويجسدها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

فهل تعلَّمنا من تجربة الكويت، وهل اتخذناها مثلاً وقدوة لنا في تحقيق الأخوة ومحاربة الفقر؟! ●

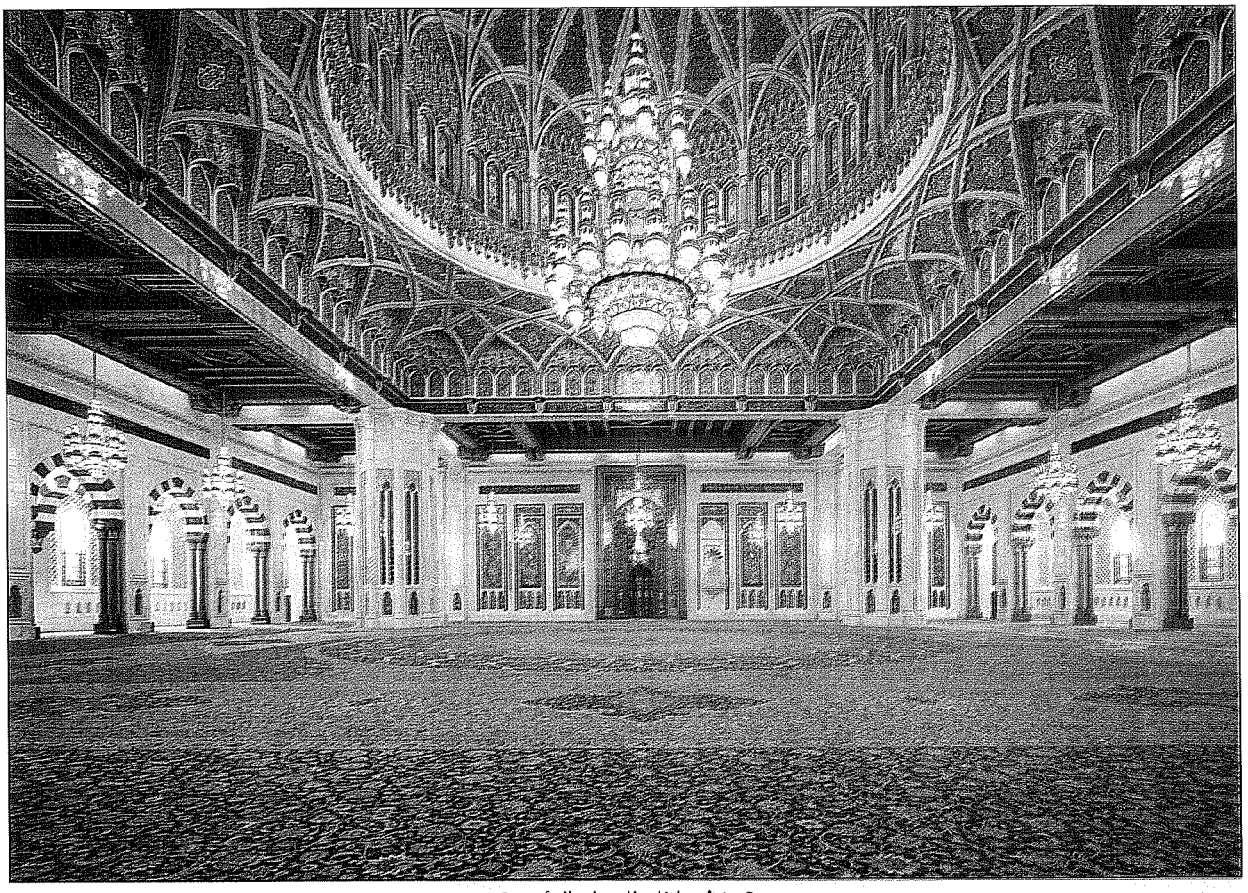

● منظر داخلي للمصلى الرئيس ●

السلطان قابوس يفتتح أكبر جامع في عمان

الجامع مركز إسلامي متكامل ومنبر للدعوة الإسلامية

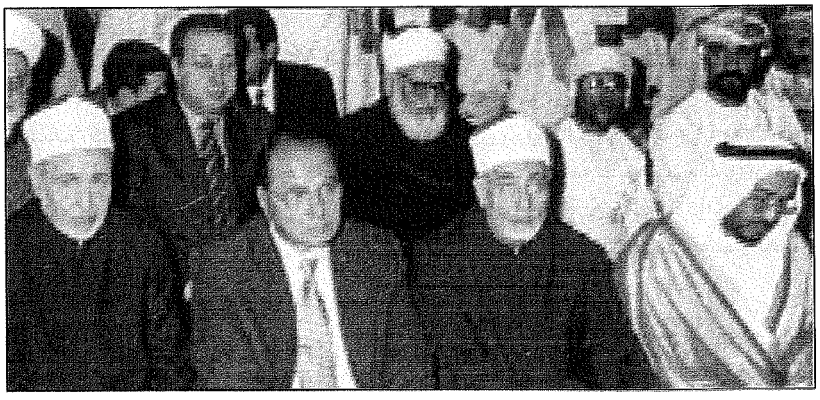

● كبار الحضور ●

افتتح سلطان عُمان السلطان قابوس ابن سعيد يوم ٢٠٠١/٥/٤م جامع السلطان قابوس الأكبر الذي بلغت تكلفته الإجمالية أكثر من ٢٥ مليون ريال عماني (١٢,٥ مليون دولار) بحضور كبار المسؤولين العُمانيين ووفود إسلامية واسعة.

ورحب سلطان عُمان في كلمته خلال الافتتاح بضيوف السلطنة الذين حضروا للمشاركة في افتتاح الجامع، معرباً عن تقديره لهم وسعادته بلقائهم واعتزازه بمشاركتهم.

وأضاف: «إنها مناسبة سعيدة أن نجتمع هنا لنحتفل معاً بافتتاح هذا المسجد المبارك الذي

نبتهل إلى الله خاشعين مخبتين أن يكون أسس على التقوى وأُرسيت قواعده على الهدى ورفعت أركانه على حب الله ورسوله».

ويتسع الجامع لأكثر من ٢٠ ألف مصل، والذي استمر بناؤه ست سنوات، واقتبس تصميمه من حضارة الأندلس وشمال أفريقيا، وشبه الجزيرة العربية والشرق.

وقد فرشت قاعة الجامع بسجادة أعجمية مصنوعة باليد من الصوف الخالص وتعد الأكبر على مستوى العالم، حيث تبلغ مساحتها ٤٢٦٤ متراً مربعاً، ودامت حياكتها أربع سنوات متواصلة في إيران.

كما يضم الجامع مركز السلطان قابوس للثقافة الإسلامية بمرافقه التعليمية الخاصة، ومكتبة ومكوّنة من ثلاثة طوابق تضم أكثر من ٢٠ ألف مجلّد مرجعي في شتى العلوم الثقافية والإسلامية والإنسانية، وقاعات للاجتماعات والندوات تتسع لـ٣٠٠ شخص. وقد مثّل دولة الكويت في افتتاح الجامع وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر.

السجادة العجيبة

إحدى مقومات التصميم الداخلي وهي السجادة العجمية التي تفرش بلاط المصلى وهي قطعة واحدة تبلغ أبعادها أكثر من ٦٠ × ٧٠ متراً مربعاً. والسجادة مؤلفة من ١٧٠٠ مليون عقدة وتزن ٢١ طناً، كما إن رقة وتعقيد نسيجها الرفيع يعود إلى جودة عقدتها التي تصل إلى ٤٠ عقدة في كل ٦,٥ سنتيمترا، واستمرت صناعة وإنتاج السجادة مدة أربع سنوات، دام منها ١٥ شهراً لإعداد التصاميم والخيوط والصباغة وإقامة ورش الحياكة الخاصة بها، أما عملية الحياكة فقد استمرت ٢٧ شهراً متواصلاً تبعتها فترة ٥ أشهر للإنهاء والقطع والغسيل التقليدي، وعدد القطع المؤلفة منها السجادة ٥٧ قطعة، زائد السجادة الخاصة بالمحراب والمتصلة بها. وتمت عملية تجميع وضبط التوصيل والحياكة لأطراف وحواشي السجادة داخل قاعة المصلى.

قامت حياكة السجادة في نيسابور في محافظة مشهد «الواقعة شرق ولاية خراسان في إيران» على يد ٦٠٠ امرأة محترفة تحت إشراف خبراء في تصميم ونسج السجاد. ويتألف النسيج من الصوف الرفيع الجودة بينما مدت الخيوط الطولية «السداة» والعرضية «اللحمة» من غزل القطن. وقد غزلت خيوط السداة وهي مبلولة زيادة في متانة حبك النسيج وقوة تحمله. مركز السجادة دائرة تقسيمها الهندسي يعكس تصميم وزخرفة قبة مسجد الشيخ لطف الله في

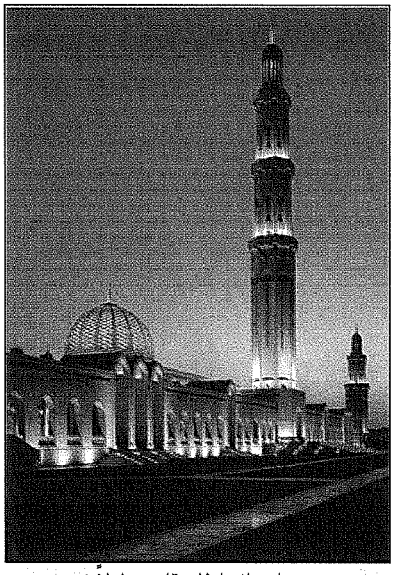

● جامع السلطان قابوس ليلاً ●

أصفهان، ولقد تم تنسيق وإعادة تصميم العناصر الهندسية بنسب تتناسب وأبعاد قبة مصلى جامع السلطان قابوس الأكبر وأبعاد القاعة، وتم تقسيم حواشي السجادة لترافق التقسيمات المعمارية للمخطط داخل الأروقة وحول الأعمدة المركزية والجانبية، أما باقي حقل السجادة فقد زينت برسوم غنية من الزخارف المورقة المتأثرة بأسلوب الفن الصفوي والمبنية على منظومة هندسية في الابتكار وتصرف التشكيل، وتضم كل زهرة مرسومة في تركيبها ونسيجها الكثير من الأزهار، مضيفة قيمة نادرة وفريدة في التصميم، ولقد جمعت هذه السجادة في تأليفها ونوعية تصميمها سجادة تبريز وكاشان وأصفهان الأصلية واستخدم في نسجها ٢٨ لوناً بدرجات متنوعة تم صناعة معظمها في المئذنة المذكورة آنفا وهي مصنوعة من الأصباغ النباتية والطبيعية، فالأحمر تم استئصاله من جذر نبتة الفوّة، والأزرق من النيلة، ولون القشدة (البيج، الأبيض المصفّر» من قشرة ثمرة الرمان والجوز وأوراق العنب ●

الأكبر في مسقط

● مساحة الأرض الكلية المتطورة: ٤١٦,٠٠٠ متراً مربعاً.

● مساحة الدكة المقام عليها المجمع المركزي: ٣٩,٨٤٠ متراً.

● أبعاد الدكة من المدخل (باستثناء المعابر): ١٦٦ × ٢٤٠ متراً.

المصلى الرئيس للجامع

● الأبعاد الخارجية: ٧٤,٤ × ٧٤,٤ متراً.

● الأبعاد الداخلية: ٧١ × ٦١ متراً.

● مساحة بيت الصلاة الصافية: ٤,٠٠٠ متر مربع.

● ارتفاع الواجهة الخارجية الأولى ٦,٧ أمتار.

● ارتفاع الواجهة الخارجية الثانية: ١٩,٣ متراً.

الصحن الداخلي

● المساحة الكلية للصحن: ١,٩٤١ متراً مربعاً.

● أبعاد الصحن الخارجية ٣٧ × ٥٠ متراً.

● أبعاد الصحن الداخلية: ١٩,٥ × ٣١,٧ متراً.

● مساحة الصحن الداخلية ٧٣,٣ متراً مربعاً.

القبة

● ارتفاع القبة عن سطح الأرض إلى نهاية القمة: ٥٠ متراً

● ارتفاع القبة بين قمة الهلال: ٤٢,٨٥ متراً.

● الارتفاع إلى قاعدة الطبانة: ٤٠,٠٠ متراً.

مصلى النساء

● أبعاد المصلى الداخلية: ١٨ × ٣١ متراً.

● مساحة الصحن الكلية: ٥٥٨ متراً مربعاً

يزداد عدد المسلمين في فرنسا زيادة مستمرة، ويقول تقرير نشرته مجلة «الأخبار الدينية»: إن عدد الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام زاد في عام ١٩٨٣م وحده على خمسين ألفاً.

غير أن ازدياد العدد ليس هو الذي يقلق أوساط الكنيسة بقدر ما يقلقها «عمق الشعور الإيماني الذي يحدو بكثير من الفرنسيين إلى اعتناق دين يجتذب قلوبهم بتلك السرعة المذهلة» على حد تعبير المجلة الفرنسية المذكورة.

المسلمون الناطقون بالفرنسية وموقعهم من فهم معاني القرآن

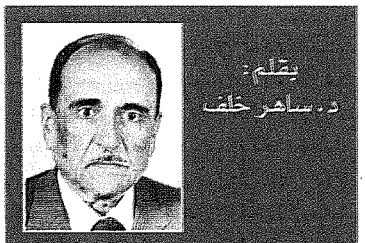

بقلم:
د. ساهر خلف
أستاذ في جامعة دمشق

وتضيف المجلة: إنه إذا كانت الموجة الأولى من الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام تتألف في معظمها من مفكرين درسوا هذا الدين دراسة عميقة من أمثال الفيلسوف «رينيه غينون» (١٨٨٦م - ١٩٥١م)، فإن الموجة الجديدة من هؤلاء «متعطشة بالدرجة الأولى إلى قِيَمِهِ الروحية ومبادئه السامية التي تحثهم على الالتزام بها بعد أن يئسوا من الرتب الكهنوتية والمعتقدات التي لايمكن للعقل السليم أن يقبل بها» كما قالوا.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الموجة الجديدة من الفرنسيين تضم عمالاً وموظفين وأناساً عاديين «اعتنقوا الإسلام لما أحسُّوا فيه من طمأنينة دائمة ومن سمو روحي»، كما أن النساء يشكلن ٥٥٪ من عددهم، ولدى سؤال إحداهن عن الدافع الذي حملها على اعتناق الإسلام أجابت قائلة: «لأنني عثرت فيه بعد بحث طويل وتجارب كثيرة على الطريق الصحيح الموصل إلى الله»(١).

التوزيع الجغرافي للمسلمين الناطقين بالفرنسية:

تأتي القارة الإفريقية في الدرجة الأولى من حيث أهمية عدد المسلمين الناطقين بالفرنسية الذين يعيشون فيها، والدول التي يتوزع فيها هؤلاء ويشكلون الغالبية العظمى لسكانها هي السنغال ومالي وتشاد وغينيا والنيجر وغيرها من دول القارة السوداء التي تقع شمالي خط الاستواء.

اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في تلك الدول ويتعلمها الأطفال منذ السنوات الأولى للدراسة، وهي لغة الجامعات والصحافة والثقافة والتجارة. أما عن الكيفية التي انتشرت بها تلك اللغة فلابد لإدراكها من العودة إلى تاريخ البعثات التبشيرية وإلى الوسائل التي استخدمتها للوصول إلى هدفها، علماً بأن هذا الهدف لم يكن اللغة وحدها، بل تحويل شعوب هذه المنطقة بالدرجة الأولى عن الإسلام وتشجيعها بكل وسائل الإغراء على اعتناق النصرانية.

البعثات التبشيرية وحاجز الإسلام

ما كاد الاستعمار الفرنسي يوطد أركانه في أفريقيا، وذلك في مطلع القرن التاسع عشر، حتى أخذت بعثات التبشير بالمسيحية تتوارد إليها لتنصير السكان الأصليين، غير أنها واجهت في طريق تحقيق أهدافها سداً منيعاً لم يكن ليخطر على بالها - أنه سيقف في وجهها كالطود.

وكتب الراهب «تيلار دي شاردان» والذي يعتبر من أبرز وجوه التبشير المسيحي في أفريقيا - يقول في كتاب نشر له في فرنسا عام ١٨٨٨م.

«يثير المد الإسلامي المستمر في الأقطار الإفريقية مخاوف كثيرة لدى المهتمين بمصير أفريقيا، وهو يقف سداً منيعاً في وجه الحضارة المسيحية، والعسكريون الفرنسيون متفقون معنا في الرأي على أنه العدو الأول لنا هناك، ولا نبالغ إذا أكدنا أن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا العدو الرهيب

تكمن في اللجوء إلى العمل العسكري، وإلا فسيخشى أن يمتد خطر هذا الدين ليصل قريباً إلى جميع المناطق الأفريقية الواقعة فوق الاستواء»(٢).

أما الراهب «بودان» فيضيف قائلاً في هذا الصدد نفسه وفي الكتاب نفسه: «يمكن للزنجي الوثني أن يتحوّل بسهولة عن دينه إلى النصرانية، ثم إن يعهد إلينا بأولاده لنعتني بهم، أما الزنجي المسلم فمن المحال أن يفعل ذلك»(٣).

انحسر الخطر التبشيري إلى حد كبير عن أفريقيا - إثر الحرب العالمية الثانية - بعد أن تحررت دولها وتمتعت بالاستقلال، إلا أن الثقافة الفرنسية كانت قد ضربت جذورها هناك ونشأت أجيال كادت أن تنسى تماماً لغاتها الأصلية بعد أن أصبحت لغة التفاهم والتعامل اليوم حصراً هي اللغة الفرنسية.

وتسللت عن طريق اللغة والثقافة الغربية تيارات الانحلال الخلقي والإلحاد حتى أن خطرها أصبح أشد وطأة من خطر التبشير بالدين المسيحي، لا لشيء، إلا لأن الغرب الذي عجز عن تحقيق مآربه بتحويل المسلمين عن دينهم خلال القرن الماضي قد أصبح يطمع اليوم، عبر وسائل الإغواء والإغراء التي ابتدعها، أن يصرف المسلمين عن القيم الأخلاقية السامية لدينهم فيحقق بذلك ما لم يستطع تحقيقه المبشرون، ويسهل عليه بالتالي التحكم بمصير أناس نسوا الله فأنساهم أنفسهم، يقول سبحانه وتعالى تحذيراً لنا وتعليماً: (فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) مريم:٥٩.

ولكن سيخيب مسعى هذا الوجه الجديد من التبشير بإذن الله كما خاب مسعى وجهه القديم، لأن الله تعالى أمد المسلمين بسلاح أبدي لايقهر وبنور دائم لا يُطفأ ألا وهو «القرآن العظيم».

كيف يقرأ المسلمون الناطقون بالفرنسية القرآن؟

إذا استثنينا من عامة المسلمين الناطقين بالفرنسية فئة قليلة درست اللغة العربية وتفرغت لها لوجدنا الأغلبية العظمى منهم وبخاصة أولئك الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً في مشقة كبيرة من أمر دينهم، ولا سيما عند وقوفهم لتأدية فرض الصلاة، وهم غالباً ما يكتفون بترديد بعض الآيات القصيرة التي حفظوا ألفاظها عن ظهر قلب دون وعي كامل لمعانيها.

ولعل الواحد منّا، نحن العرب المسلمين الذين أنزل القرآن بلغتنا، لا يؤدي لتلك النعمة حقها من الشكر، بل قد يستهين أحياناً بالصعوبة التي يلاقيها من تقف اللغة حائلاً بينه وبين تأدية فروض دينه على الوجه الذي يتمناه.

بسبب هذه الصعوبات لجأ إخواننا الناطقون بالفرنسية إلى المصاحف المترجمة. ولكن أنّى لمن يقوم بترجمة القرآن أن يحيط الإحاطة التامة بما تنطوي عليه لغته من دقة وسعة في المعنى وبلاغة في التعبير وسمو في الأحاسيس ووضوح في نقل الصور... إلى غير ذلك من مقتضيات يتعذّر على أي مترجم مهما بلغ من البراعة أن يأتي بها

مهما بلغت البراعة في ترجمة القرآن لا يمكن أن تكون على الوجه الذي أتى به القرآن

كاملة على الوجه الذي أتت به لغة القرآن، فكانت الأخطاء والمزالق التي كثر عددها في هذه المصاحف المترجمة حتى أن بعضها لم يكتف بتشويه المعنى، بل قلبه رأساً على عقب.

وبما أن إحصاء تلك الأخطاء يتطلب دراسة موسعة يضيق بها مجال مقالة كهذه، فإنني أكتفي بذكر مثالين يتبين من خلالهما خطر الاعتماد على مثل هذه التراجم.

يقول سبحانه وتعالى في الآية ٣ من سورة النساء (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانحكوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا).

وهي الآية التي يترجمها المستشرق الفرنسي «إدوار مونتيه» - الذي كرّمه مؤسس مجمع اللغة العربية المرحوم محمد كرد علي بأن ضمّه إلى عضوية المجمع المذكور - على النحو التالي:

«وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى... وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا إلاّ تجاه واحدة أو تجاه ما ملكت يدكم اليمنى فذلك يساعدكم على أن تكونوا غير منحازين» (الصفحة ١٥٧ من مصحفه المترجم).

وهاك مثالاً آخر أُخذ من ترجمة المستشرق «ريجي بلاشير» أستاذ العلوم الإسلامية والشرقية في جامعة السوربون.

يقول الله تعالى في سورة العاديات ذاكراً الإنسان: (وإنه لحُبِّ الخير لشديد)، فيترجمها المستشرق المذكور قائلاً بالحرف الواحد: «إنه لحب الخير لشديد الإقبال» (الصفحة ٦٦٢ من مصحفه المترجم).

لماذا اخترت ترجمة التفسير؟

إذا كان لاينبغي للقرآن أن يترجم - وهو الرأي الذي أجمع عليه أكثر العلماء - لتعذر الإحاطة بلغته وبمعانيه الإحاطة الكاملة من قبل المترجم فكيف السبيل إذاً إلى نقل مكنونه الثمين لمن لا يتكلم العربية، ولم تسنح له ظروفه أن يتعلمها؟ وهل نكتفي بأن نقول له: «اذهب فتعلمها» فندخل في قلبه اليأس ولعله يقضي العمر كله دون أن يسعد برغم كل الجهد الذي يبذله بالوصول إلى ما يتمناه من الإحاطة بها؟

الحل الذي وجده العلماء لهذه المشكلة هو في قولهم بجواز ترجمة التفاسير القرآنية لكونها تشرح وتوضح ما فهمه المفسر لا المترجم من كتاب الله، ولابد في هذه الحالة للمفسر أن يكون عالماً بأحكام الشرع وبقواعد اللغة، دارساً لكتاب الله وللسنة المطهّرة، وبهذا يكون المترجم مستنداً في نقله للمعاني، وبالأسلوب الذي تقتضيه اللغة التي يترجم إليها، على صرح قوي يجنبه الأخطاء والمزالق التي لابد أن يقع فيها من يقتصر من المترجمين على فهمه الخاص لتلك المعاني.

انبرى لتفسير القرآن الكريم علماء أجلاء عاصروا مختلف القرون والأجيال شارحين للناس وموضحين لهم ما تعذّر عليهم فهمه من أسرار القرآن ومكنوناته، مستندين في كل ذلك على ما روي من الأحاديث النبوية الشريفة والسنّة المطهرة، ففاضت المكتبات

بتفاسيرهم القيِّمة حتى غدا اختيار المترجم للأنسب منها لعصرنا أمراً شاقاً يحمله أحياناً لأن يتمنى لو يستطيع ترجمتها جميعاً وبذلك يترك للقارئ حرية اختيار ما يراه أكثر فائدة له من سواه.

أي التفاسير أجدر بالتقدم في الترجمة ولماذا؟

كتب التفاسير كما ذكرنا كثيرة منها القديم ومنها الحديث، ولكن الكتاب الذي وجدتني أشدُّ إلى ترجمته إلى اللغة الفرنسية شداً هو «التفسير الفريد للجزء الثلاثين من القرآن المجيد» للأستاذ عبدالهادي الباني. ولقد قرأت ذلك الكتاب بإمعان قبل البدء بترجمته فوجدت فيه عناصر إيجابية كثيرة توافق العصر الذي نعيش فيه موافقة تامة ألخصها فيما يلي:

أولاً: إن هذا الكتاب يربط في تفسيره الآيات التي تَلْفِتُ الإنسان إلى ما في خلقه وخلق السماء والحيوان والنبات من عظمة بما توصلت إليه علوم الفلك والتشريح والطب والفيزياء والكيمياء من حقائق علمية حديثة تؤيّدها، ولعل الدارس لهذه العلوم المتفكر بالآيات المتفهم لمعانيها يقف بين يدي ربه في الصلاة بعد ذلك فيخشع قلبه لعظمة خالقه وتسمو نفسه وتستقيم جوارحه، وفي الحديث النبوي الشريف أن: «الصلاة ميزان، فمن أوفى استوفى» أي أن الذي يوفيها حقها من الخشوع والتفكر بما يتلو فيها من آيات والالتزام الكامل بما تأمره به وتنهاه عنه، هنالك يستوفي منها طمأنينة وسعادة في الدارين وتأييداً.

ثانياً: وهذا الكتاب يفسر القرآن بالقرآن، واتفق في هذا الرأي مع الرحوم الدكتور عبدالمجيد الطرابلسي وزير الأوقاف الأسبق الذي كان قد تفضَّل وقدَّم للترجمة الفرنسية لهذا التفسير حين صدورها منوِّهاً بفائدتها للناطقين بالفرنسية من المسلمين في العالم، ومؤيداً الرأي القائل: إن أفضل التفاسير هو الذي يستند في شرح معاني القرآن إلى شواهد من القرآن الكريم نفسه.

ثالثاً: لما كان المسلمون الناطقون بالفرنسية يرددون أكثر ما يرددون في صلواتهم بعد الفاتحة، بعضاً من الآيات المكية القصيرة التي حفظوا ألفاظها عن ظهر قلب دون وعي كامل لمعانيها، فقد بُدئ هذا التفسير بالفاتحة لأنها أم الكتاب، ولا تصح الصلاة دون تلاوتها في كل ركعة، ثم أتى المؤلف على سور الجزء الثلاثين لأنها هي التي تزرع في القلوب الإيمان بحكم أنها الأولى في تسلسل التنزيل، وأنها تشحذ بالتالي الهمم لتقبُّل ما يتلوها من سور جاءت بالأحكام الشرعية وبالقواعد المكملة للعقيدة.

وقد اتصف تفسير المؤلف لسور الجزء الثلاثين بالعمق. فقد اتَّبع في ذلك، حفظه الله، أسلوباً بليغاً محبباً إلى القلوب لما حواه من أمثلة ممتعة توضح المعنى وتنير الطريق متقيِّداً على الدوام - كما يقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي - «بالأصول اللغوية والشرعية وتراث المفسرين القدامى مع الإضافات الطريفة الشيِّقة، بأفق علمي واسع، يربط بين الحكم الجزئي والكلي، ويركز على تربية وجدان المسلم، وتصحيح سلوكه، وتقويم سيرته، وتربية قلبه ونفسه عن طريق غرس أصول الإيمان الصحيح، والتزود بتقوى الله والأخلاق الإسلامية، والترغيب في العبادة، وإصلاح النفس والقلب، وترشيد السلوك، وبيان ما يترب على عدم الإيمان الصحيح من تكذيب بالدين وقسوة في القلب تجاه بني الإنسان، وكل ذلك من أجل حمل المسلم على الشعور بالطمأنينة، والثقة بربه، وإدراك عظمة خالق الكون ومدبره ومنظمه، والمعرفة الحقيقية بالله تعالى» (في تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب).

والرأي الأول في موضوع ترجمة التفاسير القرآنية للغات الأجنبية يعود في الحقيقة للمسلمين من غير العرب الناطقين بهذه اللغات أنفسهم، لذلك اخترت رأيين لمفكرين غربيين، قرأا هذا التفسير، أعرضهما للقارئ من دون أي تعليق ليتبين له مدى حاجة مكتباتنا لمثل هذه الكتب، ولا سيما أن إخواننا من المسلمين الناطقين بالفرنسية أو بغيرها من اللغات متعطشون لتعميق معرفتهم بالدين الذي ارتضوه طريقاً لهم إلى الله.

رأي المفكِّر السويسري «روجيه دي باسكييه»

الأستاذ «روجيه دي باسكييه» كاتب وصحفي سويسري معروف اعتنق الإسلام، وله في الدفاع عن دينه الجديد محاضرات ومقالات ومؤلفات كثيرة أذكر منها:

«التعرف على الإسلام»، و«صحوة الإسلام»، و«الإسلام بين التقليد والتطور».

كتب هذا المفكر في العدد (٥١ - ٥٢) من مجلة «كونيسانس دي ريليجيون» الفرنسية يقول: «من مدينة دمشق حُمل إلينا كتاب صدر فيها واستحقَّ اهتمامنا لما حواه من تفسير

● مسجد ليل في فرنسا ●

للسور القرآنية المحدودة العدد التي درج أكثر المسلمين على تلاوتها في صلواتهم الخمس اليومية، ففيه بالإضافة إلى الفاتحة - وهي أم الكتاب التي لا مناص من قراءتها في كل ركعة - شرح واف لسور الجزء الثلاثين من القرآن باعتبارها الأولى في تسلسل التنزيل.

مؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ الشيخ عبدالهادي الباني العالم الإسلامي المعروف الذي يتولى في وطنه مهمة الإرشاد الروحي ويتمتع في هذا المجال بمكانة مرموقة، أما مترجمه إلى اللغة الفرنسية فهو الدكتور ساهر خلف، خريج في جامعة غرينويل الفرنسية، الذي حرص على أن يضع بين أيدي المسلمين الناطقين بالفرنسية كتاباً يتيح لهم أن يتفهموا معاني آيات درجوا على حفظها دونما أيّ تدبُّر لدلالتها وقيمها السامية، وتجدر الإشارة إلى صدور ترجمة لنفس الكتاب باللغة الإنكليزية، كما يعتزم المؤلف تفسير المتبقي من سور القرآن في أجزاء تصدر في المستقبل القريب تباعاً.

هذا ومن المعروف عن السور التي تناولها الكتاب أنه سبق لها أن فسرت وعُلق عليها بإسهاب على مرِّ القرون الأربعة عشر الماضية، إلا أن تفسير الأستاذ الباني يمتاز عنها بوضوح الصورة، وبالدقة، وهو يتوق إلى إبراز أهدافها الأساسية التي افتقدها الناس بحكم حفظهم الآلي لألفاظها، الأمر الذي يدعونا إلى التفكير أولاً في هذا المجال بمعاني سورة الفاتحة، لأنها هي التي تحدد أسس ارتباط العبد بخالقه، وهي التي توجهه بحكم تكرر تلاوتها في الصلاة إلى أسمائه تعالى: (ربِّ العالمين)، (الرحمن)، (الرحيم)، تلك الأسماء التي تشير إلى فيض الرحمة الإلهية الدائم على العباد، غير متناسين أن الله سبحانه وتعالى هو في الوقت نفسه (مالك يوم الدين) أي مالك اليوم الذي يجدر بنا أن نستعد ونتأهَّب له بأعمالنا الصالحة.

هذه إحدى النواحي التي أبرزها المؤلف، ذلك أن الالتفات إلى مضمونها غدا ملحّاً أشدَّ الإلحاح في عصر نعيشه اليوم ويتعين فيه على الإنسان أن يمعن النظر ويتفكَّر تفكراً عميقاً في الآيات الكونية المحيطة به من كل جانب.

ونذكر بهذا الصدد سورة هي من أهم السور الداعية إلى التفكُّر، ألا وهي سورة الزلزلة التي يقول فيها سبحانه وتعالى: (إذا زلزلت الأرضُ زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها...) إلى قوله: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)، ففي هذه السورة إشارة واضحة إلى ظاهرة يوم القيامة الرهيبة التي ذكرت بعض الأحاديث ما تنطوي عليه من تعاقب للهزّات الأرضية التي تسبقها وتنذر بقرب وقوعها.

هنالك سورة أخرى هي من أقصر سور القرآن ترجمها الدكتور خلف بكلمة «الإخلاص» فيما ترجمها آخرون بعبارة «الطهارة» يقول فيها سبحانه وتعالى: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد. ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد) ضارباً بها عرض الحائط كل ادعاء بتجسد الخالق بالمخلوق، ومنادياً بالوحدانية المطلقة لرب العالمين، ومن الجدير بالذكر أن هذه السورة تأتي في الدرجة الثانية من حيث النصيب الأوفر من التلاوة بعد الفاتحة لدى المسلمين».

رأي المفكر الفرنسي «روجيه كريم كمبف»

الأستاذ الدكتور «روجيه كريم كمبف» أستاذ دائم في جامعة زوريخ الفدرالية، اعتنق الإسلام، له أكثر من خمسة عشر مؤلفاً أدبياً تعتبر مراجع في الفلسفة والأدب، وقد تُرجم أكثرها إلى الألمانية والإيطالية واليابانية والإنكليزية، وهو من مترجمي أعمال الفيلسوف الألماني «كانت»، كما أن أحد مؤلفاته حاز على جائزة المجمع اللغوي الفرنسي، وحاز آخر على الجائزة الكبرى للنقد الأدبي، كتب هذاالأستاذ الجامعي اللامع يقول:

«مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلم الذي يقرأ القرآن يحرك به شفتيه دونما أي تدبر لمعانيه غير جدير بأن يرقى إلى مراتب الإسلام الحق، ولو كان يسعى إلى المساجد يصلي فيها خمس مرات في اليوم، وللبخاري في هذا الصدد حديثان يندِّد فيهما الرسول صلى الله عليه وسلم، بمن لا تتجاوز صلاته الحناجر، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة القيامة: (لا تحرك به لسانك لتعجل به).

فالصلاة لا تتطلب منَّا إذاً الاستعجال، بل السكينة والخشوع، يتدبَّر فيها المسلم آيات القرآن التي يتلوها ويتفكَّر في معانيها قبل أن ينصرف إلى حفظ ألفاظها.

وعلى هذا النهج الذي رسمه لنا أوائل الصحابة الكرام، سار الأستاذ عبدالهادي الباني في كتابه «التفسير الفريد للجزء الثلاثين من القرآن المجيد»، وهو الكتاب الذي نقله لنا الدكتور ساهر خلف إلى الفرنسية بأجمل أسلوب.

هذا، وينبغي ألاَّ يروعنا ما قد يوحيه عنوان هذا الكتاب العلمي من صعوبة في فهم مراميه، وذلك لأن الأستاذ الباني عمد في دراسته إلى أسلوب شيِّق مؤثر، سهل المنال، بعيد كل البعد عن التكلُّف اللفظي واللفّ والدوران.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التفسير لا يكتفي بإثارة اهتمامنا بما حواه من شواهد تاريخية بليغة، بل يتعدى ذلك إلى القيام بشرح كلمات فَقَدَ الناس بحكم العادة الانتباه إلى مغزاها، ومنها مثلاً كلمة «الشيطان» التي أشير إلى اشتقاقها من فعل «شَطَنَ» وهو يعني بالعربية الانحراف والابتعاد عن الله سبحانه وتعالى.

وقد بدئ في هذا التفسير بالسور المكية لأنها الأساس، وهي الأولى في تسلسل التنزيل. على أن سورة الفاتحة تحتل فيه طبعاً موقع الصدارة، كيف لا وهي أمُّ الكتاب...؟ وقد اهتم الأستاذ الباني بتفسيرها آية تلو آية بأسلوبه المبسَّط الجذَّاب الذي يحملنا على قراءة تفسيره بتشوُّق زائد».

ولا يسعنا إلا أن نذكر في النهاية، أن فهم مسلمي أوروبا وأفريقيا الواعي لمعاني كتاب الله لابد له من أن يرسِّخ دعائم الإيمان الصحيح في نفوسهم، ويجعل منهم بالتالي جنوداً أوفياء في جامعة الحق يقفون صفاً واحداً مع إخوانهم العرب في خندق الدفاع عن قضاياهم المصيرية، ولا سيما في هذا الظرف العصيب الذي تحاول فيه الصهيونية العالمية بكل ما أوتيت به من دهاء وإمكانات أن تتسلل إلى القارة السوداء لبسط نفوذها ومبادئها اللاأخلاقية، كما فعلت ولا تزال تفعل في أميركا وكثير من دول العالم الأخرى التي استشرى فيها الفساد ●

متى ينتهي الصراع بين رموز الفكر الإسلامي وصناع القرار؟

بقلم:
أ.د. محيي الدين عبدالحليم

لاتكاد توجد قيادات فكرية قاست الأمرين، وعانت الكثير من مطاردة السلطات المحلية والعالمية بمثل ما عانت رموز الفكر الإسلامي في العالم، وقد تفاقمت هذه الصراعات بعد دخول المستعمرين الأجانب حلبة الصراع للسيطرة على العالم العربي، وقد أسهم في ذلك تدهور البنية السياسية والعقدية التي قامت عليها هذه الأمة، وحافظت على كيانها وتراثها طوال العصور الوسطى وذلك بعد زوال الوحدة الإسلامية، ولم يكتف هؤلاء المستعمرون باحتلال الأرض ونهب الثروات والهيمنة على مقدرات البلاد، بل أرادوا الفتك بمرجعية هذه الأمة وثوابتها الفكرية، فتدخلوا في نظام التعليم، وهيمنوا على روافد الفكر ومصادر المعرفة، وساعدوا القيادات الهزيلة على حكم البلاد، وقد أسفر كل ذلك بالضرورة عن صدام حتمي بين القيادات الدينية وهؤلاء المستعمرين، وكلما زادت السيطرة الغربية على مراكز صنع القرار في العالم العربي، اتسعت نقاط الخلاف بين التيار الليبرالي الذي يحمله هؤلاء القادمون الجدد والتيار الإسلامي الذي يمثله علماء الدين وقادة الفكر الإسلامي.

وقد ترتب على ذلك إنشاء الجمعيات الوطنية والهيئات الإسلامية، وجبهات التحرير التي تستهدف محاربة الاستعمار بكل رموزه، وتعمل على وضع حد لانتشار الأفكار والسلوكيات التي يمارسها هؤلاء المستعمرون على الأرض العربية، وكان من بين أبرز الجماعات التي أخذت على عاتقها الاضطلاع بهذا الدور، جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا قبل منتصف القرن العشرين، وقد تحملت هذه الجماعة عبئاً لايستطيع أن ينكره أحد في مقاومة الاستعمار الأجنبي سواء بالعمل العسكري التطوعي، أو بالعمل السياسي الدعوي، وانضم إليها الكثير من الشباب العربي الذي وجد فيها طوق النجاة ضد الابتزاز الاقتصادي والغزو الفكري والاستبداد السلطوي.

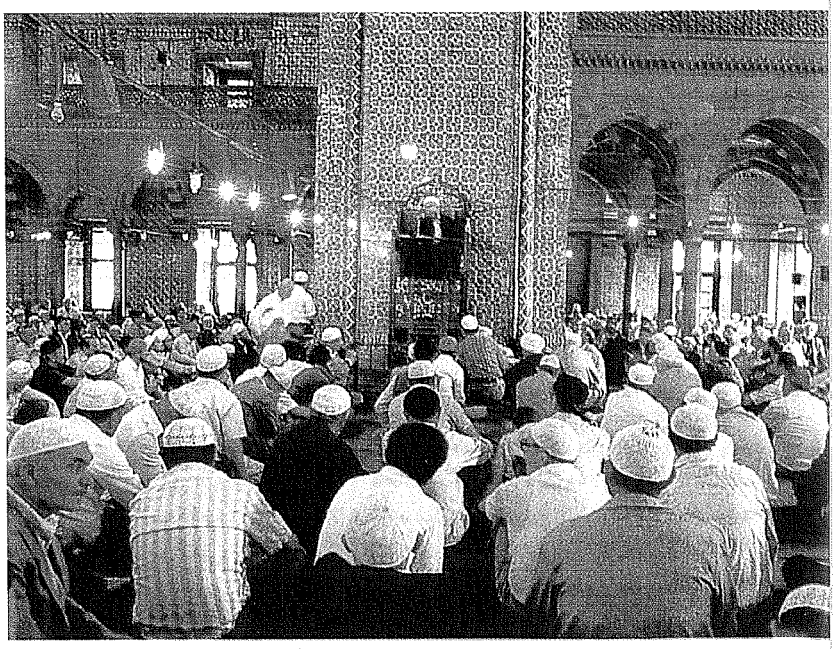

وقد كان من بين هؤلاء الذين انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين قيادات فكرية وعسكرية، قادت حركات التحرير في العالم العربي، وغيَّرت أنظمة الحكم بها، وإن كان هؤلاء قد تنكَّروا بعد ذلك لفكر الجماعة وانقلبوا عليها، ونكَّلوا بقياداتها، وزجُّوا برموزها في السجون والمعتقلات، وأعدموا الكثير من رجالها بعد أن تمَّت لهم السيطرة على مقاليد الأمور في بلادهم، وحينئذ ظهرت الملكة الاستبدادية والنزعة الدكتاتورية الكامنة في داخلهم، فهم لا يريدون معارضة لهم، ولا يتحملون الرأي الآخر الذي يخالف رأيهم.

وظل أصحاب التيار الإسلامي يعيشون غرباء

في أوطانهم، تطاردهم السلطات المحلية، وتمنع نشاطهم، وتقضي على فاعليتهم، وقد أسهم في هذا الوضع المأساوي في التفكك والصراع الذي دار فيما بينهم، فاختلفوا في الشكليات وتركوا الأساسيات، بعد أن كانت تجمعهم قضايا وطنية واحدة، ودوافع إيمانية قوية لطرد المستعمر، ومنهج مشترك لنشر الدعوة، فاختلفوا في نواقض الوضوء كما اختلفوا في شكل الحكم، واختلفوا في شعائر الذكر ومناسك الحج، ولم يرحم بعضهم بعضاً، فراحت كل جماعة تكيل الاتهامات للأخرى، وتصفها بالكفر والزندقة، والخروج عن مقاصد الشريعة.

لم يكتف المستعمرون بنهب الثروات والهيمنة على مقدرات البلاد بل أرادوا الفتك بمرجعية الأمة وثوابتها الفكرية

ولم تنحصر هذه الخلافات في حلقات البحث أو على صفحات الجرائد، أو في الندوات الفكرية، بل الأمر جاوز الخطوط الحمراء، فحملوا السلاح ضد بعضهم بعضاً تارة، وضد رموز الحكم تارة أخرى، وانعدمت الثقة بين كل الأطراف، حتى انتهت إلى صراع دموي حاد أخذ أشكالاً متعددة، ودرجات مختلفة، فلا تثق فيهم الزعامات السياسية التي أغلقت كل أبواب الحوار معهم، ولايثقون هم في هذه القيادات لأنها خرجت عن أصول الدين، وأصبحت غير مؤهلة لقيادة الأمة، فأصدرت السلطات الحاكمة القوانين الاستثنائية التي تستهدف كل من ينتمي إلى هذا التيار، وزجت بهم في السجون والمعتقلات، وتحولت العلاقة بينهم إلى حرب أهلية تستهدف الأخضر واليابس، ولا تفصل بين مسلم وغير مسلم، أو بين زائر ومقيم، وسار الجميع في دائرة مفرغة، وحال هذا الصراع دون الوصول إلى صيغة توافقية تحقق الحد الأدنى من السلام الاجتماعي والتعايش السلمي لتحقيق الهدف المشترك.

واختلط الحابل بالنابل، وتداخلت المعاني والألفاظ، فأصبح التدين تطرفاً، والتطرف إرهاباً وترويعاً، فإذا كان التطرف كما يراه العلماء الثقات يعني التنطع والتشدد في أداء العبادات، كما يعني جنوحاً في الفكر ومجاوزة للحدود في الأقوال والأفعال، والتعصب للرأي، فإن هذا لا يعني تكفير الآخرين، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإسقاط عصمتهم، واتهامهم بالخروج عن الإسلام، وهو ما حذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»، لأن الإيمان والكفر محلهما القلب، ولا يطلع على ما في القلوب إلا الله، ومن ثمَّ فإذا جاوز المتشدد على نفسه حدود تطرفه بفرض آرائه على غيره تحول إلى إرهابي، فالإرهاب إذاً هو الإكراه المادي الواقع على شخص أو جماعة لإجبارها على سلوك ما دون إرادتها، كما أنه يعني التدمير المادي للمنشآت، والاستيلاء على المال عمداً عن طريق القوة.

ظل أصحاب التيار الإسلامي يعيشون غرباء في أوطانهم تطاردهم السلطات وتمنع نشاطهم وتقضي على فاعليتهم

وإذا كان بعضهم يرى أن جميع الإرهابيين تخرَّجوا في مدرسة التطرف، فإن هذا يعتبر تعميماً يفتقر إلى المنطق، لأن التطرف غالباً ما يكون في دائرة الفكر، وقد يتجمد الفكر المتطرف في أنماط أخرى ليس فيها عنف، أو اعتداء على الآخرين، ومن ثمَّ فإن اعتبار التطرف مدرسة للإرهاب يجب ألا يؤخذ على إطلاقه، فبعض الإرهابيين ليست لهم انتماءات لجماعات متطرفة، فمنهم المأجورون والمحترفون والمرتزقة الذين يقومون بالعمليات الإرهابية نظير مقابل مادي.

وفي الحقيقة أننا لا نستطيع أن نعفي بعض أصحاب التيار الإسلامي من مسؤولية الوقوع في أخطاء فادحة حينما أصدروا أحكاماً بتكفير الحكام لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، وتكفير العلماء لأنهم لم يكفِّروا الحكام والمحكومين، انطلاقاً من قناعتهم بأن من لم يكفر الكافر فهو كافر، فكفَّروا الناس أحياء وأمواتاً، مع أن المعاصي لا تخرج المسلم عن الإسلام، حتى الكبائر منها، كالقتل والزنى وشرب الخمر، ما لم يستخف بحكم الله فيها أو يرده ويرفضه، وكل الشبهات التي استند إليها هؤلاء المغالون في التكفير مردودة بالآيات المحكمات البيِّنات من كتاب الله وسنة رسوله، فاتهام المسلم في عقيدته مهما ارتكب من المعاصي جرأة على الله عزَّ وجلَّ.

وقد انعكست هذه الخلافات والصراعات الدامية على صورة الإسلام والمسلمين لدى الرأي العام العالمي، فأصبح كل من ينتمي إلى أحد التيارات الإسلامية، أو حتى يلتزم بأداء العبادات، ويشق على نفسه في ذلك إرهابي وسفاك دماء، وقد أسهم كل ذلك في تشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الرأي العام العالمي، فلا يكاد يحدث انفجار، أو اعتداء مسلح، أو خطف للطائرات، أو قتل جماعي، إلا وتتوجه أصابع الاتهام إلى رموز الفكر الإسلامي، دون النظر إلى مرجعية هذه الرموز، أو منهجها في الفكر أو السلوك، فالجميع إرهابيون.

وقد جاوزت الاتهامات حدود الأفراد والجماعات إلى العقيدة نفسها، وأصبحنا نقرأ أو نسمع عن اتهامات توجه إلى الإسلام ذاته، باعتباره ديناً يحض على التطرف، ومدرسة لتعليم الإرهاب، وما لم تتفق النظم الإسلامية والعربية على أسلوب صحيح للتعامل مع هذا الواقع، فإن النار ستحرق الجميع، ولن ينجو منها حاكم أو محكوم ●

إن الإسلام هو الذي يقود مسيرة العلم على هدى ونور، ويضع لهذه المسيرة إطارها ونطاقها الشرعي، وذلك منذ أول آية من الذكر الحكيم نزلت على رسول الله الخاتم صلوات الله وسلامه عليه، تدعو إلى القراءة العلمية المتأنية والمتدبرة في ملكوت الله جل جلاله، قال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذين خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم) العلق: ١ ـ ٥.

من خلال هذه الآيات تسطع الضوابط الشرعية للدراسات العلمية، نظرية كانت أو عملية، لأن الدعوة إلى القراءة من خلالها، ترتبط ارتباطاً وثيقاً باسم الله تعالى، أي اقرأ كل علم نافع يرسخ الإيمان في قلبك، ولا يخرج عن نطاق ما شرعه الله عزّ وجل من أحكام.

لذا، فإن ضوابط إجراء التجارب على الحيوانات، ينبغي أن تكون محكومة بالشرعية الإسلامية، لأن إطلاق التجارب بلا ضوابط أو أصول حاكمة، سيعمل على تفشي الأوبئة، وبث السموم في أرجاء الأرض، ويدفع إلى الاستهانة بحياة الحيوانات النافعة، وتعريضها إلى المخاطر أو المضار التي قد تمتد إلى حياة الإنسان ذاته.

ويكفي ما تعانيه البشرية ـ الآن ـ من بعض الأغذية المهندسة وراثياً، ومن تغذية الحيوانات ـ مأكولة اللحم ـ بمواد وأعلاف حيوانية، مصنعة من أعيان نجسة أو مستقذرة شرعاً، وذلك بهدف تضخيم الثروة الحيوانية، بغض النظر عن الآثار السلبية المترتبة على هذه الأغذية، وقد امتد ضرر هذه التغذية إلى حياة الإنسان، فأصابه بالكثير من الأمراض، منها ما يُعرف بجنون البقر، والحمى القلاعية، ومنها ما لم يقف الطب على مسبباته حتى الآن، وذلك بسبب بعد التجارب عن الضوابط الشرعية بل والأخلاقية، نظراً لحرص أصحاب المزارع ـ في الجملة ـ على تضخيم ثرواتهم المادية بكل الوسائل والتقنيات غير المرتبطة بأي نوع من القيم أو المبادئ، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة.

الضوابط الشرعية لإجراء التجارب على الحيوانات

بقلم: أ.د. مصطفى محمد عرجاوي
أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الكويت

تحديد المفاهيم

ولكي نصل إلى حكم صحيح ينبغي علينا أن نتعرف إلى حقيقة ما نعرض له، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وما نعرض له ـ هنا ـ هو تحديد مفاهيم: الضوابط، والتجارب والحيوانات، لكي نتمكن من الوقوف بجلاء على الحكم الشرعي لإجراء التجارب وفق الضوابط المقررة في هذا الشأن، بلا إفراط أو تفريط.

المراد بالحيوانات

الحيوانات هي كل ما خلق الله تعالى من البهائم والدواب غير الناطقة، سواء أكانت من بين المأمور بقتلها أم لا، وسواء أكانت من السباع أم من غيرها من الحيوانات المستأنسة مأكولة اللحم أو المنهي عن أكلها على سبيل التحريم أو الكراهية... فكلها حيوانات، بغض النظر عن كونها فقارية أو غير فقارية، فالحيوانات الفقارية مثل: التمساح، والدلفين، والضب، والضفدع...، وغير الفقارية مثل: العقرب، والصرصور...

المراد بالضوابط والتجارب

الضوابط: جمع ضابط ويقصد به، الأصل الذي يراعى عند تخريج أحكام الحوادث ضمن إطار الشريعة الإسلامية، في ناحية مخصوصة من أصل عام.

والتجارب: جمع تجربة ويقصد بها، اختبار الشيء وعركه لمعرفة ما يتضمنه أو يخلص إليه من خلال التمحيص والبحث.

الضوابط الشرعية لإجراء التجارب

من المعروف أن الإسلام يُعلي من شأن العلم والعلماء، ويدعو إلى بذل النفس والنفيس لتحصيل بعض العلوم النافعة للبشرية، أو التي لا غنى للإنسان عنها، وهناك من العلوم أو المعارف ما يتطلب لتحصيله إجراء بعض التجارب على نباتات أو حيوانات، بل قد يتطلب الأمر إجراء تجارب معينة على الإنسان ذاته، فهل تطلق الشريعة الإسلامية لهذه التجارب العنان، لتمضي في طريقها لا يحدوها سوى تحقيق غايتها بلا ضوابط أو قيود تحد من شرورها أو مخاطرها على مخلوقات الله تعالى؟ لا يمكن ترك الحبل على الغارب، وإطلاق يد العلماء والباحثين لإجراء تجاربهم بلا ضوابط أو قيود شرعية أو أخلاقية، لأن لكل

شيء ضوابطه وإطاره ونطاقه الذي لا يسمح بتجاوزه شرعاً أو وضعاً، لحماية المجتمع من المتطرفين أو المنحرفين بالعلم عن مساره القويم، ومن أهم الضوابط الشرعية لإجازة إجراء التجارب على الحيوانات ما يلي:

أولاً: مشروعية الوسائل من ناحيتين

١ ـ عدم الاعتداء على حياة الحيوانات التي لم نؤمر بقتلها، لمجرد الاعتداء بلا غاية أو هدف.

٢ ـ عدم استخدام أعيان أو وسائل غير مشروعة في إجراء التجارب.

ثانياً: مشروعية الغايات والمقاصد من خلال مراعاة ما يلي:

أ ـ أن تكون المقاصد متفقة مع المقاصد الشرعية في حفظ النفوس والعقول والأعراض والأموال.

ب ـ ألا تكون الغاية من التجارب مجرد العبث بالأبدان أو بمخلوقات الله تعالى، بطريقة تنافي التكوين الطبيعي لها.

جـ ـ ألا يترتب على إجراء هذه التجارب مخاطر تضر بحياة الإنسان في الحاضر أو المستقبل بصورة قطعية أو ظنية أو احتمالية، من باب سد الذرائع.

د ـ ألا تؤدى التجارب إلى تداخل عناصر الوراثة أو تعمل على انتقالها بصورة ينجم عنها بعض المضار المعلومة أو المحتملة، وبخاصة إذا ما تعلق الأمر بإجراء التجارب على الحيوانات التي لها صلة وطيدة أومباشرة بغذاء الإنسان.

في ضوء هذه الضوابط المبدئية يمكن القول: بجواز إجراء التجارب على الحيوانات مع التدرج في إجرائها بحسب حاجة البحث العلمي، ونوعية الحيوان، وجعل الأولية عند إجراء التجارب، أن تتم على الحيوانات المأمور بقتلها، ثم الحيوانات المتوحشة، ثم المستأنسة المنهي عن أكلها ثم المأكولة أو المسموح بأكلها بلا ضرورة حاجة تنزل منزلتها.

تصنيف الحيوانات

أ ـ حيوانات مأمور شرعاً بقتلها في الحل والحرم.

ب ـ حيوانات متوحشة، وهي ما تعرف ـ

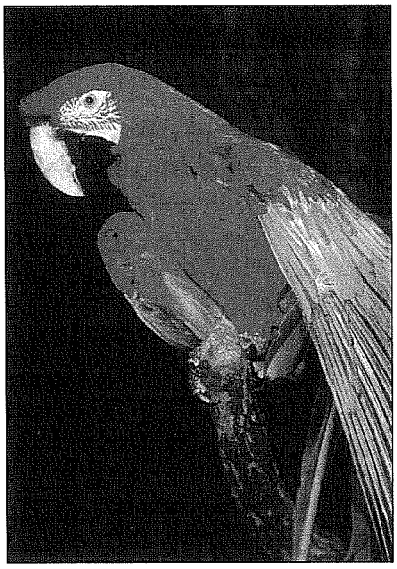

شرعاً ـ بذات الناب.

جـ ـ حيوانات مستأنسة ومنهي شرعاً عن أكلها.

ذ ـ حيوانات يحرم على المسلم اقتناءها أو أكلها مثل: الخنزير.

هـ ـ حيوانات مأذون شرعاً باقتنائها وأكلها مثل: الأنعام أو حيوانات البحر.

الحيوانات المأمور بقتلها

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل بعض الحيوانات والطيور في الحل والحرم ومنها: الفأرة، والعقرب، والكلب العقور، والغراب، والحدأة، فقد جاء في شأنها ما يلي:

١ ـ عن سالم عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والإحرام: الفأرة، والعقرب، والغراب، والحدأة والكلب العقور»(١).

٢ ـ عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه

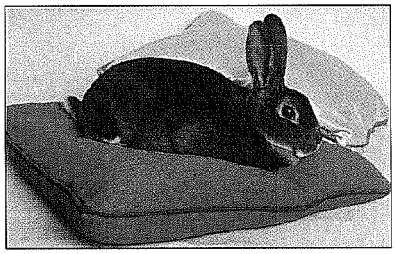

وسلم: «خمس من الدواب كلها فاسق، تقتل في الحرم: الغراب، والحدأة، والكلب العقور، والعقرب والفأرة»(٢).

هذا الأمر الصريح من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالقتل لهذه الحيوانات لايعني تعذيبها بإجراء التجارب عليها بلا هدف أو غاية، لمجرد التلذذ بتعذيبها أو العبث بها، بلا مصلحة راجحة أو محتملة، وذلك لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوان، ومما ورد في هذا الشأن، عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ قال: اثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»(٣).

هذا يعني ـ صراحة ـ عدم تعريض الحيوانات المأمور بقتلها شرعاً للتعذيب، بإجراء التجارب عليها لمجرد التخلص منها أو لأمر غير معلوم أو محدد، لأن التعذيب بالتجارب لمجرد التعذيب من الأمور المنهي عنها شرعاً، ولاتتفق مع نهج ومبادئ الإسلام.

الحيوانات غير المستأنسة (المتوحشة)

يمنع إجراء التجارب على هذه الحيوانات المتوحشة، إذا ترتب على إجرائها إلحاق أي مخاطر بحياة القائم بهذه التجارب، فرداً كان أو جماعة، فلا يتم إجراء التجارب عليها إلا في إطار نظم أمنية، ولتحقيق أهداف بحثية مشروعة مع مراعاة عدم تعريض هذه الحيوانات للتنكيل أو التمثيل أو التعذيب، بلا مبرر محدد أو مشروع، يهدف لخدمة الإنسانية أو الحياة البرية بصورة عامة.

الحيوانات المستأنسة غير المأكولة

لابد من توافر المقصد والهدف والثمرة المشروعة من إجراء التجارب على هذه الحيوانات فضلاً عن الإحسان إليها في مرحلة حبسها، أو إعدادها لإجراء التجارب عليها، فلا يحرم الحيوان من الطعام أو الشراب بلا مبرر مشروع، لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الحيوانات، وما جاء في هذا الشأن لتأكيد هذا التوجه الكريم ما يلي:

أ - ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»(٤).

ب - ما روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج، فإذا بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له، ففغر له» فقالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»(٥).

لأن في ترك تغذية وسقي الحيوانات مع حبسها غلظة لا تتفق مع أخلاق المسلم الذي يعيش في ظلال الإسلام وشريعته السمحة.

المشروع أكلها والمتاجرة فيها

الحيوانات غير المشروع أكلها أو اقتناؤها مثل: الخنزير، فإن إجراء التجارب عليها يخضع للضوابط نفسها التي تطبق على الحيوانات غير مأكولة اللحم مثل:: القطط والكلاب، فلا يعني تحريم أكل لحم الخنزير تعريضه للتجارب غير النافعة أو التعذيب لمجرد التعذيب، لأن الإسلام يقف بالمرصاد لكل الأعمال غير المشروعة على الحيوانات حتى وإن كانت محرمة شرعاً اقتناءً أو غذاءً.

أما الحيوانات مأكولة اللحم مثل: الأنعام وغيرها، فإنه ينبغي توافر الضوابط الشرعية العامة في إجراء التجارب عليها، فضلاً عن مراعاة كل ما ينتج منها من فوائد أو مصالح تعود بالنفع على الإنسان، مقارنة بما يهدر منها في المعامل كضحايا للتجارب في مراحلها الأولى وقبل تحقيق النتائج المرجوة، ويكفي سفهاً تعريض وإهلاك حياة ٢٧٧ نعجة، لكي يتمكن بعض الباحثين من التوصل إلى استنساخ النعجة (دوللي) والتي نفقت بعد أقل من عام من مولدها بالشيخوخة، لأن حفظ الأموال، وعدم هدرها أو التفريط فيها بسفاهة يدخل ضمن المقاصد الشرعية، لذلك ينبغي مراعاة هذا الجانب الاقتصادي عند إجراء التجارب المشروعة على هذه الحيوانات، لأنها تمثل ثروة ينبغي الحرص التام على عدم هدرها بلا فائدة حقيقية مشروعة، أو مصلحة راجحة.

مقاصد إجراء التجارب

من أهم المقاصد والأهداف المنوطة من إجراء التجارب على الحيوانات، تحقيق مجموعة من الفوائد والمنافع منها: الفوائد الطبية، والفوائد التحسينية (الإنتاجية)، والفوائد التكاثرية... وكلها تدخل في نطاق المشروعية في حال تحقق الهدف المنوط بها صحياً أو إنتاجياً أو تناسلياً... شرط عدم تعريض حياة الإنسان لأي مخاطر حالة أو مستقبلية، حقيقية أو محتملة، وبصورة قاطعة.

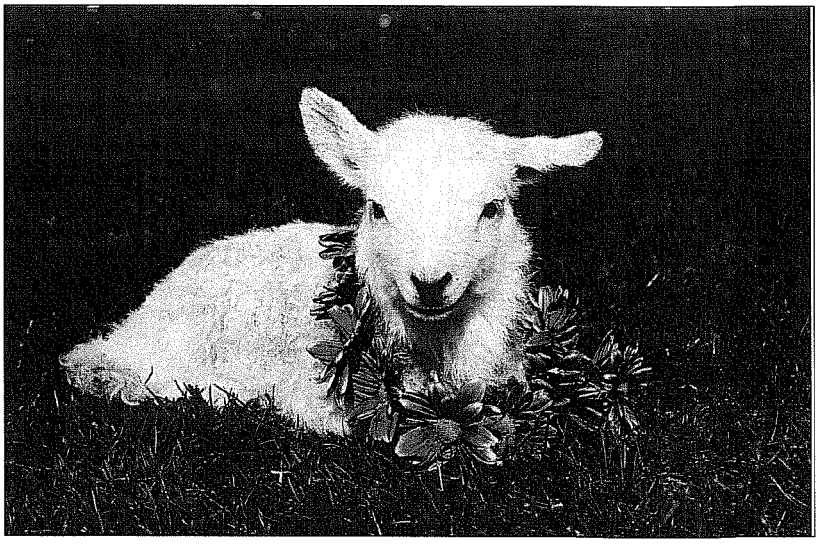

الثمرات الطبية

الإسلام يشجع الإنسان على الاستفادة بمنجزات العلوم ومكتشفات البحوث مادامت هذه الإنجازات والمكتشفات غير محرمة شرعاً في ذاتها أو مخربة للحياة الإنسانية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، للنهي عن الضرر والضرار شرعاً، فإذا أجريت تجارب معملية في إطار الهندسة الوراثية، لاستخراج ألبان من الأبقار لها خاصية لبن الأم - مثلاً - فلا مانع شرعاً من الاستفادة بثمار ونتائج هذه التجربة، طالما أنها تتم في نطاق الضوابط الشرعية وتلتزم بأصول ما يُباح من التطبيقات المفيدة في هذا الشأن.

الثمرات التحسينية (الإنتاجية)

يعد من أهم ثمار هذه التجارب تحسين السلالات، وتضخيم حجمها من خلال ابتكار أنواع من التغذية تساعد على استمرار زيادتها، أو تجويد طعمها أو قدراتها، شرط ألا يترتب على هذا العمل أي مضار صحية للإنسان أو الحيوانات الخاضعة لهذه التجارب في الحال أو المستقبل، بصورة لاتقبل الشك، لأن الضرر يزال شرعاً، وسد الذرائع مقدم على جلب المنافع، وذلك للحفاظ على الثروة الحيوانية من التجارب المحفوفة بالمخاطر، وأيضاً للمحافظة على صحة وحياة الإنسان.

الثمرات التكاثرية

إذا ترتب على بعض التجارب المعملية أو التطبيقية، تكاثر نسل الحيوان بصورة طبيعية أو صناعية، أو تحسين سلالاته المتكاثرة بالتوالد الطبيعي أو الصناعي، بلا أدنى تأثير جانبي ينجم عن هذه التجارب على بنية الحيوان أو مكوناته النافعة، أو يضر بصحة الإنسان أوالحيوان في الحال أو الاستقبال بصورة لاريب فيها، فإن هذه التجارب تكون مفيدة ومشروعة ويؤخذ بثمارها، بل ينبغي أن تعمل كل الجهات المعنية بها على تشجيعها ودفعها إلى المزيد في هذا المضمار المفيد.

أما إذا ترتب على هذا التكاثر مخاطر حالية أو احتمالية تؤدي إلى تغيير الصفات الوراثية بالضعف أو الاضمحلال، فإن هذه التجارب تكون غير مشروعة وتحظر، ويمنع

الاستمرار فيها، حرصاً على الثروة الحيوانية وصحة الإنسان، لأن الضرر يمنع قدر الإمكان، فالغاية لا تبرر الوسيلة، لأن الغاية ينبغي أن تراعي كل ما يحقق المصالح المشروعة للإنسان، ولا تعرضه للأذى الظاهر أو الخفي مهما بلغت درجته، في الحال أو المستقبل البعيد.

مساوئ مخالفة الضوابط الشرعية

تتعدد هذه المساوئ وتظهر آثارها الضارة بعد حين أو في المستقبل البعيد، ويمكن ملاحظة المساوئ المترتبة على تغذية الحيوانات، مأكولة اللحم، بالأغذية الحيوانية والأعيان النجسة من خلال ما ظهر على هذه الحيوانات من مضار، في صورة أمراض سرطانية أو وبائية فتاكة مثل الحمى القلاعية التي فتكت بملايين الرؤوس من الماشية خلال أيام معدودات، في بعض الدول الأوروبية فحسب، ويمكن بيان أهم المضار التي تلحق بالحيوانات وبصحة الإنسان في الطعام، وفي الحيوان ذاته، وفي صورة أمراض وبائية، وفي الثروة، وفي البيئة، وفي الحياة بوجه عام (مثل: تعديل بعض الخصائص من خلال التلاعب بالجينات بصورة ضارة بحياة الإنسان أو الحيوان).

مضار المخالفات الشرعية

١ ـ ظهور ما يُعرف بجنون البقر، والحمى القلاعية.

٢ ـ التشوهات الخلقية التي تعرضت لها بعض الحيوانات في المعامل.

٣ ـ الخسائر المالية الضخمة التي ترتبت على هدر معظم الحيوانات المصابة بالأمراض الوراثية.

٤ ـ ظهور بعض الأمراض غير المعروفة، بسبب الأعلاف الحيوانية، والأمصال التي تعطى للحيوانات بهدف زيادة وزنها أو حجمها أو سرعة تسويقها وما يترتب على ذلك من مضار بصحة الإنسان.

أهم ثمار إجراء التجارب

لقد أثمرت التجارب المتعلقة بالهندسة الوراثية والتي أجريت على مجموعة ضخمة من الخراف في اسكتلندا، استنساخ ما يُعرف بالنعجة «دوللي»، وذلك بعد أبحاث

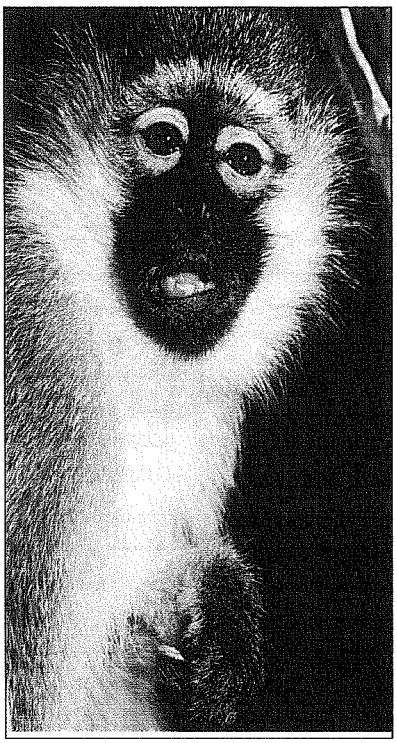

طويلة أجراها فريق من العلماء المعاصرين، منهم د.«هاري جريف» ود.«إيان ويلموت» في معهد «روزلن» التابع لجامعة «أدنبرة» بـ«اسكتلندا» ببريطانيا، والتي انتهت في الأسبوع الأول من مارس سنة ١٩٩٧م بولادة النعجة «دوللي»، ولتفتح المجال للمزيد من التجارب في هذا المضمار بالرغم من رحيل هذه النعجة بعد أقل من عام من مولدها بسبب الشيخوخة المبكرة، وهذا يتطلب من الباحثين مراجعة تجاربهم وأبحاثهم في ضوء المستجدات، وفي إطار المشروعية للحفاظ على الثروة الحيوانية، وتدعيم كل ما يحقق مصلحة الإنسانية، ويصون حياة الإنسان.

أهداف التجارب بقصد الاستنساخ

يمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي:

أ ـ تحسين نوعية الحيوانات التي تنتجها المزارع.

ب ـ إيجاد حيوانات مهندسة وراثياً لاستخدامها في تحقيق أهداف طبية أو علاجية.

جـ ـ البحث عن وسيلة «مثلى» لتعديل الحيوانات وراثياً، بحيث تستطيع إنتاج «البروتينات» البشرية، وتعمل على مقاومة الأمراض.

هذه هي أهم أهداف إجراء التجارب على الحيوانات في ظلال الشرعية الإسلامية الداعية إلى طلب العلم، بل جعلته يصل إلى حد الفريضة بقدر الحاجة الماسة إليه.

هذا، وإذا كان القرآن الكريم هو كتاب الله المسطور، فإن الكون هو كتاب الله المنظور فلا مانع على الإطلاق من إجراء التجارب على جميع الحيوانات، والمضي قدماً في جميع التجارب التي تحقق الخير للإنسانية، شرط الالتزام بالضوابط الشرعية، لأن العلم المنفلت من الشرعية يفتقر إلى الأخلاق، وقد يضر أكثر مما يفيد، ويكفي رفع بعض العلمانيين شعار: اليوم ضفدع وغداً إنسان، اغتراراً ببعض النتائج التي تم التوصل إليها بصورة غير مشروعة.

لذا لا مفر من وضع الأطر والضوابط الشرعية والقانونية لحماية الإنسان من شرور أخيه الإنسان، وحتى لايتحول معمل التجارب العلمية إلى قنبلة نووية تدمر حياةالإنسان من حيث يدري أو لايدري، إذا لم يلتزم بالضوابط الشرعية والأخلاقية عند إجرائه للتجارب على الحيوانات، أي حيوانات، قبل فوات الأوان ●

الهوامش:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب الحج ج٨ ص ٣٥٣، برقم ٢٨٦٠ طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج ج٨ ص ٣٥٣، برقم ٢٨٥٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب الصيد والذبائح ج١٣، ص ١٠٧، برقم ٥٠٢٨، الطبعة السابقة نفسها.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ج٤ ص ١٠٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المساقاة ج٣، ص ٧٧.

بقلم: إبراهيم نويري

الأمة الإسلامية... وواجب البحث عن سبيل انعتاقها الفكري والحضاري

عندما قال فيلسوف فلاسفة فرنسا رينيه ديكارت قولته الشهيرة: «أنا أفكر إذاً أنا موجود»، لابد أن يكون قد أدرك سراً من أهم وأكبر أسرار الكون والحياة، بل إنه لم ينطق إلا بالحكمة التي هي رأس العلم... فالإنسان ما خُلق إلا ليفكر ويُجهد عقله وحواسه، ليبلغ ويحقق الأهداف والإنجازات المنوطة به بعد ذلك، وقد ارتقى الإسلام بالتفكير حتى جعله قمة أنواع وصور العبادة والعمل، بيد أن التفكير المقصود والمراد ها هنا، التفكير العملي الذي يجعل من الجهد العقلي «برامج تغيير»، و«خطط تنمية» و«مشروعات عمل»، ذلك أن التجريد العقلي، أو التفكير الذي يغلب عليه «النزوع التجريدي» يُعدّ من أبرز الأسباب التي أدت إلى المستوى الحضاري الذي عليه أمتنا العربية والإسلامية، فأمتنا اليوم وبرغم الرصيد العقلي والحضاري الضخم الذي يتوافر لديها هي في موقع لا تُحسد عليه، بل إنها في مرتبة بين الأمم تثير الشفقة وتبعث على الحزن واللوعة!.

هذه الوضعية المزرية تعكس في الحقيقة وجود أزمة صميمة في جهازنا الفكري، وبالتالي في شبكة علاقاتنا الاجتماعية، لأن واقعنا وحركة سيرنا لا ينسجمان مع رصيدنا الحضاري والعقلي والمعرفي.

يشير بعض الكتاب العرب الذين يعنون بمسائل النهوض والتنمية، إلى أن النهضة العربية بدأت في تاريخ موازٍ للنهضة في اليابان، وإذا أردنا الدقة أكثر، فإن النهضة العربية بدأت قبل النهضة اليابانية بنحو عشر سنوات، ولكن لننظر إلى موقع اليابان، وإلى موقعنا نحن في ساحة النهوض والتقدم والانطلاق.

يذكر المفكر الإسلامي الدكتور محمود سفر في كتابه القيم «إنتاجية مجتمع» أن اليابان أرسلت إلى مصر في - عهد الخديوي إسماعيل - بعثة لتدرس أسباب تقدم مصر عليها... ولتقف اليابان موقف التلميذ من مصر تتعلم وتستفيد!.

إنني اعتقد جازماً أن مشكلتنا في المقام الأول إنما هي مشكلة فكرية... ثم مشكلة فعّالية... والفعالية هنا تعني كيف نشحذ الطاقة الفكرية ونحوّلها إلى إنجازات عملية، وإلى مشروعات قائمة في عالم الواقع، أو على الأقل إلى برامج موضوعية قابلة للتطبيق، فالفرد الياباني لا يملك من الموارد الطبيعية شيئاً يُذكر، ومع ذلك فاليابان اليوم تغزو العالم الأول «الدول الصناعية» بمنتوجاتها المتنوعة، وأضحت اليابان بمثابة الشبح المخيف الذي يرعب الغرب ويهدد مصالحه الاقتصادية وأسواقه الإنتاجية، لأن الفرد الياباني يملك الدماغ المدبِّر والعقل المفكِّر، أما العقل المسلم فمازال يعيش مشكلات واضطرابات كثيرة فكرية وتصورية، فضلاً عن المعضلات الأخرى التي يصطدم بها خلال حركيته الراهنة، وهي تُعد بالنسبة لمصر تحدٍّ كبير وواضح.

الفرد ودوافعه الفعّالة

ويظل الأمر الذي يجب التشديد عليه بهذا الخصوص يتعلق بمردود «عمل الفرد»، وعلاقته بـ«المردود الاجتماعي العام»، هذه القضية الحيوية التي اتخذت كمرتكزات رئيسة للكثير من المعادلات الاجتماعية والحضارية، إذ يجب دراسة مختلف العوامل التي تجعل من الفرد عنصراً منتجاً وفاعلا في مناخ اجتماعي وسياسي ما، بينما يتحول ذلك الفرد نفسه إلى كتلة من الخمول، والجمود واللافاعلية تحت تأثيرات مناخ آخر، وفي واقع سياسي واجتماعي مخالف!.

فهذه مشكلة نلاحظها في واقعنا الاجتماعي، وليس من شك أن غضَّ الطرف عنها، وعدم التفكير بوضع معالجات واقعية ومنطقية لمحاصرتها واستئصالها، إنما هو إصرار على تأخير مؤكد لعملية التنمية والاستنهاض الحضاري والاجتماعي.

إن التشديد على هذه المسألة لايعني أنها مجهولة في حركيتنا الفكرية والثقافية الراهنة، فهناك دراسات عدة في المكتبة العربية والإسلامية حاولت التصدي لمعالجة إشكالية التقدم والتخلف، وأزمة «الإنسان» المسلم المعاصر. كما حاولت التأسيس لفكر حضاري جديد يستهدف تبصير المسلم المعاصر بحقيقة واقعه، ومحاولة النهوض بمستواه الفكري والاجتماعي والحضاري. ويمكن اعتبار مالك بن نبي - يرحمه الله - رائداً لهذه المدرسة المميزة في الفكر الإسلامي المعاصر.

كما يمكن الإشادة أيضاً بكتابات المفكِّر الدكتور محمود سفر - وهو من رموز مدرسة الفكر الحضاري - ففي كتابه «ثقب في جدار التخلف» الكثير من المعالجات الناضجة والواعية والمدركة لطبيعة المسلم ولمشكلاته الراهنة، وإلقاء المزيد من الأنوار والأضواء على قضايا حساسة تتعلق بالإنسان والقيم والمجتمع والبناء الحضاري، ومن تلك القضايا مسألة الفاعلية الروحية التي يعتبرها الدكتور سفر من أهم مرتكزات الانطلاق الحضاري بالنسبة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية التي ترنو إلى مستقبل مشرق تتعزز فيه إنسانية الإنسان المسلم، وتحقق فيه أمتنا مكانة لائقة بقدسية رسالتها الخالدة، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس. ولا ريب أن هذا الأمر يقتضي أن تحتل مكان الحصان وليس القاطرة أو العربة، لأن من معاني رسالتها لخالدة ودلالاتها الريادة

النهضة العربية بدأت قبل النهضة اليابانية بنحو عشر سنوات

الإنسانية، والشهادة على الخلق فلننظر بجد، ونعمل عقولنا بعمق لنرى ما إذا كنا في مستوى المسؤولية الإلهية التي أنيطت بنا والتي هي في واقع الأمر رسالة وشرف أو مسؤولية واصطفاء.

ومن ثمَّ فإن الإخلاص لهذه الرسالة، وهذا الاصطفاء، يقتضي منا جميعاً العمل المتواصل، والعرق المتصبب، والإصرار الفاعل على تخطي وتجاوز مراحل الهوان والضعف والانحطاط، أملاً في إدراك الانسجام، وإحداث التفاعل المطلوب مع مواريثنا الثقافية ورصيدنا الحضاري.

الإخلاص للرسالة الإسلامية يقتضي العمل المتواصل لتخطي مرحلة الانحطاط

مسؤولية المفكرين

إن واجب المفكرين اليوم حيال واقع أمتهم واجب خطير، وجسيم حقاً، وإنني أرى أن الدور الذي ينبغي أن يضطلع به اليوم مفكرو أمتنا العربية والإسلامية، هو الدور ذاته الذي قام به في القرون الستة الأولى الفقهاء والمجتهدون من أصحاب المدارس والمذاهب، ولكن مع الاختلاف في مساحة وإطار العمل والجهد، فإذا كان العمل الكبير والجبار الذي أنجزه الفقهاء والمجتهدون يتعلق أساساً بالمجال التشريعي، والتأسيس التنظيمي والتنظيري للمجتمع والدولة، وما تفرع عن ذلك أيضاً من أقضية ومسائل ذات صلة بالتركيبة الداخلية للمجتمع، والدولة، كمسألة الضبط التشريعي لحقوق وواجبات غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ومسألة المواطنة والحرية الفكرية... إلخ، أو ذات صلة بعلاقات الدولة الخارجية، فإن عمل المفكرين وجهودهم اليوم ينبغي أن يتركّز في المقام الأول حول دائرة رفع التحدي الحضاري الذي يؤرق واقع أمتنا، ويقضّ مضاجع المخلصين من أبنائها الغيورين، وليس من شك أن بدء السير في هذا الطريق، إنما يكون أولاً بمعاينة المرض، وتحديد بداية خط الانحراف في مسارنا التاريخي، والفكري والحضاري، مع تمثل الحرقة الشعورية الصادقة، واكتساب آفاق الرغبة الحقيقية في تجاوز عقبات التخلف والانحطاط، وإيقاف نزيف التآكل الذاتي المستمر.

أمر آخر نرى أنه من الأهمية بمكان، والمتمثل في استخدام أدوات ومناهج هذا الإنجاز الكبير، إذ لابد من التسلح بجملة من الأدوات والمناهج الكفيلة بتحقيق الغايات والأهداف المطلوبة، ذلك أن التراكم في الجهود، أو العمل العشوائي لا يفضي إلى المأمول من النتائج، وهذا ما أثبتته جل تجارب البناء الحضاري.

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور عبدالحميد أبو سليمان: «على مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها أن يعلموا أن المسؤولية - في وضع الأمة على جادة القدرة والتقدم - تقع على عواتقهم قبل سواهم، وأن سواهم في ذلك إنما هو تبع لرؤيتهم ومشورتهم.

وأنهم بقدر صمودهم وصبرهم ونجاحهم في تقديم الرؤية والمشورة الصحيحة ووضعها بالأسلوب العلمي السليم المقنع، بقدر نجاحهم في تحريك الأمة لخدمة رسالتها وبناء حياتها.

إن مدى تحرك الأمة نحو القدرة الإسلامية المبدعة لبناء الحياة هو مقياس نجاحهم في أداء واجبهم، وبقدر تقصيرهم في إنجاز هذا الدور، بقدر ما تتعاظم معاناة الأمة ويزداد تخبطها واستعصاؤها على الاهتداء إلى الجادة وبناء الحياة».

هل إلى الانعتاق من سبيل؟!

إن تخلف أمتنا وبعدها عن التأثير العالمي ليس قدراً لا يمكن صده أو تغييره، ولكنه ظاهرة أو مشكلة لها أسبابها الموضوعية، فإن وُضِعت تلك الأسباب تحت الدراسة العلمية المعمَّقة، أمكننا الوقوف على تفاصيل المشكلة وإدراك جوانبها المختلفة، وبذلك نكون أيضاً قد وضعنا جهودنا ووقتنا على عتبات الطريق الصحيح، لأنه من الطبيعي أن يمثّل مجرد الإحساس بالمشكلة وعياً متقدماً، إذ إن الخطر الحقيقي يكمن في استمرار الغيبوبة القائمة على تجاهل «الواقع: المشكلة» والاطمئنان لحال التكديس والتراكم الناجمة عن إبداع وفاعلية الآخر الثقافي والحضاري.

فالعقلية الاستهلاكية المنسجمة مع إبداعات وعطاءات الآخرين، هي بهذا المعنى جزء من تفصيلات وفروع المشكلة الأم.

وقد بُذلت في هذا الطريق خلال السنوات الأخيرة ولاسيما على مستوى التشخيص مجهودات خصبة خيرة لكثير من المؤسسات والمنظمات، وكذلك لبعض الأفراد، ويمكن الإشارة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بوصفه نموذجاً رائداً في بذل الجهود والاجتهادات المتلاحقة، المتعلقة بواقع أمتنا ومشكلاتها الكثيرة التي أدت بها إلى ما هي عليه الآن.

وقد أثبتت تلك الجهود أن الأصل الأول لسائر مشكلاتنا إنما هو الفكر، يقول الدكتور طه جابر العلواني: «لقد بدا لنا من خلال التأمل الطويل في الأمر، وتقليب وجوه النظر، ومراجعة التجارب السابقة التي بذلتها الأمة للخروج من أزمتها وتقويم هذه التجارب تقويماً دقيقاً أميناً موضوعياً، أن النقطة الصحيحة في عملية التغيير يجب أن تبدأ بالفكر، ذلك أن الفكر هو المقدمة الطبيعية لكل عمل ينبع منه صحيحاً كان أو خاطئاً.

ومعنى ذلك أن الفكر الصحيح هو الذي يوجد النهضة الصحيحة، وهو الذي يأخذ بيد الأمة للخروج من أزمتها الخانقة».

إن دراسة أساليب تفكير العقل المسلم ليست غاية أو هدفاً في ذاتها، إذ من البداهة أن هذا العقل ذاته يستمد وزنه وقيمته من ارتباطاته في التغير والإنجاز وتحقيق دلالات وآفاق رسالة الإنسان المسلم المتضمنة لقيم الإصلاح والبناء، والاستخلاف والإعمار.

إن هذا التحديد المتعلق بإطار عمل الفكر الإسلامي، ونشاط العقل المسلم، يؤكد أيضاً من جهة أخرى، قيمة وأهمية الجهود التي تبذل في سبيل تجاوز أمتنا للأزمة التي تعيش آثارها في شتى مجالات وجوانب حياتها، كما يؤكد كذلك عظم المسؤولية الملقاة على كاهل النخبة الواعية، من العلماء والمفكرين وذوي الكفاءات والقدرات المميزة، ولا ريب أن المسؤولية تتضاعف كلما تكاثرت التفاتات الحائرين من بني الإنسان، باحثة عن قيم للنجاة، وسبيل للخلاص ●

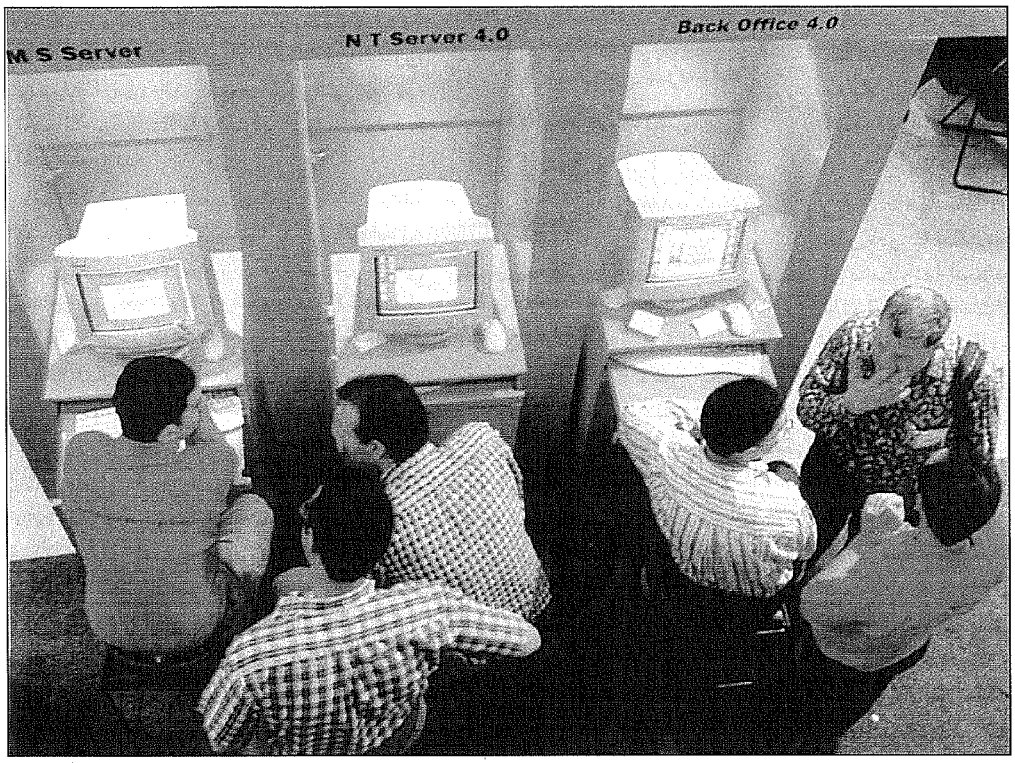

الحلقة (٢/١)

تخليق الإدارة العمومية في المنظور الإسلامي

بقلم: د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس

إذا كانت الإدارة هي مرآة الدولة والأخلاق أساس من أسسها تقوم بقيامها وتنهار بانهيارها، فإن مسألة تخليق الإدارة تبدو دعامة أساسية من دعائم تقدم الدول وازدهارها، ولذلك فإن الحديث عن هذا الموضوع في المجتمع الإسلامي وفي زمن استشرى فيه الفساد الإداري وتفاقم فيه التسيب الأخلاقي لابد أن يراعي الجانب الديني الذي لاينكر أحد أهميته في دعم أخلاقيات الحياة العامة والحياة الإدارية منها على وجه الخصوص إذ من العسير أن تجد الأخلاق لها مكاناً في عالم يقيس كل شيء بمعيار مادي، أما نحن في البلاد الإسلامية فمازلنا - إن نحن أدركنا الأمر - أقرب إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والذي يشفع لهذا التوجيه أن مصطلح التخليق الذي يعتبر مصطلحاً حديث الظهور تم توليده من لفظة الأخلاق التي تعبر عن منظومة السلوك الرفيع الذي كان الإسلام سباقاً إلى الاهتمام بها والدعوة إلى التحلي بها، مما ينبئ أن تفعيل ودعم الأخلاقيات في الإدارة العمومية لا يمكن أن يتم بمعزل عن التفكير في الاستنجاد بالدور الديني في تهذيب السلوك وتقويم التصرفات وتصحيح العزائم وتقوية الإرادات، إذ لا يخفى على أحد ما للبواعث الإيمانية من جهة وقيم التقوى والخشية والاستقامة من جهة أخرى من أثر بالغ في جعل الموظف الإداري ينضبط بالسلوك الأخلاقي القويم والتدبير الحسن للأمور مراعياً في كل ذلك مراقبة الله تعالى قبل مراقبة الإدارة المسؤولة، إن المرافق العامة التي تعتبر أجهزة عمومية أعدت لخدمة مصالح المواطنين والمصلحة العامة ينبغي أن تكون مطبوعة بأخلاقيات عالية تسمح بإشاعة ثقافة تدبيرية وإدارية مبنية على مبادئ النزاهة والشفافية والإخلاص في خدمة الصالح العام. وإذا كان الإسلام يهدف إلى تنمية البواعث الإيمانية والروحية في الموظف الإداري وجعله يدرك أن التقرب إلى الله يكون عن طريق نفع الناس والسعي في صالح المواطنين، فإنه لابد بالمقابل من سن التشريعات أو قوانين الأخلاق التي تهدف إلى الرفع من حساسية الموظفين الإداريين إزاء النواحي الأخلاقية وضوابط السلوك الإداري المطلوب. إن التوجيه والإرشاد بشأن أهمية السلوك الأخلاقي والتوعية بمخاطر الوقوع في مختلف مظاهر الفساد الإداري يشكل عنصراً ضرورياً في الحفاظ على

نزاهة الإدارة.

إن من مزايا الإسلام، أنه ربط جميع المعاملات في الحياة العامة بما فيها الحياة الإدارية بالأخلاق والسلوك المحمود، ولذلك لم تكن نظرته إلى موضوع تخليق الإدارة نظرة تجزيئية ضيقة، بل هي نظرة شمولية وهادفة، فدعم أخلاقيات الإدارة لا يعني فقط في المنظور الإسلامي محاربة الرشوة والحفاظ على المال العام ومناهضة المحسوبية وما إلى ذلك، بل لابد من ترسيخ مفاهيم المسؤولية والرعاية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١) ومراعاة حقوق الناس وحرماتهم وكذا العمل على تيسير علاقة المواطنين بالإدارة ودراسة تظلماتهم وشكاويهم وحمايتهم من كل أشكال التعسف والشطط لدى المسؤولين الإداريين.

إن نظرة الإسلام الشمولية إلى موضوع تخليق الإدارة تنطلق من كون الأخلاقية الإسلامية تأخذ مفهوماً واسعاً شاملاً يوحد توحيداً كاملاً بين الإيمان والعبادات والمعاملات المجتمعية ومنها المعاملات الإدارية أي أنه لايفرق مطلقاً بين الروحانيات والماديات فبقدر ما يتدخل في الشؤون العامة يتدخل في الشؤون الخاصة، لذلك كانت الرقابة الإلهية التي ينبغي للموظف الإداري أن يراعيها قبل الرقابة الإدارية والتي تقوم عليها الأخلاق الإسلامية لا تتناول عملاً وتدع آخر، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التي يقف فيها المسلم خاشعاً بين يدي الله إلى الحرفة أو العمل الإداري الذي يباشره قياماً بواجبه في الوظيفة العمومية، فالصلاة مثلاً إن أديت بضوابطها وخشوعها كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر ورادعة للموظف الإداري عن السقوط فيما هو محظور، وللتدليل على أهمية هذا الأمر في تخليق المسؤول الإداري لا نجد أروع من الإشارة إلى ما افتتح به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطابه عندما كتب إلى عماله في الأمصار قائلاً: «إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع»(٢) أي من ضيع حق الله تعالى الذي هو الصلاة ولم يحافظ على أوقاتها فهو لغيرها من الأعمال والواجبات والمسؤوليات أضيع.

تهذيب الضمير الخلقي

من جهة أخرى، فإن الأخلاقية الإسلامية تهدف إلى تهذيب الضمير الخلقي للموظف الإداري، فإذا كان الضمير الإنساني يتكون بحسب ما يتغذى به من ثقافة وبيئة وتربية وغيرها من الأمور التي لا تسري على نمط واحد في حياة الأفراد، بل في حياة الفرد الواحد، فإنه لابد من التأكيد على أن الضمير ليس قوة فطرية معصومة بطبيعتها لأنه كثيراً ما يغشيه الهوى وتسيره المنفعة الخاصة، فإذا ربي ضمير الموظف الإداري على معنى التحرر من قيم الأخلاق الكريمة أو اعتبارها نسبية لا ترتبط بمُثُل ثابتة فإن الضمير في هذه الحالة ينساق وراء هذا التيار.

إن تخليق الإدارة في المنظور الإسلامي عملية مرتبطة بتهذيب خلق الموظف الإداري وإيقاظ ضميره، ولاشك أن سلوك الإنسان في حياته ومسالكه وأعماله فيها إنما هي صورة لما استقر في نفسه من قيم وما نقش على قلبه من مُثُل ومبادئ، ولذلك كانت القيم والمبادئ والمثل الإسلامية هي التي توقظ الضمير وترشده وتمنحه السداد وتوجهه، وبالتالي فإن الحديث عن دعم الأخلاقيات في مجال الإدارة العمومية تستدعي الحديث عن إيقاظ الضمائر الحية لدى المسؤولين الإداريين وتهذيبها والعمل على توظيف الجانب الخيِّر فيها في حسن تدبير الأمور الإدارية وخلق مناخ أخلاقي تسوده النزاهة والاستقامة والتفاني في خدمة الصالح العام.

إن الضمير الخلقي أو الوازع الخلقي لا يخرج في مفهومه الإسلامي عن الضمير الديني أو الوازع الديني وكما أنه لايعتد في الإسلام بخلق دون دين، كذلك لايعتد أيضاً فيه بضمير دون دين. ولو تبصرنا ملياً لعرفنا أن أساس الضمير ودعامته هو الإيمان بأن الله تعالى رقيب على أفعال الناس مطلع على ما تكنه الضمائر والسرائر «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، وهكذا إذا أيقن المسؤول في الإدارة العمومية باطلاع الله تعالى على حركاته وسكناته وما يقوم به من أعمال ويوجهه من رتصرفات أثناء مباشرته لمصالح المواطنين، فإنه لاشك سيستحيي من الله الرقيب عليه القريب منه، ولقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يزكي المرء نفسه ويصفيها؟ فأجابه: أن يعلم أن الله معه».

وهكذا يمكن القول إن من أكبر دوافع الممارسات اللاأخلاقية انعدام الضمير الخلقي أو الديني لدى الموظف الإداري، فإذا أصبح هدف الخدمة الإدارية هو الحصول على ما يمكن الحصول عليه من امتيازات غير مشروعة طالما كان ذلك ميسراً فلن يكون هناك اعتبار للأخلاق، وبالتالي فإن تغييب المرجعية الأخلاقية والشعور باللامبالاة إزاء الأخلاق أو النظر إليها من منظور نسبي كل ذلك يدفع إلى ممارسات لا أخلاقية في المجال الإداري لا تخدم المصلحة العامة، إن الموظف الأخلاقي هو الذي يدفعه ضمير خلقي رفيع ويوجهه ويردعه معتقداً بجزم وبيقين أن هنالك مبادئ أساسية وقيماً سامية تشكل ركيزة ممارسة الوظيفة الإدارية عليه أن يلتزم بها، وأن لا يحيد عنها. ولعل هذا ما يجعلنا نؤكد بقوة على أن الإسلام لا يهتم بالجانب الزجري فحسب، وإن كان أمراً ضرورياً يُمليه واجب التعزير على الوقوع في المخالفات والسلوكات اللاأخلاقية ولكنه يهتم قبل ذلك بالجانب الوقائي التحسيسي الهادف إلى التحذير من مغبة الوقوع فيما لا يرضي الله أولاً ولا يرضي الضمير الخلقي والمهني ثانياً، ثم التبصير بأهمية دعم مبدأ سيادة الأخلاق في الإدارة والمجتمع.

المسؤولية صفة ملازمة للموظف الإداري

من جهتها ينبغي على كل إدارة أن تعتني بموظفيها عناية بارزة تهدف إلى إشاعة ثقافة الأخلاق السليمة وذلك عن طريق اختيار أفضل العناصر وأقدرهم على تحمل المسؤوليات وتأدية الواجبات وبعث روح المبادرة والإبداع فيهم وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب عليهم الذي هو مبدأ إسلامي خالد، بحيث يتم توقيع العقوبة على المقصرين المفرطين، ومنح المكافآت للمستحقين والمتفوقين، وهذا ما يعرف في الأنظمة الحديثة بنظام قياس كفاءة الموظفين(٣)، ولا شك أن عمل الإدارة العمومية على تقوية حس المسؤولية عند الموظفين يسهم إلى

حد كبير في تحفيزهم على بذل قصارى جهودهم للإخلاص في العمل كي يكونوا موضع تقدير رؤسائهم لأن الموظف الذي يعلم أن أداءه لعمله سيتم تقييمه وتقديره ويؤخذ بالتالي أساساً موضوعياً لترقيته أو نقله أو مكافأته أو معاقبته سيحس بعبء المسؤولية الملقاة على عاتقه وسيعمل على أن يكون ملتزماً بحسن أداء المهام الموكولة إليه طابعاً كل ذلك، بالأخلاقيات اللازمة والانضباط المسؤول.

يعتبر إسناد المهام الإدارية إلى من ليس أهلاً لها تضييعاً للأمانة وتفريطاً في المسؤولية

إن الشعور بالمسؤولية يعتبر أحد الخصائص الأساسية المطلوبة في الموظف الإداري حتى إنه يمكن أن يعرف بأنه «الموظف المسؤول»، والمسؤولية صفة تلازم الإداري في أي موقع كان وهي تبدأ معه منذ مطالبته بممارسة مهامه وواجباته الإدارية غير أنه بالرغم من أن الإسلام يؤكد المسؤولية الفردية والشخصية ويعتبرها هي الأساس، فإنه لايهمل المسؤولية الاجتماعية التي تجعل الموظفين في مجال التدبير الإداري متضامنين ومتماسكين على تحقيق النفع العام، يشترك جميع المسؤولين من رؤساء ومرؤوسين في تحمل مسؤولية حسن تدبير وتخليق الإدارة التي أنيطت بهم مهمة تحريك عجلتها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث تتعدى مسؤولية الإنسان أفعاله الخاصة، ومقاصده إلى نطاق مجموع المجتمع الإداري الذي يتحرك ويمارس عمله في إطاره فهو في الوقت الذي يعتبر فيه مسؤولاً عما يصدر عنه من أفعال وتصرفات وممارسات، فإن الإسلام لايعفيه من المسؤولية عما يجري في محيطه الإداري ويدور حوله ويقع من غيره، وخاصة إذا كان هذا الغير ممن يقع تحت مسؤوليته ورعايته من موظفين ومرؤوسين وغيرهم وفي الحديث: «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه»(٣م)، فالمبدأ الإسلامي «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» يشمل المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية على السواء، وهذا ما ترمي إليه فلسفة الأخلاق في الإسلام التي ترى أن العمل الاجتماعي السلبي أو عدم المبالاة والاكتراث بتصرفات الآخرين المنحرفة تجرَّم بنفس الدرجة، فالامتناع عن الإسهام في التصحيح والتخليق والإصلاح يعتبر مشاركة سلبية في المخالفة المرتكبة، وقد لعن القرآن الكريم مجتمعاً من المجتمعات عندما لم ينكر بعضه على بعض فعلهم للشر ووصفهم بأنهم (كانوا لا لايتناهون عن منكر فعلوه).

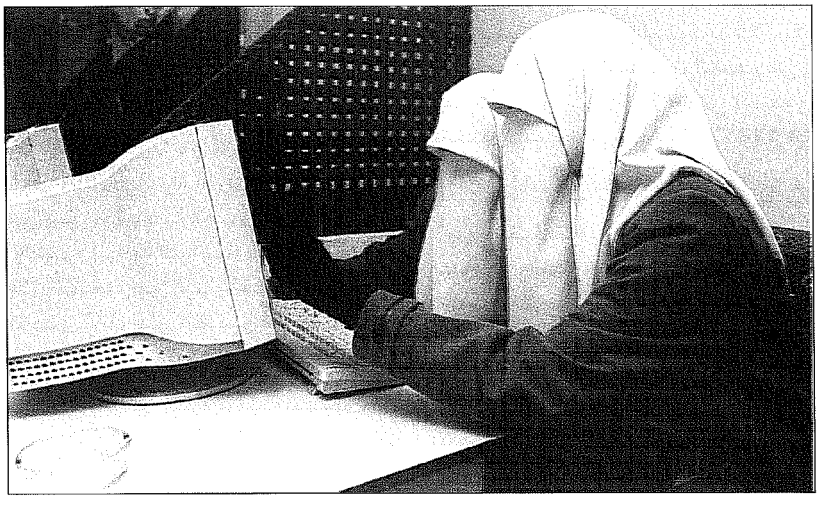

إن المسؤولية التضامنية التي لا ننكر أنه ليس من السهل تفعيلها وتكريسها قمينة بأن تسهم بشكل كبير في تخليق الإدارة تخليقاً فاعلاً يجعل كل أفرادها وموظفيها يراقب بعضهم بعضاً ويتحملون جميعاً مسؤولية إشاعة ثقافة إدارية تدبيرية متخلقة.

هكذا إذاً يمكن القول إن الإسلام عندما نظر إلى مسألة تخليق الإدارة نظرة شمولية هادفة، دعا إلى تفعيل السلوك الأخلاقي للموظف الإداري قبل التوظيف وبعده وتنمية الإحساس لديه بأهمية الالتزام بالشعائر الدينية التي تسهم في تهذيب السلوك وتزكيته وكذا ضرورة إيقاظ الضمير الخلقي أو الديني الذي يوجه الخطوات ويسدد التصرفات إلى حد ما، هذا فضلاً عن تحديد أهمية الإحساس بالمسؤولية الذي يعتبر الأساس وقطب الرحى الذي يبنى عليه مفهوم تخليق الإدارة، بالإضافة إلى كل ذلك سعى النظام الإسلامي في مجال التنظيم الإداري وبخاصة في صدر الإسلام إلى الحرص على مراعاة جملة من المبادئ والمفاهيم الإسلامية التي تحدُّ من شيوع مظاهر الفساد والتسيب الأخلاقي في المجال الإداري بصفة عامة، ولابد من الاعتراف بندورة النصوص التاريخية التي تصب في هذا الاتجاه، لأن مسألة تخليق الإدارة لم تكن مطروحة وقتئذ بالحدة نفسها التي نستشعرها اليوم، لكني من خلال ما تم استقراؤه من تلك النصوص، وتم استيحاؤه من التوجيهات القرآنية والنبوية أمكن الحديث عن بعض تلك المفاهيم والمبادئ حسب المباحث التالية:

مبدأ تولية الأصلح «الأمانة والكفاءة الإدارية»

إن عملية تخليق الإدارة لايمكن أن تتحقق بمعزل عن مراعاة اشتراط معايير محددة فيمن يراد منهم أن يكونوا ملتزمين بحد أدنى من السلوك الأخلاقي والضمير المهني، ولعل هذا ما جعل معظم الإدارات تشترط في ملفات قبول التوظيف شهادة حسن السيرة وألا تكون لديه سوابق سيئة تؤثر على مسلكه وسمعته ونزاهته، وتكاد تجمع جميع أنظمة الخدمة المدنية في العالم على التأكيد على ضرورة تمتع المرشح للوظيفة

العمومية بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة، وكثيراً ما تدعو إلى اتباع الأسلوب الموضوعي والبناء في اختيار الرجل المناسب والملائم لمنصب المسؤولية من أجل ضمان وضع المرفق الإداري في أيد أمينة قادرة على حسن التدبير والتسيير وفقاً للمبادئ الحديثة للإصلاح الإداري.

من جهتها عملت التوجيهات الإسلامية في مجال تعيين العمال والموظفين وغيرهم على مراعاة شروط الصلاح والكفاءة والأمانة فيمن يُراد توظيفهم، وذلك من أجل دعم المحافظة على نظام الأخلاقيات في الإدارة وأجهزة الدولة، فحسب المنظور الإسلامي يعتبر إسناد المهام الإدارية إلى من لايستحقها وليس أهلاً لها تضييعاً للأمانة وتفريطاً في المسؤولية الملقاة على من وكل إليه أمر التسيير والتدبير، فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»، قيل يا رسول الله وما إضاعتها قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»(٤) لذلك فإن من عناصر نجاح الإدارة اختيار الإداريين والعاملين بالدولة استناداً إلى عنصري الكفاية والمقدرة من جهة، والأمانة والأخلاق من جهة أخرى، ففيما يخص إدارة أموال الدولة مثلاً نهى القرآن الكريم عن أن يتولاها السفهاء وهم من لا يحسنون تدبيرها وصرفها. ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يولي على شؤون الناس أجدرهم وأصلحهم قوة وأمانة وكفاية فلا وساطة لديه ولا شفاعة ولا محسوبية، وقد روى الحاكم في مستدركه(٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله»، وكان الخليفة عمر بن الخطاب لا يولي من طلب العمل وهو ليس أهلاً له وقد كتب القاضي أبويوسف إلى أحد الولاة ينصحه أن يتحرى في اختيار عُمال الخراج قائلاً: (ورأيت أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج ومن وليت منهم فليكن فقيهاً عالماً مشاوراً لأهل الرأي عفيفاً لايطلع الناس منه على عورة ولا يخاف في الله لومة لائم... فإذا لم يكن عدلاً ثقة فلا يؤتمن على الأموال...»(٦).

إن ولاية أمر الناس وإدارة شؤونهم أمانة، ومن فرط في هذه الأمانة كانت له يوم القيامة خزي وندامة كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما طلب منه أبو ذر رضي الله عنه أن يؤمره فقال له صلى الله عليه وسلم: «إنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أمر بحق وأدى الذي عليه فيها»(٧) ويقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون).

لقد كان مبدأ تولية الأصلح في المناصب الإدارية ومصالح الدولة في صدر الإسلام شرطاً ضرورياً لضمان حسن تدبير أمور الدولة ولإشاعة ثقافة الأخلاق في السلوك الفردي والجماعي ولوقاية الصرح الإداري من كل تفريط أو إهمال سواء كان عمداً أو جهلاً، وإذا كانت التجارب الإدارية الحديثة تعمل في كثير من الأحيان على

الشعور بالمسؤولية يعتبر أحد الخصائص الأساسية المطلوبة في الموظف الإداري

التوظيف الموقت في انتظار اختبار عمل الموظف الإداري ووضعه تحت نظام قياس كفاءة الموظفين لتقييم أدائه لعمله ومسلكه قبل تأهيله بصفة رسمية، فقد لجأ النظام الإسلامي قديماً إلى هذه الوسيلة الناجعة من أجل ضمان تخليق فاعل للمؤسسات الإدارية وتولية العمال والموظفين الصالحين الذين يرجى ويؤمل منهم الإسهام في دعم قيم النزاهة الخلقية والاستقامة المهنية والعمل على تهذيب الحياة الإدارية بما يكفل حسن خدمة المواطنين وتحقيق المصلحة العامة، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه قد روي عنه أنه قال ليزيد بن أبي سفيان عندما ولاه عاملاً على الشام: «إني قد وليتك لأبلوك «أي اختبرك» وأجربك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك»(٨).

ومن أجل تدعيم حسن سير المرافق العامة وانتظامها وتخليقها عمل النظام الإسلامي على أن يكون مبدأ التفويض في السلطات الإدارية قائماً على مراقبة الرؤساء الإداريين لمن عهد إليهم ممارسة جوانب من السلطات والمهام، وقد تم الالتجاء إلى الأخذ بمبدأ التفويض في الاختصاص الإداري عندما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية بعد الفتوحات الهائلة خاصة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، غير أنه لم يتم الاهتمام بالشروط الموضوعية والشكلية للتفويض بقدر ما تم الاهتمام بأن يكون مبدأ التفويض قائماً على تفويض بعض السلطات أو الأنشطة الإدارية إلى من يراهم المفوض أصلح وأقدر على تحمل المسؤولية وذلك لضمان حسن تدبير المرافق العامة وتفعيل وسائل المراقبة الناجعة، وقد جاء في إحدى خطب عمر رضي الله عنه إلى ولاته وعماله على الأقاليم قوله: «... فلا والله لايحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ولا يتغيبني فألو فيه أهل الصدق والأمانة، ولئن أحسنوا لأحسنن ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم».

من هنا يتبيَّن إذن أن المفوض إليه ينبغي أن يكون صادقاً وأميناً في مباشرته للاختصاصات والواجبات المسندة إليه، كما أن التفويض ينبغي أن يكون دائماً تحت رقابة المفوض وهو ما عبَّر عنه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم».

وتحدث فقهاؤنا القدامى عن مبدأ تفويض السلطة حين جعلوا من أهم واجبات الوالي استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة»(٩).

وهكذا يمكن القول إن اشتراط النظام الإسلامي لصفات النزاهة والأمانة والصدق فيمن يخول إليهم تسيير بعض مرافق الإدارة يعتبر من المبادئ الأساسية لتطوير المناخ الأخلاقي للممارسة الإدارية والحفاظ عليه، وهو مبدأ لصيق بمبدأ الرعاية الذي قرره الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فمن مبادئ التنظيم الإداري الإسلامي أن يكون رئيس أو مدير الإدارة في موقف الراعي لشؤون أفراد التنظيم الحريص على حسن سيرها وتقدمها، فهو المسؤول عن مصالح الجماعة عن طريق الرعاية والمراقبة ●

متابعة: محمد مروان مراد

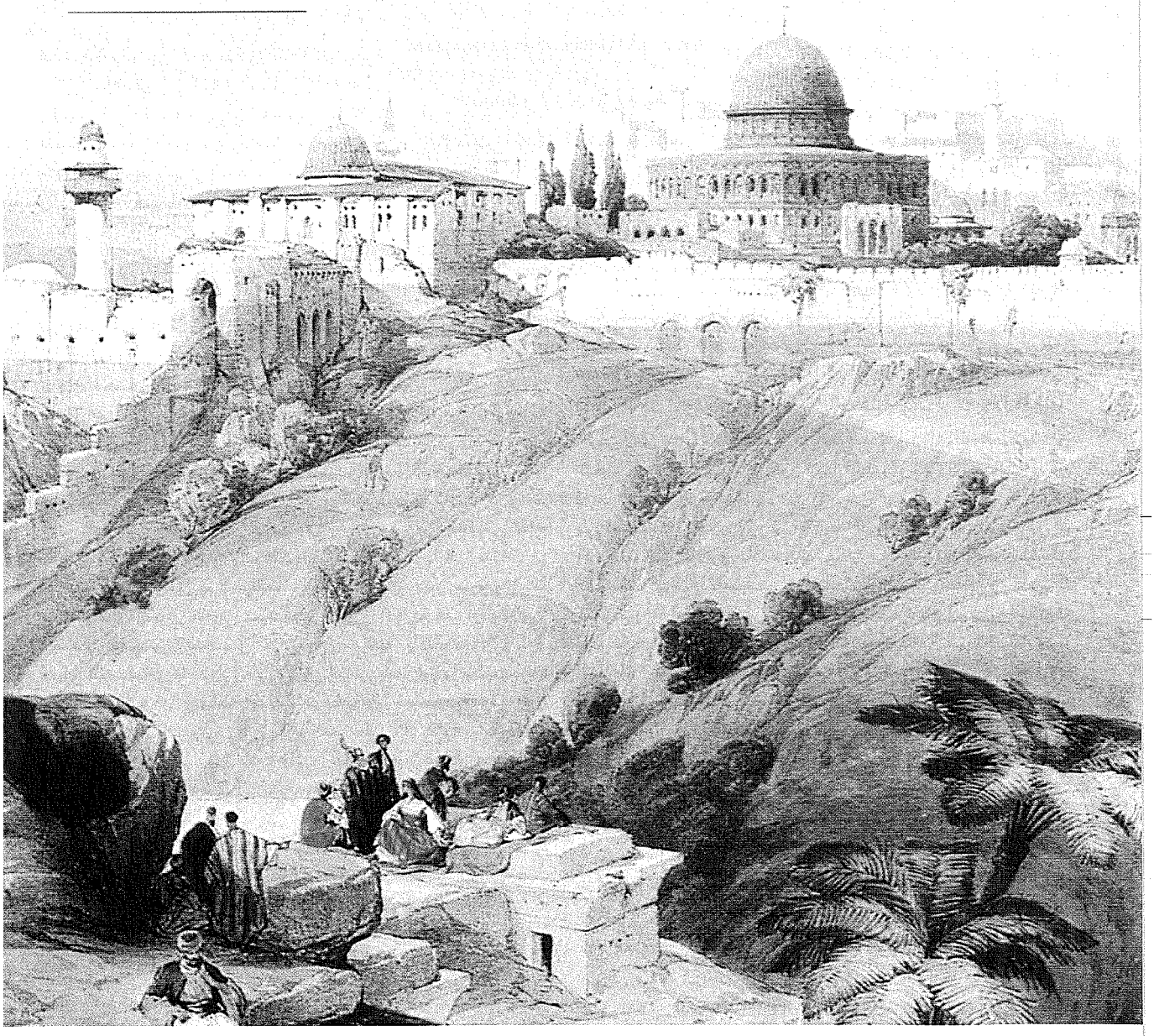

مؤتمر دولي في القاهرة ومشروع لاستعادة القدس العربية

عمران القدس ومحاولات تهويدها

حفلت الندوة الثقافية التي نظمتها لجنة العمارة بالمجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، بالكثير من المشاركات القيِّمة من قِبَل عدد من الباحثين المهتمين بتاريخ العمارة، والتي دارتَ حول «عمران القدس ومحاولات تهويدها».

تحدث المهندس المعماري «سمير ربيع» عن تطور تاريخ العمران في مدينة القدس، مستعرضاً أهم المراحل الفاصلة في تاريخ المدينة المقدَّسة، فأوضح أن تاريخ المدينة يعود إلى نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م، أي منذ نحو خمسة آلاف عام، حيث وجد على أرضها الكنعانيون واليبوسيون.

شعوب من كل مكان... احتلال وتدمير

وأورشليم كلمة فرعونية أصلها مدينة «سالم العربي»، أي مدينة السلام، وقد سجل نص كتابي عن المدينة في نقوش جداريات «تل العمارنة»، يطلب فيه حكام المدينة من الفرعون اخناتون الحماية والمساعدة، وقد تتابعت فترات مختلفة على المدينة، وتم احتلالها عشرين مرة، وتدميرها نحو ثماني عشرة مرة على مر العصور.

- فقد عاشت ثمانمئة عام تحت حكم البابليين والفرس والإسكندر الأكبر والبطالمة والرومان.

- ومدة ٥٤٠ عاماً في الفترة من ١٠٠٠ إلى ٥٨٦ ق.م تحت الحكم اليهودي المتبادل مع قبائل اليبوسية والهاسونيون وأهل فلسطين.

- ومدة ٤٢٧ تحت حكم المسيحيين والرومان والبيزنطيين والحروب الصليبية. والاحتلال البريطاني ٣١ عاماً.

- ومدة ١١٩٣ عاماً تحت الحكم الإسلامي والعرب الأوائل «الفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتراك».

- ثم تحت الحكم الفلسطيني والصهيوني متداخلة من ١٩٤٨م - ٢٠٠٠م.

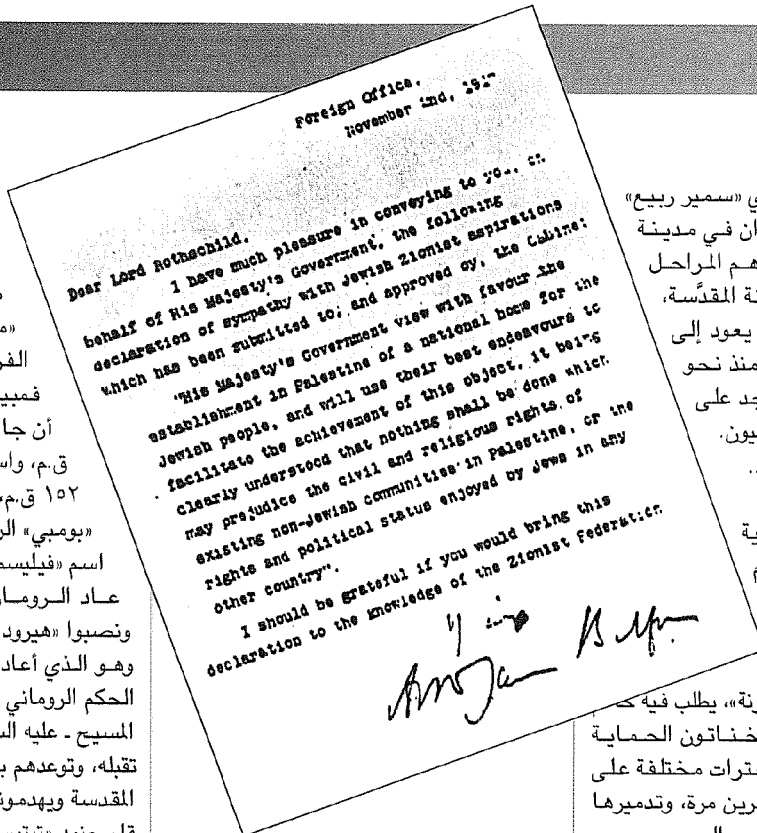

Foreign Office.
November 2nd, 19..

Dear Lord Rothschild.

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet:

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country".

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist federation.

● الموعد المشؤوم...أعطى مَن لايملك لمن لا يستحق ●

ويذكر الباحث أنه في نحو العام الـ١٠٠٠ ق.م تمكَّن داود عليه السلام من تجميع قبائل اليهود والقبائل الأخرى من العبرانيين واليبوسيين، واختار أورشليم التي تم تخصيصها لتشمل كل القبائل المتناحرة دون تفضيل، والتي تشبه المدينة المصرية التي تخدم قصر الحاكم وجيشه، وبنى داود لنفسه قصراً ومعبداً، وحكم هو وابنه سليمان وقام ببناء سور حول المدينة.

- ثم دخل البابليون أورشليم عام ٥٦٨ ق.م ودمروها حتى أصبحت صحراء مهجورة على يد «مردوخ» ملك بابل، ثم جاء الفرس في عام ٥٣٩ ق.م بقيادة قمبيز» وأعادوا بناء أورشليم، إلى أن جاء «الإسكندر الأكبر» عام ٣٣٢ ق.م، واستمر حكم اليونانيين حتى عام ١٥٢ ق.م، وفي عام ٦٣ ق.م، دخل «بومبي» الروماني أورشليم، وأطلق عليها اسم «فيليسطيا أو باليستيا باللاتينية»، ثم عاد الرومان مرة أخرى عام ٤٠ ق.م، ونصبوا «هيرود» حاكماً عليها حتى عام ٤ ق.م وهو الذي أعاد بناء أسوار المدينة، وخلال الحكم الروماني ووجود «بيلاطس البنطي» ظهر المسيح - عليه السلام - ودخل أورشليم التي لم تقبله، وتوعدهم بأن الأعداء سيحاصرون المدينة المقدسة ويهدمونها حتى تستوي بالأرض، وقد قام جنود «تيتوس» الروماني بتدمير المدينة، ولم يتبق سوى الحائط الغربي لسور المدينة، ووجد فيه اليهود عزاءهم وسموه «حائط المبكى» قدس الأقداس.

- ووصل «هدريان» إلى أورشليم عام ١٣٠م، وبنى بدلاً منها مدينة جديدة تسمى «إيليا كابيتولينا» وحرم اليهود من دخول أورشليم.

القدس الإسلامية

- وحدثت واقعة الإسراء عام ٦٢٠م، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - دخلت جيوش المسلمين القدس عام ٦٣٨م، ولم ترق الدماء، واختار عمر رضي الله عنه موقعاً على الحافة الجنوبية للدكة، «حيث يقع المسجد الأقصى الآن ليبنى مسجداً يتسع لـ٣٠٠٠ مصل، وبعد انتقال الخلافة الأموية إلى دمشق كعاصمة للإمبراطورية الإسلامية، قام عبدالملك بن مروان بإصلاح الأسوار وبوابات بيت المقدس، وبنى داراً للإمامة، وأهم إسهاماته بناء قبة الصخرة عام ٦٨٨ لتنافس قبة القيامة.

- وفي عام ٧٠٩م أمر الوليد بن عبدالملك بتشييد مسجد جديد يحل مكان مسجد عمر على موقعه نفسه، وعندما حكم ابن طولون مصر وسورية وفلسطين سمح لليهود القرائين بإنشاء حي منفصل خارج أسوار المدينة على المنحدر الشرقي، ثم قام «الأخشيد» ببناء مسجد جديد على التل الغربي قرب كنيسة

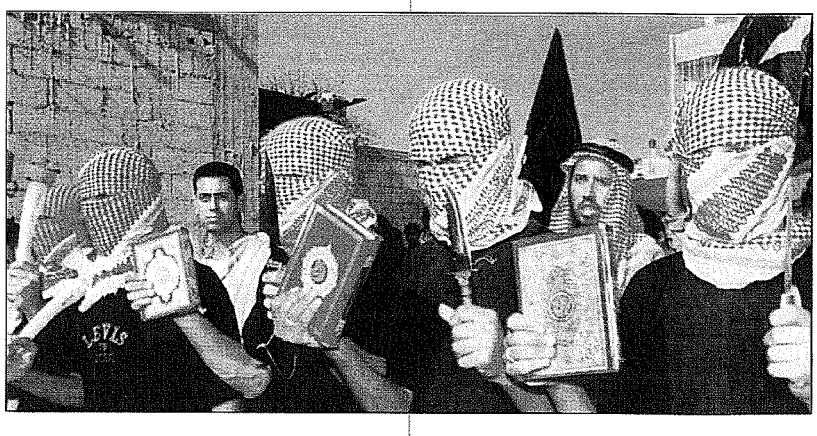

القيامة باسم الخليفة عمر. وفي حكم الخلافة الفاطمية عام ٩٨٣م، تم إعادة تشييد كنيسة القيامة ومبنى الشهداء بعد أن تم تدميرها عام ٩٦٦م.

- وفي عام ١٠٦٣م صار للمسيحيين جزء خاص بهم وكان يحدُّ ذلك الجزء السور الخارجي الممتد من القلعة وحتى البوابة الغربية للمدينة، وكان الأرمن القادمون الجدد قد بدؤوا في توطيد أقدامهم بشراء المنازل المجاورة لمبنى الأديرة، وأصبح هناك حي الأرمن في الركن الجنوبي الغربي من المدينة.

- ثم جاء الاحتلال التركي للقدس عام ١٠٨٩م، وتم بناء مسجد جديد ومدرستين للفقه الإسلامي.

ووصل الصليبيون المسيحيون عام ١٠٩٩م إلى بيت المقدس، وعمدوا إلى طمس حضور المسلمين بتحويل قبة الصخرة إلى كنيسة وبناء الكثير من الكنائس على الطراز الزمني الرومانتيكي.

- دخل صلاح الدين الأيوبي القدس الشريف عام ١١٨٧م لتصبح المدينة إسلامية تماماً، فقبل الصليبيين كانت قدس المسلمين تتكون بشكل كلي من مبان حول الحرم، وفي عصرالأيوبيين قدَّر للقدس أن تكون مدينة الإسلام بشكل واضح، وتم تحويل الكنائس إلى مساجد مثل كنيسة القديسة أنَّا ومنزل البطريرك إلى خانقة، واستقر المسلمون المغاربة في الركن الغربي من الحرم، وأصبح حي المغاربة سمة جديدة من سمات القدس.

- وفي العصر المملوكي هزم الظاهر بيبرس جيش المغول في الجليل عام ١٢٦٠م، وشيد خراجين أحدهما للنبي موسى غرب أريحا والآخر للنبي صالح في رام الله.

- وقام السلطان الناصر حسن عام ١٣٤٧م والصالح عام ١٣٥٤م بتجديدات كبيرة في المسجد الأقصى، وتم وقف مدارس وأربطة جديدة في المدينة وحول الحرم، وخلّف المماليك كل اللمسات المعمارية ذات الزخارف والنقوش والأقبية التي لا تزال موجودة حتى الآن.

- وفي عهد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠م - ١٥٦٦م تم إعادة بناء أسوار المدينة، وبلغ طول الحائط الذي مازال قائماً حتى الآن ميلين وارتفاعه قرابة أربعين قدماً، وكان به ٣٤ برجاً. ولم يهمل الحرم، فرمم الحائط الخارجي لقبة الصخرة بالرخام والفسيفساء، وأصدر سليمان فرماناً يسمح لليهود بالصلاة عند الحائط الغربي، في ممر عرضه ٨ أقدام بين السور وحي المغاربة الذي أزالته إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧م بالقوة.

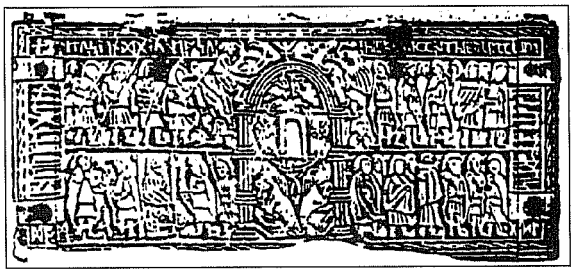

● شكل (١): سقوط القدس بأيدي الرومان عام ٦٣ قبل الميلاد ●

الأطماع الصهيونية والتآمر الاستعماري

ومع مطلع القرن التاسع عشر ١٨٣١م - ١٨٤٠م حكم محمد علي باشا سورية وفلسطين، وفيها وصلت العلمانية إلى القدس بتمثيل اليهود والمسيحيين في مجلس القدس، وبدأت الهجرة إلى القدس، وتم تأسيس أول بلدية للقدس العربية عام ١٨٦٣م وبدأ الاستيطان اليهودي حول القدس العربية في العام نفسه، وتطلع البريطانيون إلى إنشاء وطن يهودي في فلسطين تحت حماية بريطانيا العظمى، ثم دخل الإنكليز بقيادة اللنبي عام ١٩١٧م، ووعد هذا بحماية الأماكن المقدسة، والمحافظة على حرية العقيدة لديانات إبراهيم الثلاث. وبعد أن ظلت القدس مدينة إسلامية لما يقرب من ألف وثلاثمئة عام، باستثناء الفترة القصيرة التي احتلها الصليبيون فيها، كان العرب يكوِّنون ٩٠٪ من عدد السكان الكلي لفلسطين، وأقل من ٥٠٪ من عدد سكان القدس، وبناء على انتصار بريطانيا في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧م، ومنحها وعداً لليهود بوطن قومي بفلسطين، بدأ التمهيد لاحتلال المواقع التي مكَّنتهم بعد ذلك من احتلال كل أرض فلسطين وبإنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، وبعد حرب يونيو ١٩٦٧م دخلت القوات الإسرائيلية القدس وأعلن ضمها لتكون عاصمة للأعداء الغاصبين.

صلاح الدين ونهضة عمرانية وثقافية

الباحث المهندس ماجد الدمياطي تحدث من جانبه عن تهويد القدس عمرانياً: شهدت القدس تحسناً عمرانياً في عهد الرومان، فبلغت مساحتها أكثر من كيلومترين مربع، وكان الفتح العربي بداية التطور الكبير، وكان المخطط الهيكلي للبلدة القديمة في العهد القديم، يتألف من محورين رئيسين ومتعامدين ورمزين بأطرافهما إلى الاتجاهات الأصلية، ويبدأ أحدهما من باب الخليل غرباً إلى باب السلسلة المفتوحة على الحرم الشريف، والثاني من باب العمود، وينتهي جنوباً قرب النبي داود، وهكذا قسم محورا البلدة القديمة إلى أربعة أحياء غير متساوية هي حي النصارى في الشمال الغربي، ويكمله حي الأرمن في الربع الجنوبي الغربي، أما الحي اليهودي فيحتل الربع ويكمله حي الأرمن في الربع الجنوبي الغربي، أما الحي اليهودي فيحتل الربع الجنوبي، وشكَّل دخول السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس عام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م بداية سعيدة للحياة العلمية التي عمت ديار الشام عامة وفلسطين خاصة، فقد أقام الكثير من المدارس أهمها المدرسة الصالحية، وزوَّد المسجد الأقصى بالكتب الدينية والعلمية، وفي فلسطين خزائن عامة وخاصة كثيرة، فأما العامة كالمصاحف والربعات وكتب أكثرها من

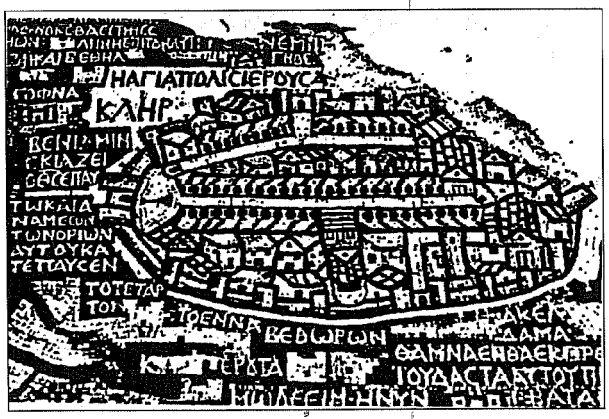

● شكل (٢): خارطة من الموزييك تمثِّل العهد البيزنطي من ٣٢٤ - ٦٣٨م ●

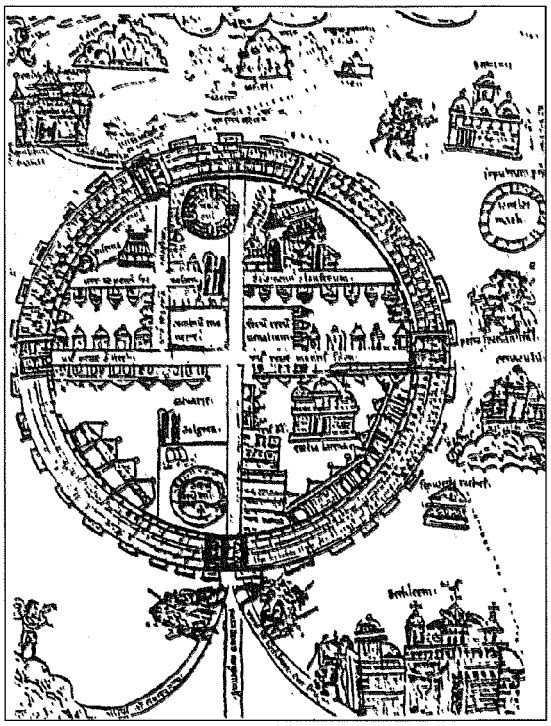

● شكل (٣). الغزو الصليبي للقدس عام ١١٧٠م ●

العصر العثماني والمملوكي، وهناك الخزائن الخاصة بالقدس مثل خزانة آل أبي اللطف، وخزائن آل الترجمان، وخزائن آل البديري، وخزائن آل الجوهري، وخزائن آل الحسيني، وخزائن آل الخليلي، وتعد المكتبة الخالدية بالقدس أهم دور الكتب الخاصة في فلسطين وأغناها، وتحتوي على عشرة آلاف كتاب ثلثها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة في العلوم العربية الإسلامية، إلا أن مصير هذه الخزائن بعد نكبة ١٩٤٨م ووقوع فلسطين تحت

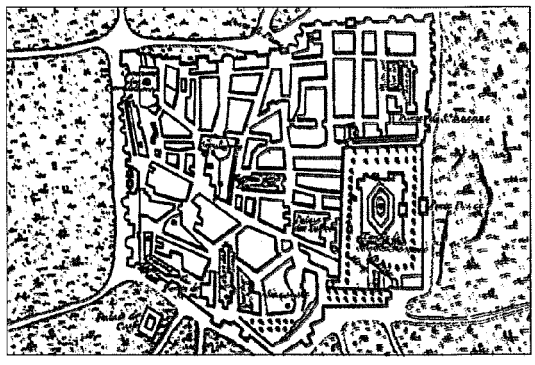

● شكل (٥). العهد العثماني من ١٥١١/١٧ - ١٩١٧م ●

● شكل (٤). أول مصوّر صحيح للقدس في عهد المماليك عام ١٢٥٠م ●

الاحتلال مصير محزن ومؤسف.

العدو ومحاولات خبيثة لتهويد المدينة

دأب منظّرو الحركة الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي بالتأكيد على تهويد المدينة بنقل مقر محكمة الاستئناف من القدس إلى رام الله، وفك ارتباط القضاء النظامي في المدينة عن الضفة الغربية، وإلحاق مواطني القدس بالمحكمة الشرعية في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وتطبيق القوانين الإسرائيلية الجزائية والمدنية والضريبية على مواطني القدس العربية وإخضاعهم للقضاء الإسرائيلي، ونقل عدد من الوزارات والدوائر الرسمية الإسرائيلية إلى القدس العربية، ومنها محكمة العدل العليا، ووزارة العدل ومقر رئاسة الشرطة ومكاتب الهستدروت ووزارة الإسكان، ومكاتب المؤتمر الصهيوني ومقر رئاسة الوزراء، وكذلك تهويد التعليم والثقافة عبر إلغاء مناهج التعليم العربية في المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث، وتطبيق مناهج التعليم الإسرائيلي، والاستيلاء على متحف الآثار الفلسطيني، وحظر تداول مئات من الكتب الثقافية العربية والإسلامية، وإطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع والساحات في القدس العربية، وتهويد الاقتصاد من خلال فصل القدس جمركياً واقتصادياً عن الضفة الغربية، وإخضاع المرافق الاقتصادية والتجارية العربية لأنظمة الضرائب الإسرائيلية، ولاسيما ضريبة القيمة المضافة، تمهيداً لتصفيتها، والاستيلاء على شركة كهرباء القدس وتصفيتها باعتبارها المرفق الاقتصادي العربي الأكثر أهمية.

وعن محاولة القضاء على التراثين الإسلامي والمسيحي وتدمير المقدسات في القدس يقول الباحث: تمثل ذلك في عدد من الإجراءات التي تمت ضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية بهدف تدميرها وتشويه الطابع الحضاري لمدينة القدس وإزالة الأماكن المقدسة، والقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من ارتباطات إسلامية ومسيحية بالمدينة المقدسة، ومن ذلك الحفريات حول المسجد الأقصى وتحته للعثور على الهيكل الذي تدّعي إسرائيل وجوده في منطقة المسجد الأقصى.

وأعلن الدكتور يحيى الزيني - رئيس لجنة العمارة بالمجلس الأعلى للثقافة في ختام الندوة - أنه يتم الآن الإعداد لمؤتمر دولي عن القدس وعمرانها ومحاولات تهويدها، وسينعقد بالقاهرة في شهر فبراير المقبل، وسيدعى للمشاركة فيه متخصصون - في الآثار التاريخية والحضارة والعمارة من الخبراء والمتخصصين في الكثير - من الأقطار العربية والأجنبية، ومن المقرر أن يتبنّى المؤتمر دراسة علمية متكاملة تطرح مشروعاً لاستعادة القدس العربية عن طريق التحكيم الدولي ●

قضية فلسطين
بين التأصيل الإسلامي والتأصيلات الأخرى

بقلم: غازي التوبة

يدَّعي اليهود بأن لهم حقاً تاريخياً في فلسطين وأنها أرض الميعاد التي أعطاها الله لهم، وليس من شك بأن أمتنا تعتبر فلسطين أرضاً لها، فما السند الذي نستند إليه في إقرار حقنا في فلسطين؟ وبماذا نرد على ادعاءات اليهود؟ الأرجح أن أحد عوامل نجاحنا في المعركة مع اليهود مرتبط بالإجابة الصحيحة عن هذين السؤالين. ولقد تناولت حقنا في فلسطين تأصيلات متعددة على مدار القرن الماضي حسب الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة، منها: التأصيل القومي، والتأصيل الشيوعي، والتأصيل الوطني، ونحن سنستعرض هذه التأصيلات في البدء، ومن ثمَّ سنوضح التأصيل الإسلامي ومن خلاله سنرد على ادعاءات اليهود حول حقهم في فلسطين.

١ ـ التأصيل القومي:

اعتبر التأصيل القومي أن أرض فلسطين أرض للأمة العربية، وهذا يتطلب منا معرفة أمرين: متى تكونت الأمة العربية؟ ومتى أصبحت فلسطين أرضاً لها؟ إن الأمة العربية مصطلح جديد استخدم في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مع نشأة الفكر القومي العربي، والحقيقة أن الأمة العربية بالمفهوم القومي لاوجود لها إلا في مخيلة القوميين العرب، وذلك لأن الفكر القومي يعتبر أن الأمة تقوم على عنصري اللغة والتاريخ ويستثنى الدين من تشكيل أي

أمة، وهذا يختلف، بل يتناقض مع الواقع الموضوعي الذي يؤكد أن الدين الإسلامي عامل رئيس ومهم في تشكيل الأمة الموجودة في عالمنا العربي والتي عرفت باسم الأمة الإسلامية، فالدين الإسلامي هو الذي وحد شعوب العالم العربي التي احتوت أجناساً متعددة مثل العرب والترك والفرس والشركس والبربر إلخ...، وهو الذي صاغ عاداتها وتقاليدها وأذواقها، وهو الذي شكل قيمها وأخلاقها وتفكيرها، وهو الذي كوّن حضارتها وتاريخها وثقافتها، وهو الذي حفظ لغتها العربية من الضياع والاندثار، ومع ذلك سأتجاوز هذه الإشكالية التي يعاني منها الفكر القومي العربي، وسأعتبر أن الأمة الإسلامية التي كوّنها الإسلام، وقادها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً هي الأمة التي يعنيها الفكر القومي ويطلق عليها اسم: الأمة العربية ويعتبر أنّ أرض فلسطين أرضٌ لها، ولكن هذا القول يقودنا إلى إشكالية أخرى حسب التأصيل القومي العربي وهي أسبقية الوجود اليهودي في فلسطين والذي بدأ قبل الميلاد بألفي سنة في حين أنّ الوجود العربي في فلسطين، بدأ - حسب الطرح القومي - في منتصف القرن السابع الميلادي، ومن أجل حل هذه الإشكالية وسدّ هذه الثغرة اعتبر بعض منظّري الفكر القومي العربي وبخاصة منظّري حركة القوميين العرب أنّ الأمم السابقة على تشكيل الأمة العربية الإسلامية كالأمة الفينيقية في بلاد الشام والأمة الآشورية في بلاد العراق والأمة الفرعونية في مصر والأمة البربرية في شمال أفريقيا... إلخ، اعتبروا كل تلك الأمم أمة عربية ولكن في مرحلة الإبهام، واعتبروا أن القومية تمر بمرحلتين الأولى: مبهمة، والثانية: واضحة، ولا شك أن هذا كلام لايستقيم مع أدنى درجات العقل والمنطق، فكيف يمكن أن نعتبر الفينيقيين والفراعنة والآشوريين والبرابرة والكلدانيين أمة عربية وهم ليسوا جنساً عربياً ولا يتكلمون لغة عربية وليس بينهم وبين الأمة العربية الإسلامية أي اتصال في العادات والتقاليد والأخلاق والثقافة والقيم!!.

٢ - التأصيل الشيوعي

اعتبرت الأحزاب الشيوعية حسب تحليلها

الحقيقة أن الأمة العربية بالمفهوم القومي لاوجود لها إلا في مخيلة القوميين العرب

الماركسي أن الطبقة العاملة واحدة لدى الشعبين العربي واليهودي، وأن عليها أن تتحد في مواجهة الطبقة البورجوازية العربية - اليهودية والمتحالفة مع الرأسمالية العالمية، لذلك وقفت الأحزاب الشيوعية ضد الحرب العربية اليهودية عام ١٩٤٨م، واعتبرتها مؤامرة من الإمبريالية الغربية وعمليتها البورجوازية العربية - اليهودية ضد البروليتاريا العربية - اليهودية، واستناداً إلى ذلك وقفت الأحزاب الشيوعية اليهودية والعربية إلى جانب قرار تقسيم فلسطين اتباعاً للاتحاد السوفييتي ودعت إلى الاعتراف بالدولة اليهودية إثر قيامها عام ١٩٤٨م.

لاشك أن هذا التأصيل متهافت، ولم تتجاوب الجماهير العربية المسلمة معه بسبب الإلحاد الذي روّجت له الأحزاب الشيوعية من جهة، ولأنه يعطي اليهود حقاً في فلسطين مع أنه لاحق لهم فيها من جهة ثانية، ولأنه يحول صراعنا مع اليهود من صراع وجود إلى صراع طبقات من جهة ثالثة، لكن هذا الطرح الشيوعي مع تهافته بقي موجوداً في ساحة العمل الفلسطينية بسبب دعم الاتحاد السوفييتي له حيث زاد تغلغله وتأثيره إثر التطبيقات الاشتراكية التي سادت العالم العربي في ستينيات القرن العشرين، والواضح أن هذا التأصيل الشيوعي كان أكثر رواجاً لدى الجانب اليهودي، حيث تلقفته القيادة الصهيونية ووضعته كورقة بيدها تستخدمها في حال انتصار الشيوعية في البلاد العربية من أجل تمكين اليهود في فلسطين، ودعمته ببعض التطبيقات الاشتراكية في مجال العمال والمستعمرات فأنشأت اتحاداً ضخماً للعمال «الهستدروت» كما أنشأت مستعمرات استيطانية تطبق النهج الاشتراكي «الكيبوتز والموشاف».

٣ - التأصيل الوطني

يعتبر التأصيل الوطني أن أرض فلسطين وطن للفلسطينيين المقيمين فيها، ولم يأخذ هذا التأصيل بلورته العربية إلا عند نشوء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م بقرار من القمة العربية المنعقدة آنذاك، وكان القصد من إنشاء المنظمة إيجاد تمثيل للشعب الفلسطيني الذي كان قد شتت في عدد من البلدان العربية إثر نكبة عام ١٩٤٨م، وقد مرّ تمثيل المنظمة للفلسطينيين بمراحل عدة، فقد اشتركت المنظمة مع المملكة الأردنية الهاشمية في تمثيل الفلسطينيين في المرحلة الأولى، ثم أصبحت المنظمة الممثل الرسمي الوحيد للفلسطينيين بعد القمة العربية عام ١٩٧٤م في مرحلة ثانية، ثم أعلن الأردن في ١٩٨٨/٨/٣١م انفكاك الوحدة بين الضفتين وتخلّيه عن مسؤولية إدارتها إثر انتفاضة الحجارة الفلسطينية في ديسمبر عام ١٩٨٧م والتي شملت الضفة الغربية وقطاع غزة، وكانت النتيجة أن أصبحت منظمة التحرير هي المسؤولة عن إدارة الضفة وقطاع غزة في مرحلة ثالثة، فأعلنت قيام الدولة الفلسطينية في الجزائر في منتصف نوفمبر عام ١٩٨٨م، ثم اشتركت منظمة التحرير مع سورية والأردن ولبنان في مفاوضات سلام مع العدو الإسرائيلي في مدريد نهاية أكتوبر عام ١٩٩١م، ثم انفردت المنظمة في مفاوضات سرية مع العدو الإسرائيلي في أوسلو والتي انتهت بالتوقيع على ما عرف باتفاقية أوسلو في البيت الأبيض في ١٣ سبتمبر عام ١٩٩٣م، والتي انبثق عنها قيام حكم ذاتي منقوص السيادة على الأرض والمياه والحدود والأمن والمقدسات، ولا يتوازى بحال من الأحوال مع التضحيات التي قدمتها أمتنا خلال التاريخ القريب والبعيد.

إن التأصيل الوطني لايستقيم مع حقائق الجغرافيا والتاريخ والواقع الاجتماعي لفلسطين وشعبها، أما عن الجغرافيا فإن فلسطين الحالية لم تعرف الوحدة الجغرافية في الخلافة العثمانية وما قبلها، بل كانت إما أن يُقطع منها أرض أو مدن فتلحق بولايات أخرى، أو كان يُلحق بمدنها أرض أو مدن من

ولايات أخرى، وعندما رسم الإنجليز فلسطين بحدودها الجغرافية الحالية لم يرسموها بناء على حقائق تاريخية أو دينية، إنما رسموها بناء على مصالح سياسية في أثناء الحرب العالمية الأولى حدّدها اتفاق سايكس بيكو من جهة، ووعد بلفور من جهة ثانية. أما عن التاريخ فلم تعرف فلسطين بحدودها الجغرافية الحالية أي شخصية خاصة بها على مدار التاريخ الماضي قبل الإسلام وبعده، ولم تعرف أي تمايز عن محيطها الجغرافي في عادات أو تقاليد أو أخلاق أو قيم... إلخ، إنما كانت تشكل باستمرار جزءاً من النسيج الاجتماعي والثقافي والأخلاقي المحيط بها وهو على الأقل محيط بلاد الشام.

إن التأصيل الوطني ضعيف مع دعاته وفي وجه أعدائه: ضعيف مع دعاته لأنه تأصيل - كما رأينا - لا يتفق مع حقائق الجغرافيا والتاريخ، وضعيف في وجه أعدائه لأنه لا يثبت أمام الدعوى التاريخية الصهيونية في سكنى فلسطين قبل الميلاد.

إن تفنيدنا للتأصيل الوطني لايعني أننا لا نقر حب المرء لوطنه وبالذات المقدسات فيه، لا فهذا أمر فطري أقره الإسلام وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم، أقره الإسلام عندما قال سبحانه وتعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله

تفنيدنا للتأصيل الوطني لايعني أننا لا نقر حب المرء لوطنه وبالذات المقدسات

ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة: ٢٤، وفعله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال عن مكة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» (رواه أحمد)، ولكن نقول: إنّ هذا الحب وحده لايقوم تأصيلاً لأنه يشترك فيه جميع البشر.

٤ - التأصيل الإسلامي

ما الدعاوى التي يقوم التأصيل الإسرائيلي عليها؟ يقوم على ادعاء أنهم شعب الله المختار من جهة، وأن الله وعدهم أرض فلسطين من جهة ثانية، فبماذا نرد على هذه الدعاوى؟

يقر التأصيل الإسلامي ابتداء بأن الله سبحانه وتعالى فضّل بني إسرائيل فقال سبحانه وتعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين) البقرة:٤٧، (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحُكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) الجاثية:١٦، ولكن هذا التفضيل مقصور على الأقوام التي عاصرت بني إسرائيل، وليس تفضيلاً إلى قيام الساعة، كما ادعى بنو إسرائيل فيما بعد، ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً بأن الله وعدهم بأرض فلسطين على عهد موسى - عليه السلام - حيث قال موسى - عليه السلام - مخاطباً قومه: (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسةالتي كتب الله لكم ولا ترتدُّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) المائدة:٢١، ويقر التأصيل الإسلامي أيضاً استناداً إلى القرآن الكريم بأن بني إسرائيل لم يقوموا بالواجبات المترتبة على نعمة التفضيل تلك، بل كانوا نموذجاً في الجحود والوقوع في الشرك وعدم احترام الأنبياء وطاعتهم، ويمكن أن نبدأ بتوضيح موقفهم من الوعد بالأرض المقدَّسة، فهم لم يستجيبوا لطلب موسى - عليه السلام - بالدخول، بل أعلنوا أنهم خائفون من ساكنيها الذين وصفوهم بالجبارين، وأعلنوا أنهم لن يدخلوها حتى يخرج ساكنوها، ولم يستجيبوا لنصيحة الرجلين المؤمنين بأن يبادروا ساكني فلسطين بالقتال، وأكدوا أنهم لن يدخلوها مادام ساكنوها فيها، وطلبوا في قلة أدب صارخة أن يذهب موسى - عليه السلام - وربه لمقاتلة ساكني فلسطين، وكأن الأمر لايعنيهم ولا يهمهم، وكانت النتيجة تحريم الله الأرض عليهم ومعاقبتهم بالتيه في الصحراء وقد بيَّنت آيات القرآن الكريم كل ذلك فقال سبحانه وتعالى: (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين. قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين. قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) المائدة: ٢٢ - ٢٦.

ولقد كان موقفهم من قضية توحيد الله لا

يقل سوءاً عن موقفهم من قضية الأمر بدخول «الأرض المقدسة» ومن ذلك طلبهم إلى موسى ـ عليه السلام ـ أن يجعل لهم أصناماً يعكفون عليها عندما مروا على قوم يعبدون الأصنام، فغضب موسى ـ عليه السلام ـ من ذلك غضباً شديداً وبخاصة أن طلبهم جاء بعد إنعام الله سبحانه وتعالى عليهم بإنجائهم من عذاب فرعون في مصر، تحدث القرآن عن ذلك فقال سبحانه وتعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متبرّ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) الأعراف: ١٣٨ ـ ١٣٩، ومن مواقفهم السيئة ـ أيضاً ـ في مجال التوحيد عكوفهم على العجل الذي أقامه السامري لهم عند ذهاب موسى ـ عليه السلام ـ إلى جبل الطور لجلب الألواح التي تحتوي على التشريعات الإلهية المنزلة إليهم، وإخبار الله سبحانه وتعالى له بهذا الكفر الذي وقعوا فيه، وغضب موسى ـ عليه السلام ـ عندما رآهم يعكفون على تلك الأصنام، وقد بيّن القرآن الكريم كل ذلك وبين غضب الله عليهم والذلة التي ستصيبهم في الحياة الدنيا، قال سبحانه وتعالى: (واتخذ قوم موسى من بعده من حُليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين. ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين. ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أُمَّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني من القوم الظالمين. قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين. إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياةالدنيا، وكذلك نجزي المفترين) الأعراف: ١٤٨ ـ ١٥٢. وقد تحدثت آيات كثيرة في القرآن الكريم، عن جوانب كثيرة من انحراف بني إسرائيل تجلت في طلبهم رؤية الله بعد أن اختار موسى سبعين رجلاً من خيرة بني إسرائيل للذهاب معه إلى جبل الطور لإظهار الندم على عبادة العجل ومع

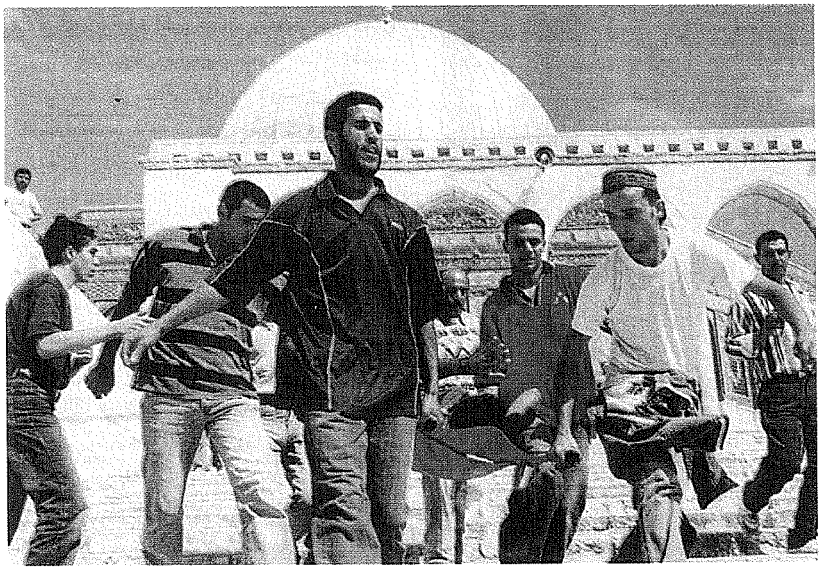

أنهم في موقف توبة وندم فإنهم طلبوا أن يروا الله جهرة مما يدل على سوء أدبهم مع الله، قال سبحانه وتعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) البقرة: ٥٥ ـ ٥٦، ثم بيّنت آيات أخرى سوء فطرتهم لطلبهم الفوم والعدس والبصل عوضاً عن المنّ والسلوى، قال سبحانه وتعالى: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) البقرة:٦١، ثم تحدثت آيات أخرى عن اعتدائهم في السبت واحتيالهم على أوامر الله ومعاقبة الله لهم بأن مسخهم قردة، فقال تعالى: (ولقد علمتم الذين أعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) البقرة: ٦٥ ـ ٦٦.

وقد تحدثت آيات كثيرة أخرى في سور متعددة عن إفساد بني إسرائيل وقسوة قلوبهم وتجذّر الحسد والكراهية في نفوسهم وشقاقهم وكثرة اختلافهم وجبنهم وحرصهم على الدنيا واستكبارهم، ثم كانت نتيجة ذلك أن أوقع الله عليهم اللعنة وقضى عليهم بالذلة والمسكنة والغضب، أما عن اللعن فقال سبحانه وتعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩، وأما عن الغضب والذلة والمسكنة فقال تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون) البقرة:٦١، وفي سورة أخرى قال سبحانه وتعالى: (ضُربت عليهم الذلة والمسكنة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة وذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) آل عمران: ١١٢.

وكانت نتيجة غضب الله عليهم ولعنهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم أن انتزع الله التفضيل منهم، ولم يعودوا شعب الله المختار المؤهل لسكنى الأرض المقدسة، بل شعب الله المغضوب عليه الذي نتعوذ في كل صلاة من أن نكون مثله عندما نقرأ قوله سبحانه وتعالى: (اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الفاتحة: ٦ ـ ٧.

وبعد أن فندنا الطرح الإسرائيلي: علام يقوم التأصيل الإسلامي في إثبات حقنا في

فلسطين؟ يقوم على ثلاث ركائز هي: أخوة الأنبياء من جهة، وتشكيل جميع أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري من جهة ثانية، وقدسية فلسطين سبقت وجود بني إسرائيل وسبقت ابتعاث موسى عليه السلام من جهة ثالثة.

أما الركيزة الأولى وهي أخوة الأنبياء، فذلك يعني أن المطلوب من المسلم هو الإيمان بجميع الأنبياء، وأن الكفر بواحد منهم هو الكفر بهم جميعاً فقد قال سبحانه وتعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة:٢٨٥، لذلك رأينا كل نبي يدعو إلى الإيمان بمن سبقه، ويبشر بمن يأتي بعده، ويأمر أتباعه بالإيمان به عند ابتعاثه، قال سبحانه وتعالى: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الصف:٦، ورأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيِّن لنا أنه أولى بموسى من بني إسرائيل، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجَّى الله فيه موسى وأغرق فرعون فصام موسى شكراً لله، فقال: «أنا أولى بموسى منهم» فصامه وأمر بصيامه. (رواه البخاري).

أما الركيزة الثانية في التأصيل فتقوم على أن أتباع الأنبياء أمة واحدة على مدار التاريخ البشري، فقد تحدثت سورة «الأنبياء» عن معظم الأنبياء السابقين وهم: موسى، وهارون، وإبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذوالكفل، وذوالنون، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم السلام جميعاً، وذكرت تفاصيل عن دعوتهم وعبادتهم... إلخ، ثم أشارت إلى أن كل هؤلاء الأنبياء يشكلون أمة واحدة قال سبحانه وتعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء:٩٢، كذلك تحدثت سورة أخرى وهي سورة «المؤمنون» عن عدد من الأنبياء هم: نوح، وهود، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ثم قالت: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) المؤمنون:٥٣، ولما كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وسيدهم وإمامهم كما تأكد ذلك عندما أمَّهم في الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، كانت أمته بالضرورة هي الوارثة لأمة الأنبياء الواحدة.

أما الركيزة الثالثة وهي قدسية فلسطين قبل وجود بني إسرائيل وقبل ابتعاث موسى عليه السلام، فقد جاءت في وجود المسجد الأقصى فيها، ومن أنها أرض مباركة، فقد بيَّن القرآن الكريم أن المسجد الحرام أول بيت وضع للناس، قال سبحانه وتعالى:: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) آل عمران:٩٦، ثم بين الحديث الشريف أن المسجد الأقصى بني بعد ذلك بأربعين سنة، فقد جاء عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. (أخرجه

البخاري)، وقد تم كل هذا في بدء سكنى الإنسان للأرض، وقد وصف القرآن الكريم أرض فلسطين بأنها مباركة عندما هاجر إليها إبراهيم ولوط - عليهما السلام - قبل وجود بني إسرائيل، قال سبحانه وتعالى: (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء:٧١، لذلك عندما دعا موسى - عليه السلام - قومه إلى دخول فلسطين قال لهم: (ياقوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم) المائدة:٢١، ففلسطين مقدّسة قبل دعوتهم إلى دخولها، وكذلك عندما عرج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء كان عروجه من المسجد الأقصى إبرازاً لقدسيته، وكانت واقعة الإسراء المقصود منها تعليم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأمة الأنبياء الربط بين أقدس مكانين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى، قال سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء:١.

رأينا فيما سبق أن التأصيل الإسلامي لحقنا في فلسطين يقوم على ثلاث ركائز: الأولى: الرسول محمد أخ للرسول موسى عليهما السلام، ونحن أولى بموسى من بني إسرائيل لأنهم عاصون له ومحرِّفون لرسالته ومغضوب عليهم من الله، والثانية أن أمة الأنبياء واحدة على مدار التاريخ، وأمة محمد هي الوارثة لأمة الأنبياء، والثالثة: فلسطين مقدّسة قبل وجود بني إسرائيل وقبل ابتعاث موسى - عليه السلام - وطالما أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الوراثة لأمة الأنبياء فهي الوارثة لأرض فلسطين المقدّسة وهي الوارثة للمقدّسات الموجودة فيها.

والآن بعد أن فنّدنا الدعاوى الإسرائيلية، وبيّنا ركائز التأصيل الإسلامي ووضحنا ضعف التأصيلات الأخرى: القومية، والشيوعية، والوطنية، نستطيع أن نقول: إن أحد عوامل هزيمتنا هو اعتماد تلك التأصيلات مع ضعفها، وعدم اعتماد التأصيل الإسلامي مع أنه يتفق مع حقائق التاريخ والجغرافيا من جهة، ويمتلك كل مقومات التماسك والعقلانية والسلامة من جهة ثانية ●

مخططات إسرائيل الاقتصادية

لدى إلقاء نظرة شاملة على مراحل تطور الكيان الصهيوني خلال أكثر من ثلاثة عقود من الزمان، يتضح من خلال عملية بنائه اقتصادياً وتقنياً وعلمياً وعسكرياً أنه أُعدَّ ليمارس دوراً توسعياً يتجاوز حدوده الجغرافية وحاجات المستوطنين المقيمين فيه.

فهو لم يُقم كملجأ ليهود العالم يلوذون به للعيش حياة يهودية سليمة ولا لتحقيق أسطورة توراتية بالعودة إلى أرض صهيون - أرض الميعاد كما زعموا - ولا لتحقيق شعارات صهيونية بإقامة المركز الروحي وتحقيق مركزية إسرائيل في حياة الشعب الإسرائيلي.

إعداد: زيد بن محمد الرماني

فقد كانت هذه كلها ديباجة عاطفية لحمل يهود العالم على الهجرة إليه والإسهام في بنائه مادياً ومعنوياً، ولتضليل الرأي العام العالمي تبريراً لاغتصاب الوطن الفلسطيني من أصحابه الشرعيين، وتغطية للأهداف والأدوار الحقيقية التي أسندت إليه.

يقول الأستاذ سمير جبُّور في كتابه «مخططات إسرائيل الاقتصادية»: وإذا كانت ثمة قيود على المطامع الإقليمية للحركة الصهيونية، فإنه لاحدود لمطامعها الاقتصادية.

فالتطلعات الاقتصادية الصهيونية إلى السيطرة على ثروات العالم العربي وخيراته ومصادره الطبيعية وطاقاته البشرية وتسخيرها في خدمة الأهداف الصهيونية لم تكن وليدة الساعة ولا وليدة المسار الذي بدأ بزيارة السادات للقدس، فهذه التطلعات ولدت مع الحركة الصهيونية، بل قامت عليها، وهي ملازمة، أيضاً لطبيعة الكيان الصهيوني الذي لا يستطيع البقاء إلا باكتساح الرقعة الاقتصادية الأوسع على حساب العالم العربي طبعاً.

لقد كان التصور الصهيوني للدولة الصهيونية حتى قبل قيامها قائماً على مبدأين أساسيين، أولهما أنه يجب أن تكون موارد الدولة من الكثرة والتنوع بحيث تتمكن من استيعاب أعداد كبيرة من السكان وتوافر مستوى معيشي مرتفع لهم وتأمين الحاجات المعقدة للدولة الحديثة، وثانيهما، أن الموارد الحيوية لهذه الدولة كالماء والنفط وغيرهما من الثروات الطبيعية، يجب أن تكون تحت سيطرتها أي واقعة ضمن أراضيها.

ومنذ أن قامت الدولة الصهيونية وهي تتطلع إلى المزيد من الموارد، في إطار من الطموح إلى السيطرة عليها، أي احتوائها ضمن الكيان الصهيوني، مما يشكل حافزاً آخر مستمراً نحو التوسع.

ومن هنا، عمل الكيان الصهيوني على تحويل مجرى نهر الأردن، وتطلع إلى استغلال قناة السويس والمطالبة بحصة من مياه النيل والليطاني، وطمع في الثروة البترولية العربية والإفادة من طريق التجارة التاريخية بين الشرق والغرب، براً وبحراً وجواً.

أما خارج السيطرة المباشرة، فتطمع الصهيونية العالمية في أن تجعل من كيانها مركزاً للصناعة والمال والخدمات بالنسبة إلى المنطقة بأسرها، سعياً لتوسيع رقعتها الاقتصادية.

وفي الحقيقة، إن عملية بناء اقتصاد الكيان الصهيوني قد بدأت قبل قيام إسرائيل، لا بل إن إقامة أساس البنيان الاقتصادي بدأ خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين (١٩١٨م - ١٩٤٨م).

وقد أتاحت حكومة الانتداب لليهود في فلسطين إقامة مؤسساتهم الاقتصادية، وكانت الوكالة اليهودية القناة الرئيسة لجمع الأموال وتسهيل عمليات الهجرة العلنية والسرية، وبالتالي انتقال الأيدي العاملة التقنية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت المشاريع الاقتصادية اليهودية، خلال سنتين فقط، فيما عدا فروع المعادن والكهرباء، تشكل ثلث عدد المشاريع الصناعية في فلسطين، ووظفت فيها ٦٤٪ من أموال الاستثمار، وكانت تنتج ٤٤٪ من المنتوجات.

وعلى حد قول «نداف هليفي»: إن المؤسسات العامة كانت تعتبر خلال فترة الانتداب أن التنمية مسار يتخلله وضع الأساس الاقتصادي بوساطة المهاجرين الجدد وتدفق الأموال من الخارج، وهذا الأساس الاقتصادي يتيح المزيد من الهجرة والنمو الاقتصادي المتواصل.

وعندما أعلن قيام إسرائيل كانت هناك بنية اقتصادية قائمة أمكن تطويرها بوتيرة سريعة بعد تدفق المهاجرين والأموال والسيطرة على الممتلكات العربية بما فيها المشاريع الصناعية والشركات والأراضي ومصادرتهما بموجب قانون «أموال الغائبين».

ثم شهدت فترة ما بعد قيام إسرائيل تطوير الدوائر الاقتصادية التابعة للوكالة اليهودية، وإقامة جهاز اقتصادي حكومي كامل بقوانينه ونظمه.

يقول «سمحا ارليخ» - وزير مالية سابق - إن إسرائيل حصلت منذ إقامتها على أموال قدرها ٤٠ مليار دولار، جاء ١٦ مليار دولار منه أي ٤١٪ من مصادر يهودية على شكل تبرعات واستثمارات وتحويلات من المهاجرين. وجاء ١٢ مليار دولار أي ٣٠٪ من المساعدات بصورة هبات وقروض من حكومة أميركا، ونحو ٥,٦ مليارات دولار أي ١٤٪ من الحكومة الألمانية. وأما المليارات الستة الباقية، فقد استطعنا الحصول عليها من سوق الأموال العالمية والمؤسسات الدولية.

وللأسف، فقد استطاعت إسرائيل بوساطة هذه المساعدات وإعداد المهارات الفنية وبوساطة شبكات التعليم المهني والمعاهد المختلفة، على جميع المستويات، قطع شوط بعيد في الإنتاج الصناعي والزراعي.

وفي أعقاب حرب ١٩٥٦م، انطلقت إسرائيل إلى معالجة مشكلات الاقتصاد البعيدة المدى.

وقد أدت حرب ١٩٦٧م إلى جانب توسيع رقعة إسرائيل الجغرافية والاقتصادية إلى ربط اقتصاد المناطق المحتلة باقتصاد إسرائيل بما ينطوي عليه هذا الربط من فتح أسواق جديدة لتصريف منتوجاتها وتشغيل أعداد كبيرة من الأيدي العربية العاملة الرخيصة في المشاريع

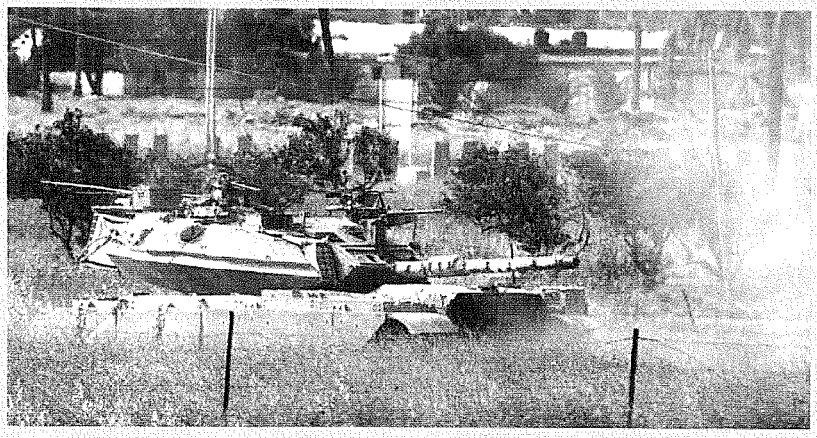

الاقتصادية.

وفي السبعينيات، وضعت الحكومة الإسرائيلية خطة اقتصادية، قوامها: خفض التضخم بنسبة ٢٣٪، وزيادة الصادرات بنسبة ٢٠٪، وخفض العجز التجاري بمقدار ٢٠٠ مليون دولار، وعدم رفع العلاوة وتباطؤ في أجور العمالة مع المحافظة على العمالة الكاملة ورفع الأسعار بنسبة ٢٠٪.

وتقوم هذه الخطة، التي سُمِّيت الانقلاب الاقتصادي على الإصلاح الشامل لأنظمة العملة ويشمل:

١ - إلغاء الرقابة على العملات الأجنبية.

٢ - تعويم قيمة صرف الشيكل وخفضها بنسبة ٤٤٪.

٣ - توحيد قيمة الصرف.

وقد أعلن «سمحا ارليخ» أن الخطة الاقتصادية الجديدة ستجعل من إسرائيل سويسرا الشرق الأوسط.

لذا، يعتبر الإسرائيليون التبادل التجاري، بينهم وبين الدول العربية في حال قيام سوق شرق أوسطية والتعاون المشترك، الركيزة الأساسية لتحقيق أطماعهم الاقتصادية في العالم العربي.

ففتح الأسواق العربية أمام السلع والمنتوجات الإسرائيلية، حلم طالما راود الإسرائيليين منذ أن أخذوا يعززون بنيتهم التحتية الصناعية.

فهم يعلِّقون أهمية خاصة على التبادل التجاري لغزو الأسواق العربية، من أجل تقليص اعتمادهم على المعونات الخارجية والاقتراب من الاستقلال الاقتصادي.

ويرتكز مفهوم الإسرائيليين الخاص بالتعاون الصناعي مع الدول العربية على ميزة التفاوت القائم بين الصناعة الإسرائيلية والصناعة العربية بصورة عامة. فالإسرائيليون ينظرون إلى الصناعةالعربية على أنها متخلفة وغير قادرة على منافسة صناعته:

وعلى الرغم من أن معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية قد نصت على ضرورة إعادة حقول النفط إلى مصر، فإن إسرائيل ما حرصت على ضمان استمرار تدفق إنتاج آبار النفط في سيناء فحسب، بل تعداه إلى نفط مصر بأسره.

وعلى حد تعبير «موشيه زنبار»: إن المنتوج الأساسي الذي نحتاج إليه من المصريين هو النفط، والمقصود النفط المصري عامة، لا نفط سيناء فحسب.

ومن جانب آخر، فإن الخبراء الإسرائيليون بالشؤون المائية والزراعية يُجمعون على أن إسرائيل تواجه منذ فترة أزمة خطرة في المياه.

وقد صرَّح «أليشع كالي» أن توفير المياه اليوم غير مضمون لجميع المناطق، وإذا لم يتم تحول فوري في السياسة المائية، فقد نواجه أزمة تصل إلى حد الكارثة.

وإزاء هذه الأزمة، اتجهت أنظار إسرائيل إلى المياه العربية، وظهرت دعوات إلى تحويل روافد نهر الأردن قبل أن تصب في بحيرة طبريا، وكذلك إلى استغلال مياه الليطاني والحاصباني وإلى جرّ مياه النيل إلى النقب.

هذه بعض تطلعات إسرائيل الاقتصادية، والأحداث الأخيرة والاتفاقات المصادق عليها مع بعض الدول العربية والدعوات العريضة لسوق شرق أوسطية وطموح تصدير المنتوجات الإسرائيلية إلى بعض الدول العربية شواهد على هذه التطلعات.

وقد آن أوان الوقوف في وجه هذه التطلعات والمخططات الاقتصادية بحكمة وجدّية وفق خطط مبرمجة منظمة ذات أهداف محدَّدة ●

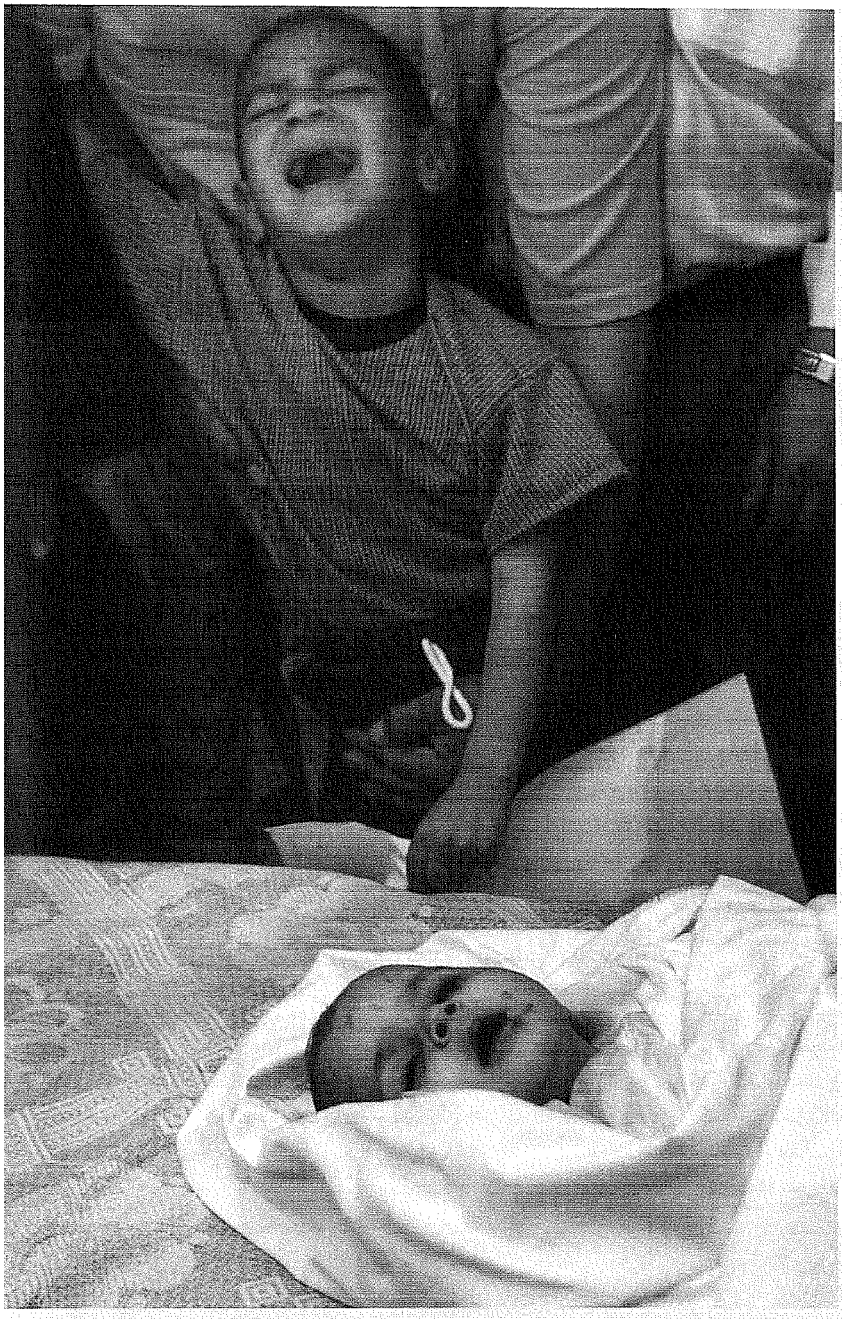

أمة عجيبة !!

شعر: أحمد حسن القضاة
شاعر وكاتب إسلامي - الأردن

أمـة تـرقـص فـوق الألـم
لا تـداوي روحـها مـن سـقـم

يـا لـها مـن أمـة فـي نـهـجـها
قـد غـدت مثل قطيع الغنم!

تـخـذ الـذل بـنـوهـا بـدعـة
واسـتـكـانـوا لـلـعـدا والـعـجـم

ذهـب الـعـقـل ومـا يـحـوي إلـى
«لا شـعـور» بـالأذى والألـم

فـإذا الـضـرُ لـفـرد مـسّـه
لـم يـثـر قـط ولـم «يـنـتـقـم»

وإذا قـلـت: هـلـمُـوا واعـتـلـوا
ذورة المجـد بـجـد ودم..

وارفـضـوا الـذل لـقـالـوا ويـحـهُ
مـا الـذي يـبـغـي بـهـذا الـكـلـم؟

❖ ❖ ❖

أمـة ضـاعـت ولـكـن بـعـد أن
حـمـلـت - أمـس - لـواء الأمـم

لِمَ قـد ضـاعـت وفـيـهـا صـفـوةٌ
تـنـصـحُ الأمـة مـنـذ الـقِـدم؟

لـيـس سـراً أنـهـا مـذ شـربـتْ
كـأس ظـلـم بـمـذاق الـدسـم..

.. ذهـب الـريـح بـقـول الـعـلـمـا
عـصـف الـجـورُ بـكـلِ الـقـيـم

❖ ❖ ❖

وإذا الـظـلـمُ بـأوسـاط سـرى
وطـغـى الـشـرُ كـسـيـل الـعَـرِم

ورمـى الـنـاسُ بـقـانـون الـسـمـا
فَـتَـيـقَّـنْ أنـهـم لـلـعَـدم

مظاهر الغزو الفكري في العالم الإسلامي ومخاطره

حرب قديمة بوسائل جديدة ضد الإسلام

بقلم: إدريس الكنبوري
باحث وكاتب مغربي

الغزو الفكري تعبير جديد مستحدث في اللغة العربية، تم تركيبه من كلمتين هما كلمة غزو التي تشير إلى مضمون عسكري مادي، وكلمة فكر التي تحيل على قضايا تتعلق بالأفكار والعقيدة والذهنيات، أي على قضايا غير مادية. وقد أملت استحداث هذا التعبير المركب مستجدات الحياة المعاصرة وتطور أساليب المواجهة بين المسلمين وأوروبا في مطلع القرن العشرين خصوصاً، حينما أصبح الاختراق الغربي للعالم الإسلامي يتخذ وسائل أكثر تطوراً وأقل ظهوراً وجلاء للتمويه على حقيقة الصراع وتغطية الأهداف الحقيقية للاستعمار الحديث، وحينما أصبح الفكر ليس أقل فاعلية وتأثيراً من الوسائل العسكرية التدميرية في الصراع المباشر. فقد اكتشف الغرب بعد جولات كثيرة لاستهداف الشعوب المسلمة ودينها وعقيدتها وحضارتها المتجذرة في التاريخ، أن هذه الوسائل لم تعد تجدي، أو على الأقل لم تعد وحدها كافية، فتحول إلى جبهة أخرى لزرع الشكوك وخلق التشويش في نفوس المسلمين ونشر البلبلة في عقولهم، وهي جبهة الغزو الفكري أو الغزو الثقافي.

الغزو الفكري أخطر أنواع الاختراق

يقصد بالغزو الفكري تلك العملية التي يُراد بها إخضاع أمة لأمة أخرى وفرض التبعية الفكرية والثقافية على الأمة المغلوبة، وذلك عن طريق تحريف أفكارها وغسل أدمغة أبنائها وتسميم عقولهم بأفكار وافدة، والتشكيك في الثوابت العقلية والعقدية لتلك الأمة، وزرع بذور الفتنة والخلاف الداخلي بين أبنائها من خلال إضرام نيران الصراعات والانقسامات الفكرية، وتنشئة نخبة مثقفة ترتبط بولائها لتلك الأمة الغازية مصدر الأفكار الوافدة.

ويعتبر الغزو الفكري من أخطر أساليب المواجهة الحضارية في العصر الحديث خصوصاً بعد أن تطورت التقنيات المعاصرة، وبات الإعلام من أشد القنوات فتكاً وتدميراً للنفوس والعقول وبلبلة للخيال، ووجه الخطر فيه أنه يتسلل بطرق غير مكشوفة للجميع شأنه شأن الغزو العسكري المادي المباشر مثلاً، فهذا الأخير تسهل مواجهته والتصدي له، إذ يكون العدو واضحاً والهدف كذلك، بينما في الغزو الفكري يتعذر كشف العدو والتعرف إليه ومن ثمَّ مواجهته، كما أن الغزو العسكري يكون محدوداً في المكان والزمان، وينتهي بنهاية الأهداف المرسومة له، أما الغزو الفكري فهو ممتد في سلسلة متواصلة عبر الأجيال المتعاقبة، فلا يحد بحدود الزمان أو المكان، ولا

ينتهي عند غاية، بقدر ما يسعى إلى هدف أوسع هو سلخ الأمة بكاملها عن تاريخها ولغتها وحضارتها وعقيدتها، فلايقنع سوى بأن تتحول تلك الأمة إلى جيل ممسوخ يتنكر لتاريخه ويحاربه بطرق الغازي الأول نفسه، فتصبح أمة معادية لنفسها وفي مواجهة ذاتها، وقد عبّر أحد الفرنسيين في الحكومة الاشتراكية السابقة في سنوات الثمانينيات عن هذه الحقيقة التي تنظر إلى الغزو الفكري باعتباره استمراراً بطرق مختلفة للغزو العسكري المباشر، ينطلق من حيث وقف هذا الأخير، حين قال: «إن ما أعطاه ديغول للعرب عقب هزيمته في الجزائر، سوف نسترده بطريق الغزو الثقافي اللين الخادع»، وهي عبارة تلخّص أهداف الغزو الفكري والثقافي جيداً، إذ هو يأتي كبديل لفشل مخططات الغزو العسكري المسلح، لتحقيق ما عجز هذا الغزو عن تحقيقه بالسلاح والعتاد الحربي، كما أنه يلبس قناعاً خفياً ويتخذ أسلوباً ليناً مراوغاً ويعتمد الخداع.

حرب جديدة

إن الغزو الفكري هو حرب جديدة معلنة ضد العالم الإسلامي بجميع الطرق والأساليب التي طورتها التقنيات الحديثة. لقد عجزت كل الوسائل القديمة التي اعتمدها الغرب الصليبي لتدمير حضارة الإسلام منذ قرون مديدة، ولم يعد منها إلا بخفّي حنين أمام صلابة الجبهة الداخلية للعالم الإسلامي، وتراص صفوف أبنائه والتفافهم حول عقيدتهم يحمونها وتحميهم. لكن ذلك لم يفت في عضد سدنة الغرب الذين ظلوا ينتظرون الفرص والمناسبات للانقضاض على العالم الإسلامي في المكان الحساس فيه، وهو العقيدة، فلجأوا إلى ابتكار أساليب جديدة تخفي نواياهم الحقيقية وراء مخالب ناعمة، أساسها الخطاب الفكري والثقافي الملغوم، والفلسفات المادية والملحدة المختلفة، والشعارات البراقة.

أصبح الغزو الفكري من أخطر أساليب المواجهة الحضارية في العصر الحديث

ونجد أن دوافع الغرب الصليبي هي هي نفسها في الوقت الحاضر كما في الماضي، دوافع تلخصها تجربة المسلمين مع فلول الصليبيين الأولى، بل قبل ذلك بكثير، منذ بزوغ فجر الدولة الإسلامية العالمية كرسالة للعالمين وللبشرية جمعاء. فلا يخفي ما كاده اليهود للإسلام في جزيرة العرب وللنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، وما دبروه لإطفاء نور هذا الدين الجديد والقضاء عليه، وحين ظهرت حضارة الغرب في العصر الحديث وعاد لليهود سلطانهم وجدوا أن الفرصة قد سنحت لهم لتفريغ حقدهم الغريزي الدفين على الإسلام والمسلمين، خصوصاً حين حقق اليهود مصالحتهم مع المسيحية المنحرفة والصليبية القديمة والحديثة، فوجد اليهود في هؤلاء ظهيراً لهم، ووجد الصليبيون الجدد في أولئك رديفاً لهم في معركة هي واحدة بالنسبة إليهم.

وقد تضامنت دوافع عدة شكلت حافزاً ووقوداً للغزو الفكري الغربي ضد العالم الإسلامي، منها الدوافع النفسية التي يفسّرها الحقد الدفين ضد كل ما هو إسلامي، والدوافع العقدية التي ترى في أمة الإسلام الوارث الحقيقي للرسالة الإيمانية في العالمين، والشاهد على البشرية جمعاء، وخير أمة أخرجت للناس بشهادة القرآن الكريم، ولكن هذه الخصائص التي تختص بها الأمة الإسلامية لم تكن لتريح الغرب المسيحي، حسداً من عند نفسه، وكراهية أن تكون الأمة المسلمة هي صاحبة الزعامة والريادة الدينية والعقدية في الكون، فكان أن رسم الغرب هدفاً سعى إليه هو القضاء على دين المسلمين وتحريفهم عن عقيدتهم. وليس هذا الأمر حديثاً أو غريباً، فقد نطق به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً وحذر المسلمين منه، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) آل عمران:١١٨، وقال عزّ وجل مصوراً حقد أعداء الإسلام على المسلمين وحسدهم البالغ من استئثارهم بالرسالة الخاتمة: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة:١٠٥، وقال عزّ من قائل: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) النساء:٨٩.

وهناك أيضاً الدوافع المادية، إذ إن الغرب الصليبي كان يطمح في استغلال خيرات البلدان الإسلامية واستغلال مدخراتها، فقد حبا الله هذه الأمة من عناصر الخير ما يسيل لعاب أمم الغرب، من هنا كان سعيه إلى تدمير الصروح الداخلية للمسلمين، وتفتيت وحدتهم بطريق الغزو المعنوي والروحي والفكري للوصول إلى هدفه بأيسر السبل وأقل التكاليف.

ولا يخفى أن هذه الدوافع مجتمعة ترتد إلى جوهر واحد وثابت هو الحقد الصليبي العنصري ضد الإسلام والمسلمين، فقد أصبحت العصبية الصليبية «شيئاً موروثاً في النفسية الغربية حتى بعد أن تخلت عن العقيدة المسيحية كشيء فعّال في حياتها»(١).

فوجود الإسلام بالنسبة للغرب، واستمرار نوره مضيئاً في العالم، واتساع دائرة المعتنقين له والداخلين فيه يثير حفيظة الغرب ويدق فيه ناقوس الإنذار بقرب أفول حضارته المادية العلمانية التي تريد أن تكون هي المهيمنة على بقية الأمم والشعوب والديانات والثقافات، وما تزال رواسب المواجهات بين الإسلام والصليبية تغذي في الغرب مشاعر القلق والخوف من يقظة الإسلام من جديد، كما أن الغرب لم يستفق بعد حتى اليوم من آثار سيطرة الحضارة الإسلامية التي غطت أرجاء المعمورة بشعاعها، وقادت البشرية لزمن طويل، يقول غوستاف لوبون: «والحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوروبا من الأعداء إرهاباً قروناً عدة، وعندما كانوا لا يرعبوننا بأسلحتهم، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية (يعني:

الإسلامية) الساحقة، ونحن لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس»(٢)، وبالروح نفسها يكتب المستشرق «ولفرد كانتول سميث» قائلاً: «إن الإسلام عقيدة عملت بإصرار على إنكار المبدأ الرئيس للعقيدة المسيحية التي كانت بالنسبة لأوروبا الاعتقاد السامي الذي أخذت تبني حوله - ببطء - حضارتها، وكان التهديد الإسلامي موجهاً بقوة وعنف، وكان ناجحاً مكتسحاً نصف العالم المسيحي تقريباً، والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من بين المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمنوا به، بعشرات الملايين»(٣).

مظاهر الغزو الفكري في حياتنا

منذ نهاية القرن التاسع عشر وبدء القرن التالي له، رصد الغرب رسائل عدة لإخضاع العالم الإسلامي لتصوراته الفكرية والفلسفية، واستطاع بفضل ما جنده من عتاد وعدة واستراتيجيات شاملة تسريب الكثير من المفاهيم الخاطئة المضلة إلى المسلمين، عبر قنوات الفكر والثقافة والفن وغير ذلك.

لقد وعى الغرب في وقت باكر من القرن التاسع عشر أن خطط المواجهة العسكرية ضد العالم الإسلامي دون رصيد كبير من الأسلحة الفكرية لا تجدي شيئاً، في معركة يعتبرها فاصلة وخياراً استراتيجياً يتعلق بوجود ذاته وبحضارته وامتداده، وهكذا وجدنا الاستعمار الأوروبي والغربي للعالم الإسلامي لا يكتفي فقط بمجرد دفع الجيوش في عمليات الغزو، مثلما حدث في الحروب الصليبية حين كان الفرسان والمحاربون هم الجبهة الأمامية في الصراع، بل جهّز جيشاً من المفكرين والساسة والمستشرقين والنقاد والمصورين والباحثين في التراث و«الأركيولوجيا» والتاريخ، وكان هؤلاء هم الصف الأمامي ومن ورائهم الجيش الذي يحمي ظهورهم. لقد تبدلت خارطة الصراع وبقي الجوهر هو نفسه، وكأن الغرب يريد تجنب مزالق الماضي الصليبي، ويحدثنا التاريخ الحديث أن نابليون بونابرت حين غزا مصر في أواخر القرن التاسع عشر حمل معه من العلماء والمفكرين والخطباء وعلماء الحفريات ما يفوق عدد الجيوش المسلحة، وما ذلك إلا لزرع البذور الأولى لجرثومة الغزو، حتى يضمن الاستعمار بقاءه بعد رحيل قواته.

وجود استراتيجية ثقافية إسلامية عامة أصبح أمراً محتماً أكثر من ذي قبل

هكذا ظهرت الانحرافات الأولى في ثقافتنا العربية الإسلامية، وبدأ تغلغل المفاهيم الغربية المستوردة إلى حصوننا في الداخل، ولاحت الانشقاقات والانقسامات الفكرية بين نخب الأمة، بين من يرفعون لواء التبعية للغرب تحت مسمى المعاصرة بالأمس، والحداثة اليوم، وبين من يريدون الحفاظ على صفاء العقيدة والثقافة الإسلامية الأصيلة، وهم دعاة الأصالة، واتسعت شقة الخلاف مجرد الدفاع عن الغرب لدى دعاة المعاصرة والحداثة إلى الهجوم على الإسلام، فبدأ السقوط والتردي، وانتقل الصراع إلى العقيدة، فأصبح صراعاً سافراً من ورائه مسوغات علمية أو علموية متطرفة ومتغربة عن كيان الأمة، فظهرت الدعوة جهاراً إلى فصل العقيدة الإسلامية عن الشريعة، أو فصل الدين عن الدولة إسقاطاً للتجربة التاريخية الغربية المسيحية النصرانية على تاريخ المسلمين الذي لا يعرف لهذه الدعوة وجوداً ووجهت اتهامات مباشرة إلى الإسلام بتحميله مسؤولية التأخر العلمي عن ركاب الغرب الحديث، وتم الطعن في الإسلام باعتباره عدواً لحرية المرأة، ونقيضاً للعمل والمدنية، ومعارضاً للفكرة الديموقراطية، ومضاداً لحقوق الإنسان، وهي كلها دعاوى كاذبة ومضللة استلهمت من التاريخ الغربي، ومن ترهات الكنيسة المسيحية انزلاقاتها.

إن رصد جميع الانحرافات التي طالت ثقافتنا العربية الإسلامية جراء الغزو الفكري وتبني نخبة من المسلمين لأفكار الغرب وأطاريحه الفلسفية والفكرية والحضارية يحتاج إلى سفر خاص، لأن مظاهر الغزو الفكري في حياتنا شتى في مجالات الفكر والأخلاق والتربية والثقافة والاجتماع والتعليم والتاريخ والأدب والفنون، وهي مظاهر مرعبة لأنها تفشت بشكل خطير وأصبحت جزءاً من ثقافتنا، وخلقت انتكاسات كبرى حرفت أبناء العالم الإسلامي عن المخاطر الحقيقية، وخلخلت البنيان الداخلي، وأدت إلى ظهور أصوات ناشزة أصبحت هي الوصية على الفكر والثقافة في ديارنا، وهذا هو أشد أخطار الغزو الثقافي في أي أمة.

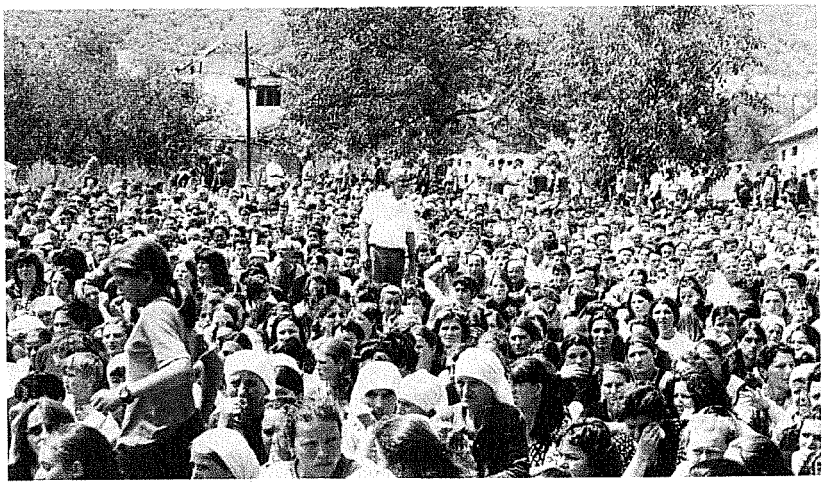

على أن مخاطر الغزو الفكري لم تعد

قاصرة اليوم على نخبة الدارسين والمتعلمين، بل امتدت لتشمل الجماهير العريضة في العالم الإسلامي بسبب اكتساح فيض المعلومات لكل البيوت: صحف، وإذاعات، وتلفاز، وأفلام سينمائية، وأسطوانات فيديو... إلخ، أخذاً في الاعتبار أن الجانب الأكبر من الإنتاج العالمي لهذا الفيض المعلوماتي يتركز في دول الشمال، أي الغرب الأوروبي، ويصنع في معامل يسيطر عليها الغرب، وحسب معاييره وموضاته. لقد أصبح الغزو الفكري عبر الإعلام وسوق المعلومات من أخطر التحديات التي تواجه الشعوب غير الغربية، لأنها أصبحت مهددة بفقدان الذات وضياع الهوية «ذلك أن الجماعة المغزوة لم يعد بمستطاعها أن تفهم نفسها إلا من خلال مقولات الآخر»(٤).

الغزو الفكري هو حرب جديدة معلنة ضد العالم الإسلامي بجميع الطرق والأساليب

كيف نواجه الغزو الفكري؟

ليس صحيحاً ألبتة ذلك القول الذي ينادي بإغلاق الأبواب وفرض سياسة العزلة في العالم الإسلامي لصد الغزو الفكري ووقف العدوان الثقافي، فهذه السياسة لم تعد تنفع في واقع التدافع الحضاري الذي وفّرته بشكل أكبر إمكانات العولمة. إن هذه الأخيرة أصبحت واقعاً قائماً، والواقع لا يرتفع كما يقول الفقهاء، ولكن المطلوب هو إيجاد فقه جديد للتعامل مع هذا الغزو الكاسح، وتحصين الذات، وتصليب البناء الداخلي.

إن الأمة الإسلامية ذات تجارب عريقة جداً في التعامل مع الفكر الوافد ومع شتى أشكال المحاولات التي بذلتها الشعوب المختلفة لغزو أفكار أبنائها، منذ أن ظهر الإسلام وعمَّ نوره، وهذه التجارب غنية بالدروس التي ينبغي الوقوف عليها واستحضارها في كل محاولة لإيجاد استراتيجية إسلامية للرد على الغزو الثقافي.

وأول عناصر هذه الاستراتيجية المطلوبة هي توافر غذاء روحي وتربوي وثقافي لأبناء الأمة المسلمة، بحيث يكون ذلك وقاء يقيهم الانفلات أو الاستدراج مع الثقافة الغربية السطحية، وذلك عبر إعداد خطة ثقافية شاملة تنطلق من مبدأ الإسلام الحنيف كدين خالص، وتسعى إلى غرس الشعور بالقوة والاعتزاز لدى أبناء المسلمين بدينهم وحضارتهم وتاريخهم، حتى لا يظهر الفكر العربي وكأن لديه ما يقدمه فعلاً للآخرين، بينما هو لا يقدّم لهم شيئاً سوى إضعافهم وسلخهم عن هويتهم الأصلية.

ويعتبر دور الأسرة حاسماً في تغذية النشء المسلم بعوامل الصمود والتجديد والحصانة الروحية والطاقة النفسية والوجدانية ضد كل ما يعاكس الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، كما أن للتعليم دوراً فاصلاً بعد الأسرة، فوضع مناهج تربوية وتعليمية على أساس الإسلام هو الضمان الوحيد لنشأة أجيال مسلمة قادرة على إدارة صراعات المستقبل من موقع القوة، فالمسلمون لا يستطيعون، ولا يمكنهم إدارة ظهرهم إلى العصر، بل هم مندوبون إلى المدافعة الحضارية في صراع مستمر ودائم بين أنصار الشر وأنصار الخير، بين دعاة الرذيلة ودعاة الفضيلة، بين أصحاب الباطل وأصحاب الحق، حتى يستبين الحق من الباطل ويعرفه الناس، وهذه هي رسالة المسلمين في كل عصر، وما الغزو الثقافي إلا مرحلة من مراحل الصراع التي يخوضها المسلمون ورثة الحضارة الإسلامية السابقة، فهم خلف لذلك السلف، وعندهم وعد إلهي بأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون.

إن وجود استراتيجية ثقافية إسلامية عامة أصبح أمراً محتماً أكثر من ذي قبل، لأن وجود مثل هذه الاستراتيجية لم يعد اليوم ترفاً، بل أصبح ضرورة تفرض نفسها بقوة وإلحاح، ومثل هذه الاستراتيجية وحدها قادرة على صوغ بديل عربي وإسلامي يقف في وجه العولمة الزاحفة، بل يطوعها لخدمة قضايا المسلمين ●

المراجع:

١ ـ ليوبولد فايس (محمد أسد): الإسلام على مفترق الطرق ـ دار العلم للملايين ـ لبنان ـ طبعة ٧ ـ ص٦٠.
٢ ـ غوستاف لوبون: حضارة الغرب ـ تعريب عادل زعيتر ١٣٨٤ ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ دمشق ـ طبعة ٤، ص ٣٥٨.
٣ ـ ولفرد كانتول سميث: الإسلام في التاريخ المعاصر ـ طبعة الهند ١٩٨٢ ـ ص ١٢٢، بتصرف.
٤ ـ سيرج لاتوش: تغريب العالم ـ ترجمة: خليل كلفت ـ مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء ـ ١٩٩٩م ـ ص ٢٨.

حاوره: محمد عبدالشافي القوصي

الحديث مع الفنان المصري حسن يوسف في الحقيقة له مذاق خاص، وطابع فريد، لما تميز به ضيفنا من خيال خصب، وموهبة خلاَّقة، ورؤية شاملة، وتجربة عملية ناضجة، ورحلة حياتية شاقة... سواء في الحقل الفني أو في غيره من سائر ميادين الثقافة الأخرى... وهذا بدوره، جعله يحرز نجاحاً منقطع النظير في مشواره الفني - قبل اعتزاله - أو بعدما أسس «وكالة الإعلام» التي أسهمت إسهاماً كبيراً في ملء الفراغ الشاسع في عالم الطفل بأسره.

هذا، وقد تعرض الفنان حسن يوسف وزوجته شمس البارودي، لحرب إعلامية مغرضة - ولا تزال - من جانب السفهاء والمرجفين والذين في قلوبهم مرض، بسبب اعتزالهما الوسط الفني في مصر، وعودتهما إلى الذات، وبخاصة بعدما شعرا بأن الفن فقد رسالته المنوطة به، وخرج عن دوره المرسوم له، وتحوَّل إلى فوضى... وإسفاف... وإباحية... وتجارة بالأعراض... على حساب القيم، والأخلاق، ورسالة الفن... وإلى التفاصيل:

الفنان حسن يوسف

نحن لا نعادي الفنون... لكننا ضد الإباحية والتجارة بالغرائز

● حسب مقاييس المكسب والخسارة - ماذا كسب، وماذا خسر الفنان حسن يوسف بعد اعتزاله الحقل الفني، وإقلاعه عن تعاطي الفن وإدمان التمثيل؟!

- لم أخسر أي شيء على الإطلاق، ولكني كسبت كل شيء، كسبت الدنيا والآخرة - إن شاء الله -، وكسبت عقلي وقلبي ووجداني وشخصيتي، واحترام الناس لي، واحترامي لهم، وحفاظي على مشاعرهم وأوقاتهم وأعراضهم.

● ألا تعتقد أنك خسرت النجومية وعالم الشهرة والأضواء التي كانت مسلطة عليك، وانتقلت إلى الظل ودائرة التعتيم الإعلامي وعالم النسيان؟!

- إذا كانت النجومية على حساب القيم والأخلاق والأعراف والتقاليد، وعلى حساب الحق والعدل والآخرة، فبئست النجومية تلك، ويا خيبة المسعى نحوها!.

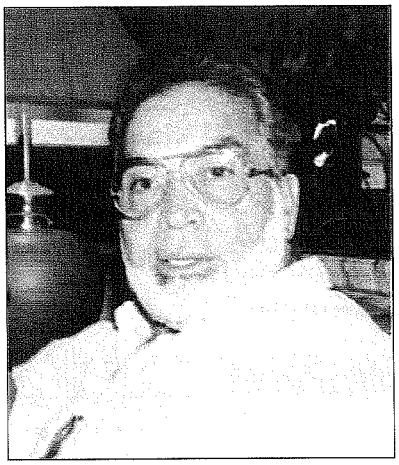

● الفنان حسن يوسف ●

فأنا قبل أن أكون فناناً أو نجاراً، أنا مسلم... لي رسالة على هذه الأرض، وفي هذه الدنيا، وأنا مسلم صاحب قضية كبرى، وأصدر عن تجربة تاريخية عمرها ألف وأربعمئة وعشرون عاماً، إنها تجربة الأمة الإسلامية في عمرها ورحلتها مع الحياة، وصراعها مع الباطل، وجهادها ضد الجبابرة والقياصرة والأكاسرة في كل العصور.

إن نجومية كهذه... مثل نجومية عاد وثمود، وفرعون وقارون وهؤلاء لا يزنون عند الله جناح بعوضة، ولم ولن تغني عنهم النجومية شيئاً، لأنها كانت في سبيل الدنيا والهوى.

● لكن المعروف عن الفنان حسن يوسف، أنك كنت تحمل لواء الفن الهادف البنَّاء... ولعل الأدوار التي قمت بها من هذا القبيل - أو بمعنى آخر - أنك كنت بمعزل عن الإسفاف والفوضى والسقوط - على عادة كثير من الفنانين في هذا الزمان؟!.

- اعلم ذلك جيداً، ولكني أيقنت باكراً أن الله لم يخلقني فناناً، ولا يريدني أن أكون كذلك... لذا، كنت أشعر بالغربة في الوسط الفني، ولم أشعر بالسعادة يوماً واحداً بتلك «النجومية» التي تجري الدنيا نحوها في سباق نجوم...

وعلى أي حال، فأنا مازلت في الساحة الفنية - بشكل أو بآخر - ودوري الآن هو إعداد أعمال إعلامية للطفل المسلم، باعتبار أن الأطفال هم رجال الغد وقادة المستقبل.

● أنت مع الفن ولست ضده - على وجه العموم - أي أنك لاتعادي الفنون في حد ذاتها، ولكنك ضد الفن الهابط وتجارة الغرائز... أليس كذلك؟

- هذا الذي أريد أن أقوله بالضبط، لأن هذه الرؤية الإسلامية الصحيحة التي يجب أن نبلّغها للآخرين، فالإسلام لا يعادي الفنون، بل يدعو إليها بأجمل الأساليب وأرقى الألوان، واستخدامها في الترفيه والتوجيه والإرشاد، وهذا هو الفن الإسلامي الذي أرغّب الموهوبين في اقتحامه، ومحاولة تقديم أعمال إسلامية تتفق مع الذوق الإسلامي الرفيع والمبادئ والقيم الإسلامية العليا.

● ألا تتفق معنا على أن هناك أعمالاً فنية عالية القيمة، سواء في الأداء أو المضمون... واستطاعت أن تعبِّر عن رأي الجماهير، أو الرأي العام العربي والإسلامي؟

- قليلة جداً مثل هذه الأعمال، وسط هذا الطوفان الهادر من المسلسلات والأفلام والمسرحيات المخدرة التي لوثت المجتمع، واقتلعت القيم والثوابت والأعراف الحميدة من جذورها وإذا تساءلنا أين موقع هذه الأعمال الفنية القيِّمة من تلك المآسي والأزمات التي تمر بها الأمة من كشمير إلى الشيشان إلى القدس إلى أفريقيا التي تموت جوعاً وتغرق تحت أمواج الجهل والفقر والمرض.

● إذاً... ما الدور المنوط بالفنانين والمنتجين تجاه أمتهم، في هذه المرحلة بالذات؟

- جميع الفنانين والمنتجين يعلمون المطلوب منهم، فهم ليسوا في حاجة إلى من يرشدهم أو ينبههم، فهم الفئة الوحيدة القادرة على تحريض الشعوب، وقلب الأنظمة، وتحريك الجيوش، وإعلان الجهاد. المهم والمطلوب هو يقظة الضمير، والإحساس بالمسؤولية.

● لوحظ أن جميع الفنانين أو العاملين في الوسط الفني في العالم العربي كله... رافضون لهذا المستوى المتدني الذي بلغه الفن، ومنهم من يتهم الأعمال الإبداعية بأنها ليست على المستوى المطلوب... فما رأيكم؟

- لو كانوا مقتنعين بهذا، فلماذا لم ينسحبوا!! ولماذا شاركوا في هذه الأعمال، ومازالوا يدافعون عنها بقوة، ولكني أستطيع أن أقول: إن الفن بصورته الحالية صناعة يهودية، والصهاينة هم الذين وضعوا بذور هذه الصناعة، ومدينة هوليوود شاهدة على ذلك. ونحن نعلم أن اليهود بالسينما أو الإعلام اخترقوا الدول والمؤسسات، وسيطروا على مقدرات شعوب العالم كله.

● في ظل الاختراق الغربي أو الصهيوني للسينما والمسرح هل يمكن أن ندعو إلى «فن إسلامي» فضلاً عن إنشائه؟

- نعم... ولن يهدأ لنا بال حتى نعلي راية الفن الإسلامي في مصر والدول العربية، بدلاً من الكناسة التي تعرض على الناس، باسم

منتجو الأفلام في بلادنا أخطر من تجار المخدرات والهروبين

الفن، الذي يستغل المرأة أبشع استغلال، ويكرس جهوده لإغراء الشباب والفتنة في المجتمع بهذا الشكل السافر.

إن هؤلاء الفنانين والمنتجين أشد خطراً على المجتمع من تجار المخدرات والهروبين.

● لاتزال الفنانات المعتزلات يواجهن حملة إعلامية شرسة لتشويه صورتهن، أو ردهن مرة أخرى إلى الساحة الفنية، فهل تنجح مثل هذه المحاولات المستمرة - من وجهة نظركم؟

- لا أعتقد أن من ذاق حلاوة الهدى والإيمان في قلبه، يشتهي العودة إلى مستنقع الرذيلة ومواخير البغاء... حتى عندما استخدم هؤلاء المرتزقة والمنتفعون والمأجورون جميع الأسلحة في وجه هؤلاء الفنانات المعتزلات، كإعادة عرض أعمالهم الفنية التي حدثت بها بعض التجاوزات في أثناء مرحلة الضياع والغيبوبة التي عاشوا فيها... لم تنجح هذه الوسيلة المكشوفة أبداً.

● لماذا تعرضت السيدة «شمس البارودي» بالذات، لحملات إعلامية شديدة جداً، أكثر من غيرها؟

- زوجتي، كانت هي التي فتحت طريق الهداية أمام الأخريات، فأحسَّ تجار السينما أنهم هُزموا هزيمة نكراء، كما تخوَّفوا من أن يصبح تحول شمس البارودي إلى ظاهرة تجذب غيرها، لذلك أعلنوا عليها الحرب بضراوة، وتحركت فلول الشر وسماسرة الدعارة إلى عرض أفلامها القديمة كلها في دور السينما... حتى اضطرت هذه الإنسانة المحترمة إلى نشر إعلانات مدفوعة الأجر في كل الصحف، قالت فيها ما جاء في الحديث الشريف: «من ضار أضرَّ الله به، ومن شاق شقَّ الله عليه».

● كيف استقبلت قرار اعتزال زوجتك للسينما والوسط الفني عامة؟!

- إن ما فعلته زوجتي هو نعمة من الله وحده، وهداية لها ولمستقبل أولادها وبيتها الذي تحوَّل إلى جنة حقيقية... فحدث الاستقرار والطمأنينة ونزلت علينا السكينة والرحمات. بل إن اعتزال شمس البارودي للفن، كان له تأثيره الواضح على الأسرة كلها والعائلة بأسرها، فجميع الفتيات والنساء من أسرتي وأسرة زوجتي تعلمن الالتزام الأخلاقي والاجتماعي بصورة لافتة للنظر.

● هل كان لك دور في اعتزال زوجتك للسينما، بعدما حققت شهرة مدوية في الوسط الفني؟

- الفضل لله وحده، فزوجتي شمس كانت عاقلة جداً، لذلك عندما أحست أن مهنة التمثيل تبتز أنوثتها وتحقِّر كرامتها وآدميتها - بعدما رفضت الكثير من الأدوار التي عرضوها عليها إلى أن قررت اللاعودة، وتركت كل شيء، لتنجو بدينها.

● كلمة أخيرة للفنان حسن يوسف؟

- أتمنى أن تتواصل قافلة الفنانات المعتزلات، ليلحقوا بالسيدة شمس البارودي وشادية وهالة الصافي وأخواتهن اللاتي هداهن الله إلى الحق وطريق الهداية ●

دفع الافتراء والتهم عن ابن جليل الحافظ العلم

حقق الدكتور محمود بو عيَّاد للحافظ محمد بن عبدالجليل التَّنسيّ (ت٨٩٩هـ) باباً من كتابه الضخم الذي يضم سبعة وثلاثين باباً، اسم الكتاب المخطوط: «نظم الدرّ والعقيان في دولة بني زيَّان» ونال بتحقيق هذا الباب درجة الدكتوراه، وقد سبقه إليها مستشرق فرنسي ترجمها إلى لغته الفرنسية.

بقلم: د. أحمد شرشال

كلية الشريعة - جامعة الكويت

ومما قاله الدكتور بوعيّاد في مقدمة الباب المحقق: «إفراط المؤلف في التملق لبني زيّان» ثم قال: «وتعمّد إغفال ذكر عيوبهم»، وذكر أنه كان يسكت عن بعض الجرائم التي ارتكبها الملوك أو أبناؤهم، ثم راح يسرد ذلك إلى أن قال: «وتملقاً صريحاً للدولة الزّيانية»، وذهب يعدد ما يراه خطأ وعيباً في نظره إلى أن قال: «وتلاحظ بهذا الصدد أن صاحبنا قد تكسَّب بهذه القصيدة التي قالها في مدح وليّ نعمته على غرار الشعراء الذين كانوا يحومون حول القصور في انتظار فرصة لإلقاء قصيدة في مدح الأمير علَّهم ينالون جائزة على زخارفهم اللفظية»(١).

وأطال في ذلك جاعلاً من الحبة بل من الذرة قبة حتى إن من يطّلع على ما كتبه وسوَّد به أوراقه ينطبع في ذهنه أن الإمام الحافظ التنسي صعلوك من شعراء الصعاليك يقف على الأبواب يتكسبُّ بشعره، ولا تجد إلا الطعن فيه وطمس شخصيته حيث خصَّص خمس صفحات لمحاسن الباب المحقق وضعف ذلك في التماس العيوب، وصيد الهفوات وحمل كلامه على غير محمله الصحيح.

طبيعة العصر الذي عاش فيه التنسي غير عصرنا والمفاهيم السائدة في ذلك العصر غير مفاهمنا

وقد يكون الدكتور أبوالقاسم سعد الله ممن انطلت عليهم هذه المزاعم، فهو الآخر وصفه بقوله: «ومن الواضح أن هدف التّنسي من كتابه هو التقارب من الأمير»(٢).

- وهكذا، فإن القارئ الذي لم يطلع على آثار الشيخ التّنسيّ المخطوطة تنطلي عليه هذه المزاعم والأباطيل ويفوته فضل الرجل وعلمه وشجاعته، وقد كنت يوماً ما أعتقد ذلك لولا أن الله منَّ عليَّ بجمع آثاره وكتبه المخطوطة وقراءتها، فكل ما قيل فيه هو محض افتراء واتهام.

- فواجب الأمانة العلمية وواجب النصح والإرشاد يقتضيان

أن أردَّ ذلك بالحجة والبرهان، وأخالف الدكتورين في مزاعمهما الباطلة، وأجيب وأدفع كل ما قيل في الإمام الحافظ التنسي من كلامه نفسه ومن كلام الأئمة المعاصرين له وهم أقعد وأعرف بالحال.

إنني أرى وصم الإمام التنسي بالتملق والتكسب خطأ كبيراً وذنباً يحتاج إلى توبة، ومن وصفه بذلك فهو واهم، وقد بيَّن المؤلف - رحمه الله - في أول مقدمته أنه ألَّفه لمحمد المتوكل أحد ملوك تلمسان فقال: «فعزمتُ جعل الله الملك فيه وفي عقبة أبدياً على أن أجمع تصنيفاً يكون ملوكياً أدبياً» وكان - رحمه الله - يعقب على كل جملة من ذلك بقوله: «والله تعالى المرجو والمسؤول». ويستمر قائلاً: «ولا إله غيره ولا مرجوّ إلا خيرهُ»(٣).

- فسبحان الله! فهذا التعقيب ينبئ بأنه كان معلَّق القلب باللَّه وهو يرفع كل احتمال بأنه فعل ذلك تقرّباً وتزلفاً إلى السلطان. وقال في خاتمة كتابه: «... بل كان أوفر الدواعي إلى جمعه والأسباب الحاملة على وضعه إتحاف ذوي الألباب بما فيه من الملح المتغربة وتحريكهم إلى استعمال ما تضمنته حكاياته وأشعاره المستعذبة من أخلاق شريفة ومحاسن ظريفة وشيم حسنة وخلل مستحسنة تحمل على التخلق بالخلق الحسن...»(٤).

- فهذا كلام من مقدمته وخاتمته ليس فيه ما يشتمُّ منه أنَّه كان يتملق ويتكسبُّ بشعره، ثم إنَّ وضعه في جملة المؤرخين كما زعموا ثم تسليط مناهج المؤرخين عليه بالقول: إنه أغفل ذكر الجرائم، ولم يذكر كذا وكذا، وتملّق للدولة هذا كلام ساقط مكروه، فهو لم يكن مؤرخاً فحسب، وإنما كان عالماً محدِّثاً مفسراً مقرئاً، وقد بيَّن - في أول مقدمته - أنه ألَّفه مقابلة للإحسان الذي إليه المتوكل حيث مكَّنه من التدريس في المدرسة اليعقوبية وفي المسجد وفي المنزل فصنَّف له تصنيفاً ملوكياً لحمله على النصح للرعية وإقامة العدل، وإذا كان ذلك كذلك فلا يتصور عقلاً ولا شرعاً أن من أحسن إلينا أن نقابله بذكر العيوب والمثالب، وقد قال صلى الله عليه وسلم:

«من صنع لكم معروفاً فكافئوه...»

وهذا ما كان يجب على الدكتور أن يفعله لأنه نال الدرجة العلمية بتحقيق باب من كتابه للضخم، فكان الواجب ألا تتنكَّر للجميل وتنكره، وتطعن في الشيخ وقد أسدى لك معروفاً، فهو شيخك وتتلمذت على كتابه، فلم تذكره بالسوء؟!!

- ثم إن كتابه المجموع «نظم الدرّ» ليس كتاباً تاريخياً، ولا هو مؤرّخ حتى يلزمه أن يذكر ما يريده الدكتور بوعياد والدكتور سعدالله، وما ألزمه به ليس بلازم، والصواب ما جاء في دائرة المعارف.

القارئ الذي لم يطلع على آثار الشيخ التنسيّ المخطوطة تنطلي عليه هذه المزاعم والأباطيل

«وقد ألَّف هذا الكتاب على غرار مصنفات ذلك العهد فهو ليس تاريخاً فحسب، وإنما هو ديوان شعر وأدب وحكم وملح ونوادر أيضاً»(٥).

فمؤلفو دائرة المعارف أفقه منهما في تقدير الكتاب والحكم عليه، والدليل على ذلك أن عنوانه قاصر جداً جداً عن محتوياته، حيث شمل باباً واحداً - وهو الباب السابع - «تاريخ بني زيّان»، وباقي الأبواب والأقسام هي أبعد ما تكون عن تاريخ بني زيان ولا صلة لها بتاريخ الدولة الزيانية، باب واحد من جملة ٣٨ باباً هو جزء ضئيل من مجموع الكتاب، فضخم كتابه بأقسام وأبواب لا تمت بصلة للعنوان ولا لبني زيان، وهذا من كياسة المؤلف ولباقته.

- لقد جاء هذا القصور والوهم للدكتورين من نظرهما في باب واحد، فتحقيق باب واحد ثم اتهامه وإلزامه بما قيل عنه حكم بغير دليل، فلو حُقِّق الكتاب كله جملة واحدة ما كان هناك سبيل للاتهام، وما كان هناك سبيل لوصفه بالتملق والتكسب، فالمنهج السديد ألا يبتر منه شيء، ثم يكون الحكم، وحينئذ يعرف فضل الرجل وعلمه وشجاعته.

- ومن جهة أخرى فإن طبيعة العصر الذي عاش فيه الحافظ التنسي غير عصرنا والمفاهيم السائدة في ذلك العصر غير مفاهمنا فلا نحاول أن ننظر بمفاهيمنا وتصوراتنا وما يخيَّل إلينا وما رسب في عقولنا، ونجعل ذلك معياراً نقيس به أحوال المتقدمين، فمن الانصاف لمن يريد تقويم شخص ما وتقدير فكره وعمله أن يضعه في إطاره التأريخي الخاص به لا يعدو به زمانه ومكانه إلى زماننا نحن ومكاننا.

- إن ما قاله الدكتوران عكسه هو الصحيح، فليس هناك جفوة بين العلماء والملوك لأنهم في الغالب - علماء وأدباء يستقدمون العلماء ويجرون عليهم الأرزاق ويجلسون في حلق العلم يسمعون(٦).

وقد دأب العلماء على إهداء كتبهم إلى الخلفاء والسلاطين، فهذا أبو علي الفارسي - مثلاً يُهدي «كتابه الحجة» إلى المنصور عضد الدولة.(٧)

- إن التملق والتكسب الذين رُمي بهما الحافظ ينشأ في أصحاب النفوس المريضة، وشهرة التنسي وعلمه ومؤلفاته لا تساعد على ذلك. وإذا سلمنا جدلاً أنه تكسَّب وتقرَّب بتصنيفه «نظم الدر والعقيان» كما زعم الدكتوران، فتعال بنا نتصفح محتوياته ومضامينه ماذا نرى؟!.

نرى فيه قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال خلفاؤه الراشدون وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا في مقام بيان ما يختص بالملك من الخصال وما يليق به

من حسن السيرة وجميل الخصال، ومما أورده قوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك...)آل عمران:١٥٩، وقال رحمه الله: «قال صلى الله عليه وسلم: «كل أمير لم يحط رعيته بالنصيحة لهم لم يرح رائحة الجنة»، وينظر ما قاله في باب العدل والجور(٨).

- وثمة أمر آخر: شهادة المعاصرين له بالشجاعة والعلم وعدم المداهنة والخوف ممن يخاف شرُّه وتتقى شوكتُه.

إن الشيخ الإمام عبدالكريم المغيلي ت ٩٠٠هـ كان شديد التمسك بالسنَّة ومن الثائرين على البدع والخرفات، وكان معروفاً بشدته في الدين، فكان يأمر السلاطين والملوك ويضع لهم أصولاً وقواعد في سياسة الرعية، وكانت له في ذلك جرأة عجيبة وهيبة عظيمة، وأسلم على يديه ملوك وسلاطين وقام على اليهود وألزمهم الذل والصغار بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون، وهدم كنائسهم وحصل له بسبب ذلك أمور مع فقهاء عصره، ونازعه بعض الفقهاء وقال: «لايجوز هدم بيع اليهود وكنائسهم»(٩).

فراسل في ذلك العلماء يستفتيهم، وقد توجّه المغيلي على كبر علمه وحدّته إلى عالم تلمسان التنسيّ يستفتيه في قضية يهود «توات»... فهذا يدلّ على أنه كان يعتبره من أجلّ علماء عصره وأكبرهم منزلة، فاعتمد فتواه في تحقيق المسألة وهدم كنائسهم.

- والمتأمل لنص الفتوى كما نشرها صاحب المعيار يتبين موقف التنسي الصلب الشجاع في قضية يهود «توات» لولا مكانته العلمية وشجاعته ومجاهرته بالحقّ ما توجّه أحدٌ من فقهاء عصره وعلمائهم في استفتائه في القضية واعتماد فتواه، واستبعاد الفتاوى الأخرى.

وآخر ما جاء في جوابه الطويل بعد عرضه وبسطه للأدلة من الكتاب والسنة قال:

- فالواجب على كل من له قدرة من المسلمين في هدم الكنيسة المسؤول عنها قدر طاقته، ويبذل جهده في ذلك ما استطاع، إذ ذاك من أكبر الجهاد، ومن تعرّض للمنع من ذلك فجواب إمام المغرب أبي القاسم العبدوني شامل له، حيث جعله دائراً بين الكفر والفسق الموجب للعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

- ولا حجة لهم في طول الحيازة ودوام المنكر وكثرته لايغير حكمه ولا عبرة بكثرة وجود ذلك واستمراره ولاينكر النصوص المقتضية لذلك ويدفع في نحرها إلا من هو مكذّب للشريعة ساع في هدمها.

- وإن الإمام السنوسي سئل عن المسألة، ولم يجب واكتفى بما قرره الحافظ التنسيّ لأنه لم يترك شيئاً في المسألة إلا أتى عليه، ولم يجد ما يضيفه الشيخ الإمام السنوسي.

وصم الإمام التنسي بالتملق والتكسب خطأ كبيراً وذنباً يحتاج إلى توبة

وقال في الإمام التنسي الذي وصفه الدكتوران بالتملق والتكسُّب: «فاعلم يا أخي أني لم أر من وُفِّق لإجابة هذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق، وشفى غليل أهل الإيمان في هذه المسألة، ولم يلتفت لأجل قوة إيمانه ونصوع إيقانه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتوقّى شوكتُه ويخشى أن يقع على يديه إضرار أو حطّ في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة علم الأعلام الحافظ المحقق أبي عبدالله محمد بن عبدالجليل التنسيّ بارك الله تعالى له ومتّعه ومتّع المسلمين ببقائه وأمدّه بطول الصحة والعافية وزاد دنيا وأخرى في علوّه وارتقائه، فإنه جزاه الله خيراً قد مدّ في إبانة الحقّ ونشر أعلامه النّفس، وحقّق نقلاً وفهماً، وبالغ في ذلك حتى أبدى من نور إيمانه الماحي لظلمات الكفر وآثاره أعظم قبس على ما تقفون عليه في جوابه المكتوب هذا بآخره.

فليعوّل أهل «تمَنْطِيْت» وغيرُهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب ولينبذوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام وإعزازه وإصابة وجه الصواب والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالحق وإخماد الباطل وإعزاز دين الإسلام وأن يمحو الكفر وآثاره من جميع بلاد المسلمين والسلام عليكم وعلى من يقف على هذا المكتوب ورحمة الله تعالى وبركاته»(١٠).

فهذا النص الطويل وما تضمنه من ثناء ونعوت وشهادة يبطل ويدحض كل ما قاله الدكتوران الجليلان في هذا الإمام الجليل ولايدع مجالاً للشك بأن هذا التملق والتكسب الذي رمي به الحافظ هو شهادة زور وبهتان لا أساس لها من الصحة، كما قال الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة بأنّي فاضلٌ

الهوامش:

١ - انظر: مقدمة الباب المحقق - د.بوعياد ص ٦٠، ٦٢، ٧٥ طبعة دار الكتب الوطنية.
٢ - التاريخ الثقافي - د.سعد الله ٦٣/١.
٣ - نظم الدر والعقيان - مخطوط ورقة ٣، ٤، رقمه ٣٣٩ المكتبة الوطنية - تونس.
٤ - نظم الدر - ورقة ٣٤٠.
٥ - دائرة المعارف جـ ٥ - ص ٤٩٨.
٦ - انظر مثلاً: المسند الصحيح - لابن مرزوق.
٧ - انظر: الحجة لأبي علي ص ٥.
٨ - نظم الدر والعقيان - للتنسي - ورقة ١٢٥ - ١٤٩.
٩ - ترجمته في نيل الابتهاج - ص ٣٣٠.
١٠ - انظر: المعيار المعرب ٢٥٣/٢، نيل الابتهاج ٣٢٩، تعريف الخلف ٦٤/١.

حزمة دولارات

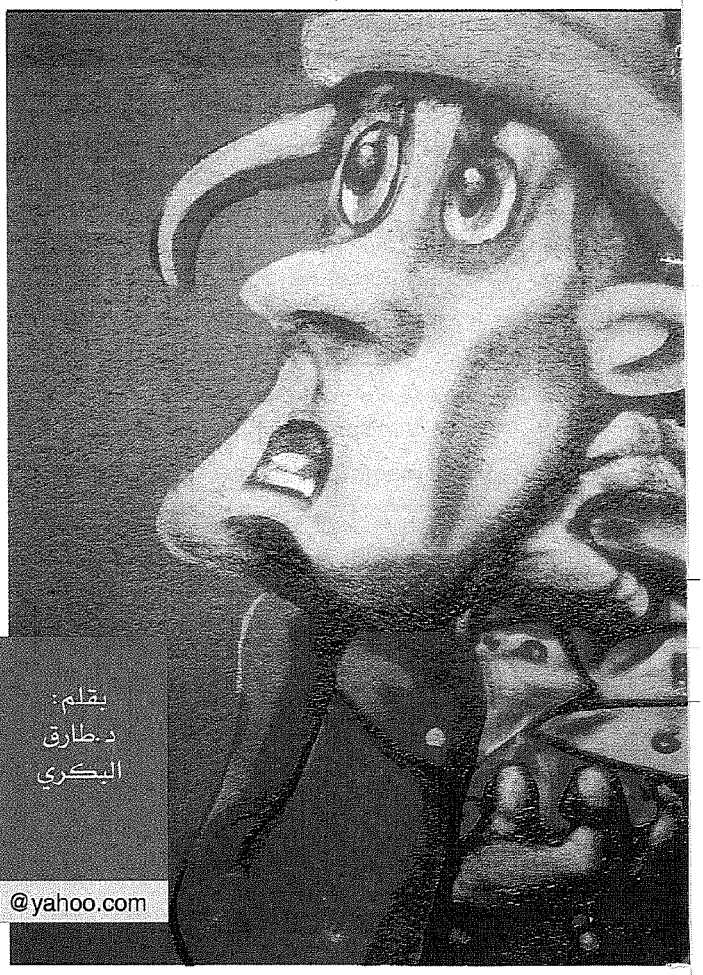

بقلم: د.طارق البكري
E-Mail:docbakri @yahoo.com

انتظر حتى يأتي دورك...

لم يحن الأوان بعد..

ألا يمكنك أن تتحلى بشيء من الصبر؟

منذ أشهر وهو يسمع هذه الكلمات في كل مرة يراجع فيها المستشفى الحكومي، حتى ملَّ التكرار.. ورتابة الانتظار.

جلس أكثر من ساعة في الزيارة الأخيرة، رجلاه لم تعودا كما كانتا في الماضي، المرض نخر حتى عظامه، فقعد منتظراً قدوم الكاتب بعد أن قيل له إنه ذهب ليقضي حاجته.. لكن يبدو أنه ذهب إلى أبعد دورة مياه في المدينة.

بالله عليك يا بني... «ألم يحن دوري بعد...

فأنا تعبان... تعبان» قالها بحسرة وكأنه يعرف الجواب مسبقاً.

نظر الكاتب إلى الرجل باستعلاء شديد... ألا تفهم؟... ألا تستوعب الكلام؟ أنت تحتاج إلى عملية جراحية كبيرة، هناك عشرات مثلك ينتظرون... ثم اقترب منه هامساً في أذنه: كل شيء بثمن.. فانظر كم تساوي حياتك؟

همّ الرجل بضربه بقبضة يده الواهنة، لكنه تراجع وقال: كم... كم... أيها «الحقير»؟

ادفع ما تظنه قيمة حياتك؟ ثم مضى ودخل غرفته وأغلق الباب مبتسماً ابتسامة عريضة.

خرج الرجل حيران أسفاً، من أين يأتي بالمال؟ لقد حذَّره الطبيب آخر مرة من خطورة حاله الصحية، وأن دقات قلبه قد تتوقف عن النبض في أي لحظة إن لم تجر له عملية سريعة.

من أين يأتي بالمال ليرشي ذلك الكاتب الجشع؟

فكر قليلاً... ليس لديه خيارات.. لا يملك سوى شقة قديمة في حي فقير، لا تساوي إلا قيمة تافهة من المال... لكن ليس باليد حيلة، فلم يعد هنالك مجال للتأجيل.

قادته قدماه بصعوبة إلى سمسار الحي.. وعده السمسار خيراً بعد أن شرح له ظروفه... وبعد أيام جاء المشتري وبيده كيس فيه حزمة رقيقة من المال... فوقَّع على بيع شقته، وحمل الكيس متوجهاً إلى المستشفى.

هذه المرة لن أعود خائباً: سوف أحصل على موعد بأسرع وقت ممكن، سأدفع له المبلغ كاملاً، المهم أن تجرى العملية.

قطع الطريق من بيته المباع إلى المستشفى في مدة قياسية، فبعد أن كانت المسافة تستمر نحو الساعة، وصل في نحو نصف الساعة، وأسرع إلى غرفة الكاتب ليرمي الكيس في وجهه وينتزع الموعد القريب.

فاجأه موظف آخر يجلس في مكانه.. إنه الموظف الجديد... سأل عن الموظف القديم.. فقال له: لقد فارق الحياة قبل أكثر من أسبوعين... صدمته سيارة أمام مدخل المستشفى.. حالاً... رحمه الله... الآن قل لي: ماذا تريد؟

- اسمي جمال السيد... لي طلب قديم... أنا...

- مرحباً بك يا سيدي... أين كنت؟... لماذا لم تترك عنوانك؟! إننا نبحث عنك منذ أسبوع. لقد عثرنا على أوراقك في أحد الأدراج، يبدو أنها كانت ضائعة... لقد قدمت إلى اللجنة ووافقت على إجراء العملية، وتم تحديد الموعد خلال الأسبوع المقبل... يجب أن تدخل المستشفى حالاً.

سقط الرجل أرضاً من هول المفاجأة.

وبعد أسبوعين غادر المستشفى وعاد إلى مزاولة عمله... واستأجر منزلاً جديداً... وكان دائماً يترحم على الكاتب القديم ●

بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها

الحلقة (١٧)

بقلم:
د. محمد أبو الفتح البيانوني
كلية الشريعة - جامعة الكويت

نتناول في هذه الحلقة بصائر دعوية جديدة في جانب المناهج والأساليب الدعوية، فإن من البصائر الدعوية في هذا الجانب:

١ ـ التعرف إلى أسلوب الموعظة الحسنة، والوقوف على أهميته وبعض خصائصه.

فإن أسلوب «الموعظة الحسنة» هو الأسلوب الثاني الذي أمرنا الشارع باعتماده في دعوتنا بعد أسلوب الحكمة، فقال عزَّ وجلَّ: (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين) النحل:١٢٥، ووصف الموعظة هنا بالحسنة، دليل على أن الموعظة كما تكون حسنة، فقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ الإنسان به، ويأمر به من جهة، وبحسب أسلوبه في وعظه من جهة أخرى.

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي: ترادف النصيحة في اصطلاح الشارع، وإن لها أشكالاً عدة منها:

أ ـ القول الصريح اللطيف اللين، قال تعالى في الآية ٨٣ من سورة البقرة: (وقولوا للناس حُسناً).

ب ـ الإشارة اللطيفة المفهومة، وقديماً قيل: إن اللبيب من الإشارة يفهم.

جـ ـ التعريضُ، والكناية، والتورية.

د ـ القصة المؤثرة، والخطبة البليغة، والفكاهة المضحكة.

هـ ـ التذكير بالنعم المستوجبة للشكر.

و ـ المدح والذم، والترغيب والترهيب.

ز ـ البشارة والوعد.

حـ ـ التحمل والصبر... وما إلى ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر في نفوس المدعوين، وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة دفعاً.

وإن من مظاهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة:

١ ـ الأمر الصريح من الله عزَّ وجلَّ لعباده باستعماله، قال تعالى في الآية ١٢٥ من سورة النحل: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)، وقال في الآية ٤٤ من سورة طه: (فقولا له قولاً ليناً)، وقال: (وقولوا للناس حسناً)، وقال: في الآية ٦٣ من سورة النساء (وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً).

٢ ـ جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيحة أساس الدين كله، فقال في الحديث الذي رواه مسلم وغيره: «الدين النصيحة» كما ذكرنا: مرادفة للموعظة الحسنة.

٣ ـ مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة عليها، فقد جاء في الحديث المتفق عليه: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

٤ ـ استخدام جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها،

فقد أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلام، أنه قال: (وأنصح لكم)، وعن هود عليه السلام أنه قال: (وأنا لكم ناصح أمين).

٥ ـ ومن ذلك عظم خصائص الأسلوب، والتي منها:

أ ـ لطف عباراته وألفاظه، فلا بد للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة، ولفظ مناسب.

ب ـ تنوع أشكالها وكثرتها، فيتمكن الداعية من اختيار الشكل المناسب للموقف المناسب دون صعوبة أو مشقة.

جـ ـ بليغ أثرها في النفوس البشرية وسرعة استجابتها له، وغرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين.

د ـ محاصرة المنكرات والقضاء عليها، لأن الناس يخجلون ممن يعظهم موعظة حسنة، فيتركون المنكرات أو لا يجاهرون بها على الأقل بسببها.

وإن للدعاة عبرة في سيرته صلى الله عليه وسلم باستخدام الموعظة الحسنة، وأثرها العملي في حياة الناس.

من ذلك استخدامه صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب مع الأعرابي الذي بال في المسجد، فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لاتُزرموه دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ والصلاة وقراءة القرآن، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنَّه عليه».

وكذلك موقفه صلى الله عليه وسلم يوم حنين، حين قسَّم الغنائم، فوجد الأنصار رضي الله عنهم في أنفسهم شيئاً، فقام فيهم خطيباً يذكّرهم بنعمة الله عليهم، ووعظهم موعظة حسنة كان لها عظيم الأثر في نفوسهم، فقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن عاصم قال: «لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قَسَمَ في الناس في المؤلَّفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئاً فكأنَّهم وجدوا ـ أي غضبوا ـ إذ لم يُصبهم ما أصاب الناس.

فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي، وكنتُم متفرِّقين فألَّفكم الله بي، وعالةً فأغناكمُ الله بي، كُلَّما قال شيئاً قالوا: اللهُ ورسولهُ أمَنُّ.

الموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي ترادف النصيحة في اصطلاح الشارع

الداعية الحكيم البصير هو الذي يتخذ من أسلوب الرسول ﷺ قدوة وأسوة

قال: ما يمنعكُم أن تُجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كُلَّما قال شيئاً قالوا: اللهُ ورسولهُ أمَنُّ.

قال: لو شئتُمْ قُلتُمْ جئتنا كذا وكذا... أترضون أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلكَ الناسُ وادياً وشعباً لسلكتُ وادي الأنصار، وشعبها. الأنصار شِعَارٌ والناسُ دثارٌ، إنَّكُم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» البخاري رقم (٤٣٣٠) الفتح (٤٧/٨).

أليس من الموعظة الحسنة: أن يذكِّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعم الله عليهم؟ أليس من بليغ الموعظة الحسنة أن يقول لهم لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، ليشير بفضلهم عليه، واعترافه لهم صلى الله عليه وسلم بما قدموه له...؟

أليس من ذلك أيضاً: أن يقول لهم: لولا الهجرة لكنت امرءاً منكم، وأنه لو سلك الناس مسالك وشعباً، لسلك هو مسلك الأنصار وشعبهم؟

أليس من الموعظة الحسنة أن يجعلهم منه بمنزلة الشِّعار، ويجعل غيرهم بمنزلة الدثار؟

أليس في قوله لهم: «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» بشارة لهم ووعد لهم بالحسنى؟

هذا نموذج رائع من نماذج الموعظة الحسنة التي نجدها كثيراً في سيرته وسنته صلى الله عليه وسلم. فالداعية الحكيم البصير هو الذي يتخذ من أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يوفقنا لاتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسي به في جميع شؤوننا وأعمالنا، وأن يحفظنا من الزلل والخطأ.

وإلى حديث آخر في حلقة مقبلة إن شاء الله ●

ظهور المذاهب الفقهية

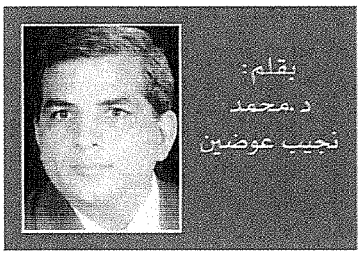

تعد أهم الأحداث خلال الفترة الطويلة التي اعتبرناها الطور الثالث من أطوار الفقه الإسلامي بمراحله المتعددة... تدوين السنة النبوية المشرّفة، ثم ظهور المذاهب الفقهية التي كانت نتاجاً للحركة العلمية الدائبة والمزدهرة في هذه الفترة ليتوّجها الفقهاء بتحديد الصورة الثابتة والمتكاملة الأركان المحددة المعالم للفقه الإسلامي كعلم مستقل.

صحيح أن ظهور المذاهب الفقهية الجماعية ليس بالحدث الجديد تماماً، فقد ظهر في صحابة رسول الله والتابعين فقهاء لهم منهجهم وأسلوبهم في الاجتهاد والاستنباط - ونقلت آراؤهم مع الأحاديث والآثار المروية عنهم، وقد كانت هذه الاجتهادات مشعلاً أضاء الطريق للفقهاء بعد ذلك إلا أن هذه الآراء لما لم تدون لم تصل مجمعة، وكتبت في فروع أخرى من علوم الشريعة كالتفسير والحديث وما نقل من خلال كتب فقهاء المذاهب المشهورة التي دُونت.

إلا أن المذاهب الفقهية الجماعية كتب لها أن تظهر عقب ظروف يسرت لها الاستمرار والوصول إلينا منظمة - كازدهار الحركة العلمية الشاملة التي خدمت الفقه بطريق مباشر وغير مباشر، كذلك بدء التدوين للعلوم وسهولة تبادل الآراء الفقهية - ثم كثرة الوقائع التي فتحت مدارك الفقهاء على توسيع دائرة مجال الفقه الافتراضي الذي يعطي ما يحدث من وقائع مستقبلية، ثم استمرار أتباع أئمة هذه المذاهب في حمل لواء نشر منهجهم بين الناس والذين كان لهم الفضل في انتشارها وبقائها - ولكن قبل البدء في عرض تفاصيل المذاهب الفقهية يجدر بنا الإجابة على تساؤل مهم يتردد دائماً بخصوص هذه المذاهب الفقهية.

لماذا نشأت المذاهب الفقهية، ولماذا تعددت؟

أهم أسباب نشأة المذاهب وتعددها:

أولاً: الظروف الجديدة التي أحاطت بالمسلمين وحاجتهم لحلول فورية لكثير من الوقائع نتيجة للأحداث التي طرأت على الأمة الإسلامية وأثرها على السنة، ثم اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتفرّق الصحابة في البلاد المختلفة، كل هذا أدى إلى الخروج عن المصادر الثابتة نتيجة كثرة الوقائع والاحتياج إلى الحلول الفورية لها، وقد رأينا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين، شديدي الحرص على المصادر الثابتة التي أتت بالقواعد الكلية والإجمالية في الكتاب والسنّة.

ولما بدأ احتياجهم لتوسيع دائرة المصادر التي يستقون منها الأحكام الشرعية - كانت تتعدد تفسيراتهم لمعاني النصوص ومفاهيمها، وكانوا يختلفون في التوفيق بين معاني الأدلة التي قد توحي بالتعارض وهؤلاء هم صحابة رسول الله قريبي العهد من عصر النبوة مع قلة الوقائع نسبياً وعدم حاجتهم المتسعة للاجتهاد، فما بالنا والحال

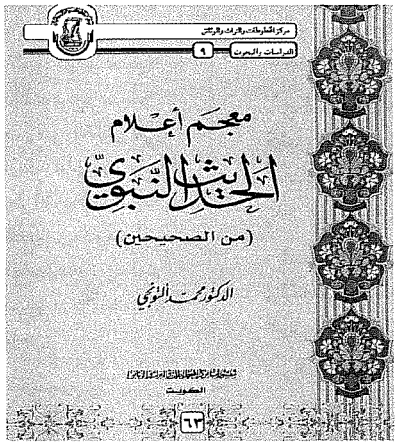

أمام هؤلاء العلماء وأئمة الفقه الذين وجدوا بين أيديهم كثيراً من أدوات الاجتهاد التي تتطلب منهم وقتاً وتمييزاً ليختاروا منها ما يناسب حلول القضايا والوقائع، فهذه معظم العلوم قد استقرت ودُونت وكلها تخدم الشريعة عموماً والفقه خصوصاً، وهذه البيئات العلمية التي يعيشون فيها يتعلمون من علمائها في ظل تأثير المكان سواء تأثر أهله بالحديث أو الرأي وهو ما تأثر الإمام مالك بنشأته في المدينة بلد الحديث، والإمام أبو حنيفة بنشأته في الكوفة بلد الرأي والجدال.

ثانياً: كذلك خلف ما حدث للسنة عقب الفتن من شيوع لرواية الحديث والكذب والتقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالرغم من تقييض الله سبحانه لرجال مخلصين قاموا بتدوين السنّة وتنقيتها إلا أنه نتيجة لهذا العمل تم ترتيب السنّة والأحاديث النبوية وفقاً للمعايير التي وضعها علماء الحديث من حيث قوة السند، وتواتر سلسلة الرواية فنجم عن ذلك وجود درجات متعددة للأحاديث من حيث قوتها كدليل فكان الحديث المتواتر والآحاد والدرجات المتعددة لكل نوع، صحيح أنها كلها أحاديث صدرت عن الرسول لكن ليس الحديث المتتابع في سلسلة روايته وسنده في كل الأحوال يعتمد عليه كدليل لواقعة من الوقائع كالحديث المرسل أو المنقطع السند، أو أي نوع من أنواع الأحاد، من هنا بدأ تعدد الأحاديث التي تعالج الموضوع الواحد مع اختلاف درجاتها من حيث الرواية، وربما الفقيه يفضل على الحديث الأقل في سند الرواية دليلاً آخر كقول الصحابي إذا كان في مسألة متفق عليها كما أن بعضهم اشترط للأخذ بالحديث الآحاد شروطاً محددة في الرواية للعمل به.

ثالثاً: كذلك كان لتأثير المكان على الفقهاء أثره في نوعية الإجماع فقد اعتبر الإمام مالك عمل أهل المدينة، بمثابة إجماع كإجماع

الصحابة لأنهم واكبوا النبوة والصحابة ورأوا السنَّة العملية رؤية العين. الأمر الذي لم يعتبر غيره هذا العمل إجماعاً وبالتالي كان هذا مصدراً لدى بعضهم دون غيره.

رابعاً: كذلك نظرة الفقهاء إلى أقوال الصحابة عندما يسأل الواحد منهم عن واقعة فيظهر الصحابي ليفتي فيها لأنه قد سمع وحده الرأي فيها فلو أيده غيره لانقلب هذا إجماعاً. ولكن مع قوله المنفرد الذي يعد بداية الاجتهاد الفردي، هنا يقدم بعض الفقهاء قول الصحابي على القياس، بل على الحديث الآحاد وبعضهم الآخر يؤخر ترتيبه بعد الحديث الآحاد أو يقدم القياس عليه.

خامساً: ثم عندما بدأ دور الاجتهاد في الاتساع بصدور صور الرأي الكثيرة من قياس، واستحسان، واستصحاب، ومصلحة مرسلة، وعرف، وغير ذلك من صور الاجتهاد، هذه المصادر اختلفت آراء الفقهاء حول حجيتها واعتبارها رغم اتفاق كل الفقهاء على أنه لايعتد بأي مصدر من مصادر الاجتهاد إلا إذا كان له سند من الكتاب أو السنَّة، لذا اعتبر جانب من الفقهاء بعض صور الاجتهاد ولم يعتبرها بعضهم الآخر - أو اختلف ترتيبها فيقدم فقيه صورة على أخرى، وسيتبين لنا عند استعراض المصادر التي استنبط كل فقيه منها أحكامه الشرعية أن كل المذاهب يبدأ تعدد رأيها عقب المصدرين الرئيسين الكتاب والسنَّة ومن بعدهما الإجماع.(١)

وكانت كل هذه الاجتهادات من الفقهاء في تحري قوة الدليل بتقديمه على الآخر - أدت إلى توسعة شاملة ويسَّرت السبيل أمام كل من يبحث عن حكم لمسألة أن يجد أكثر من حل لها وكل حل يعتمد على دليل، وأمام السائل الخيار في اختيار الرأي لمسألته حتى وصل الأمر بآراء الفقهاء إلى تغطية كل تصور للقضايا الافتراضية التي يمكن أن تطرأ على مدار الأيام حتى لنرى بعد مرور عشرات القرون على تصور هذه الوقائع أنها قد افترضت اليوم وكأنهم يعيشون بيننا بأجسادهم كما يعيشون بعلمهم.

وعلى هذا فإن تعدد الآراء في المذاهب المختلفة، وتعدد الآراء داخل المذهب الواحد مرجعه الاعتراف بحجية دليل أو مصدر من

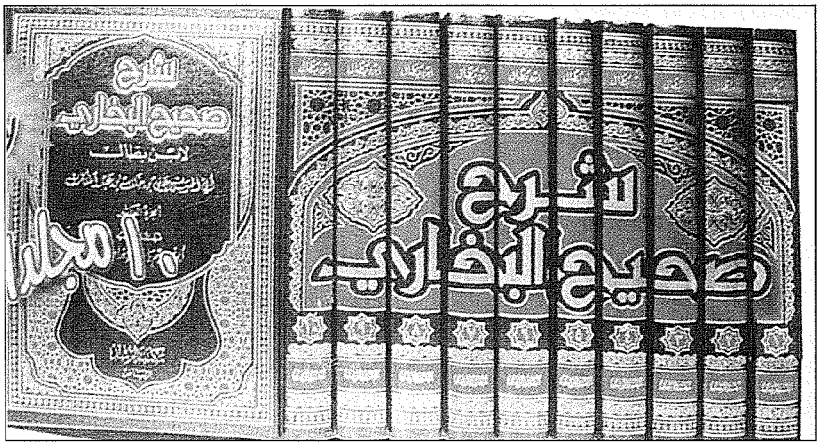

المصادر غير المجمع عليها من الفقهاء أو الاعتراف بها، ولكن اختلف ترتيبها في المصادر وفقاً للدرجة التي أعطاها إياها الفقيه فهي في هذا المذهب تحتل الدرجة الرابعة بعد الكتاب والسنَّة والإجماع، وهذا المذهب يضعها في المرتبة الخامسة أو السادسة حسب قناعته في قوتها والأدلة التي أيَّد بها حجية هذا المصدر... ومن ثمَّ ينتج من هذا أن توجد أحكام لقضية في مذهب لاعترافه بمصدر من مصادر الفقه في الوقت الذي لا يعطى هذا الحكم المذهب الآخر الذي لايعتد بحجية هذا المصدر... وبالتالي لا يأخذ بهذا الرأي لعدم قيام الدليل في نظره. وربما استدل صاحب هذا المذهب بأدلة تستند إلى مصدر أقوى لدليل المذهب الأول نفسه.

ما الثمرة التي عادت على الفقه الإسلامي بسبب تعدد المذاهب الفقهية وطبيعة الاختلاف بينها في بعض الأمور؟

أولاً: إن تعدد هذه المذاهب كان ظاهرة صحية وفاتحة خير على الفقه الإسلامي والمسلمين، ذلك أنه أدى إلى إثراء كبير لأحكام الفقه الإسلامي في القضايا والوقائع نتيجة أعمال الفكر والفهم في اختيار الحكم المناسب المستنبط، من المصدرالمناسب الواضح من زاوية للفقيه، بل صار للمسألة الواحدة، في المذاهب المتعددة أكثر من حكم لاختلاف نظرة الفقهاء للدليل، ثم يترك الخيار للسائل والمستفتي للترجيح والاختيار فيقدم ما اعتمد على دليل راجح قد يكون حديثاً متواتراً مثلاً على دليل مرجوح استند إلى حديث آحاد أو قياس. وبالتالي كان هذا أكبر دليل على رسوخ وثبات علم الفقه بمعناه الدقيق، بل تجاوز هذا الحد إلى ظهور الفقه الافتراضي بصورته الكاملة.(٢)

ثانياً: إن الخلاف بين الفقهاء أصحاب المذاهب المختلفة كان خلافاً، في الجزئيات الاجتهادية في التفصيلات والفروع، وليس في الكليات الثابتة فلا خلاف فيها لأنها راسخة واضحة النص فلا مجال للاجتهاد في أمور استقر حلِّها أو حرمتها، وإلا كان هذا مخالفاً للشرع لا خلافاً في الرأي.

كما أن هذا الاختلاف يبين مدى إعمال الفهم والفكر في القضية قبل الإفتاء فيها ليتبيَّن للناس مدى تعقل فقهاء المسلمين ودقتهم في تمحيص كل أمر قبل الإفتاء فيه أو قبل القول فيه.(٣)

ثالثاً: إن الاختلاف بين أئمة المذاهب المختلفة ليس خلافاً متنافر الجوانب أو متباعد الصلة، بل التآخي بين هذه المذاهب بآرائها واضح، فكثيراً ما نجد إجماعهم، واتفاقهم حتى في كثير من الفروع والجزئيات لأن منهلهم الذي يستقون منه منهجهم واحد في جملته، اللهم ما اختلف تقديره أو رؤيتهم لظاهر النصوص أو بحثهم فيما وراء المعاني أو تعاملهم مع دلالات اللغة ومفاهيمها التي تؤثر على فهم النصوص ●

الهوامش:

١ - الفكر السامي - ج١ ص ٤٤٧.
٢ - المختارات الفتحية ص ٧٧، ٧٨.
٣ - الشيخ عيسوي مرجع سابق ص ١٩٢.

الآثار الفقهية للمزاح

بقلم: د. حسن عبدالغني أبوغدة
أستاذ الفقه المشارك - كلية التربية
جامعة الملك سعود - الرياض

ذكرت في مقال سابق عنوانه: «المزاح بين الحلال والحرام» أن حالات وصور المزاح منها ما هو مكروه، ومنها ما هو حرام، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو واجب، ومنها ما هو مباح.

وأن الإسلام يتّسع للمزاح الهادف البنّاء، الذي يتصف بالصدق في القول والعمل، من غير إسراف ولا إسفاف.

ويجدر في هذا المقال استكمال الحديث عن المزاح من حيث الآثار التكليفية المترتبة عليه، أياً كان وصفه، لأن كثيراً من الناس يمارسون المزاح ولا يلقون بالاً لما قد يترتب عليه من أحكام والتزامات هي محسوبة عليهم، وهم مؤاخذون بها ديانة وقضاء، دون أن يعلموا ذلك أو يتنبهوا إليه...!!.

وفي ضوء تتبع النصوص الشرعية وكتابات المختصين من أهل العلم نعرض ما يلي:

١ ـ مسؤولية المازح عن تصرفاته المتصلة بالأحوال الشخصية:

ذكر العلماء: أن تصرفات المازح القولية تؤثر في النكاح «الزواج» والطلاق وفي مراجعة الزوجة المطلقة.. وينعقد كلامه في ذلك وينفذ، وتترتب عليه آثاره الشرعية، والدليل على هذا ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث جدُّهنَّ جدٌّ وهزلهنَّ جدٌّ: النكاح والطلاق والرجعة».

قال الترمذي: والعلم على هذا عند أهل العلم، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم. وهذا قول فقهاء المذاهب الأربعة، وذلك لأن الهازل «المازح» أتى باللفظ عن قصد واختيار، وإن عدم رضاه بوقوع ما يمزح فيه لا أثر له في الشرع، بل هو ملزم به ديانة وقضاء، ويؤكد هذا المعنى ما رواه عبدالرزاق في المصنف من حديث: «من نكح لاعباً أو طلّق لاعباً جاز» أي: «نفذ ووقع».

وذكر ابن قدامة الحنبلي: أن الطلاق يقع سواء قصد به المزاح أو الجد، وذلك للحديث الأسبق، ثم نقل عن ابن المنذر قوله: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن جدَّ الطلاق وهزله سواء.

وبناء على هذا: فإن الزوج الذي يتلفظ بالطلاق، على سبيل المزاح والهزل، عليه أن يتحمل تبعة تصرفه هذا، ولو كان عن غفلة وجهل.

وكذلك الزوج الذي يتلفظ بمراجعة زوجته المطلّقة، على سبيل الهزل والمزاح، يقع منه ذلك، ولو لم يُرده...

وقل نحو هذا فيما يقع بين الأقرباء والأصحاب، حينما يقوم أولياء الصغار والصغيرات بتزويجهم من بعضهم حال توافر الشهود وذلك على سبيل المداعبة والمزاح...!!

وبهذا يظهر لنا مدى الخطورة الدينية والحقوقية جراء هذه التصرفات التي تمس جانباً مهماً من الأحوال الشخصية.

٢ ـ مسؤولية المازح عن تعاقده ومعاملاته المالية.

يرى أهل العلم أن تصرفات الهازل «المازح» تؤثر في العقود المالية ونحوها، وينفذ فيها قوله ظاهراً وباطناً، سواء كان المزاح واقعاً في البيع أو الإقرار أو غيره من التصرفات والنشاطات المالية والاقتصادية، والدليل على هذا حديث أبي هريرة الآنف: «ثلاث جدهن جدٌّ وهزلهن جدٌّ...».

وقالوا: إنّما خُصَّت الثلاثة بالذكر، لمزيد اعتناء الشرع واحتياطه فيها، وذلك لخطورتها واتصالها بالأعراض، وإلا فكل التصرفات والعقود تنعقد بالهزل «المزاح» لأن المكلف مسؤول عن جميع تصرفاته، وبخاصة أنه في حال الأهلية... ويؤيد هذا ما رواه عبدالرزاق في المصنف من حديث: «من أعتق لاعباً جاز» أي: نفذ ووقع منه عتق الرقيق.

وبناء على هذا: إذا باع إنسان شيئاً ورضي به المشتري، ثم ادَّعى البائع أنه كان يمزح لا يقبل قوله، بل تنتقل الملكية إلى المشتري، ولو لم يقبض المبيع بعدُ أو يدفع ثمنه... والعكس صحيح أيضاً إذا وقع المزاح من المشتري.

وكذلك الحكم لو أقرَّ رجل لآخر بمبلغ أو شيء، ثم قال: كنتُ أمزح، يُلزَم ديانة وقضاء بتسليم ما أقرَّ به، وإن صدَّقه المُقرَّ له.

وهكذا في التصرفات العقدية والمالية الأخرى.

٣ ـ تصرفات المازح المتصلة بالكفر والردة عن الإسلام:

ذكر ابن عابدين الفقيه الحنفي: أن المسلم إذا هزل «مزح» بلفظ كفر، أو سجد لصنم، أو وضع مصحفاً في قاذورة، فهو مرتد عن الإسلام، ولو كان هازلاً «مازحاً»، وإن لم يعتقده، وذلك لاستخفافه، بالدين واستهانته بشعائره وأحكامه..

وبنحو هذا قال ابن قدامة ـ الفقيه

الحنبلي - مستدلاً بالآية: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) التوبة: ٦٥ - ٦٦.

هذا، ومن المعروف أن للردة آثاراً خطيرة ديانة وقضاء، في الدنيا وفي الآخرة. ومن ذلك: استتابة المرتد ثم قتله حدّاً إن أصرَّ على ردته، ومنها: انفساخ عقد الزوجية مع زوجته، فتحرم عليه بعد أن كانت حِلاً له... ومنها: فقدانه لأمواله وممتلكاته، وبطلان تصرفاته فيها... ومنها: نجاسة ذبيحته... ثم الخزي والعار والعذاب المهين في يوم الدين... وغير ذلك مما يعرف في مواطنه.

وهكذا يتضح أن المزاح قد يكون كلمة تُقال، أو فعلاً يقع، بقصد الترويح عن النفس، أو مداعبة الآخرين، لكنه قد يترك آثاراً حقوقية، بعضها خطير، يمس الأحوال الشخصية أو الممتلكات المالية للآخرين، وربما صاحب المزاح تجاوز على الشعائر والحرمات الدينية، وأوقع صاحبه تحت مسؤولية خطيرة يصعب تجاوزها، لأنها تمسُّ المعتقدات الدينية وتجرح المشاعر العامة للأمة الإسلامية.

وفي ضوء ما تقدم يتضح مدى فظاعة وسوء مصير من يهزل ويمزح في أمور الدين وشعائر الإسلام ضمن ما يسمى بـ«المسرحيات الكوميدية» أو «الرسوم الكاريكاتورية» وغيرها من الممارسات المستقبحة شرعاً وعقلاً ●

المراجع:

١ - أسنى المطالب، للأنصاري.
٢ - الأم، للشافعي.
٣ - رد المحتار، لابن عابدين.
٤ - سنن الترمذي.
٥ - المنصف، لعبدالرزاق.
٦ - المغني، لابن قدامة.
٧ - مواهب الجليل، للحطاب.

الثقافة والهوية: أيهما يشخص الآخر؟

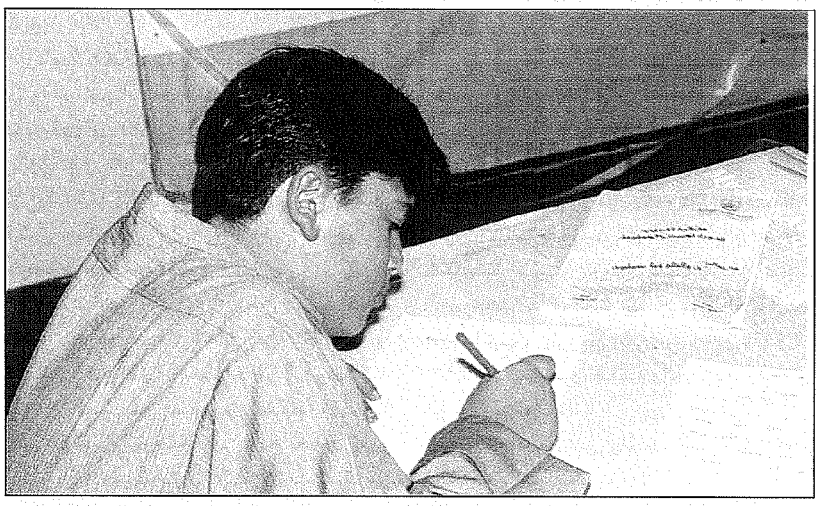

يقلم: أ.د.حسن الوراكلي
أستاذ الدراسات العليا - جامعة أم القرى - مكة

للثقافة، في كتابات المفكرين والمنظرين، مفاهيم مختلفة، متعددة حين يستعرضها المرء يخيل إليه أنه لا سبيل إلى تحديد مفهوم للثقافة، ومع ذلك، فإن الآراء ووجهات النظر التي أريد بها تحديد مدلول للثقافة يمكن ردّها، على تعددها واختلافها، إلى منظورين أساسيين.

أولهما تجريدي نظري يربط الثقافة بمجال الأفكار والمعارف والفنون.

وثانيهما تطبيقي إجرائي يرى الثقافة منهج حياة تتحدد من خلاله أنماط السلوك والممارسة والموقف.

على أن تحليل هذين المنظورين يكشف لنا عن تداخلهما وتكاملهما، أي عن جدليتهما التي تتمثل، بوضوح وجلاء، فيما للعقديات والأخلاقيات، ومستودعها الفكر، والمعرفة، والفن من آثار على الواقع الموضوعي في تحديد منطقه ومنهجه وما يتمخض عنهما من مقاييس تعتمد في التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبح، وبعبارة أخرى: تحديد الرؤية للكون، والإنسان والعصر.

وإذا كان أهم ما يمكننا استخلاصه من هذا الرأي هو أن الثقافة مادة وصورة، أي أنها معرفة «مادة» تفرز سلوكاً «صورة» فإن لنا ونحن نشهد، على مختلف أدوار التاريخ، وفي عصرنا الراهن، اختلاف «المعرفات» وتباين ما تفرزه بالضرورة، من رؤية وموقف، أن نقر بحقيقة لا يماري فيها إلا من سفه نفسه، وهي أن الثقافة ليست واحدة، بل ثقافات شتى لئن بدا للوهلة الأولى، تماثلها من حيث كونها «نظراً وتطبيقاً» إلا أنها، وقد تباينت مادتها «النظرية»، أي مذهبيتها وأيديولوجيتها، كان لابد أن يترتب، بالتأسيس على ذلك، تباين في الرؤية والموقف يبلغ، أحياناً درجة من التناقض لا سبيل معه إلى التلاقي والتشارك في الرأي ووجهة النظر.

إن مرد هذا التباين بين «الثقافات» إلى التكوين العقدي، والفكري، والنفسي للأمة أو

ما اصطلح على تسميته بالمركز الحضاري للأمة هو الذي يحدده لها تاريخها وتراثها وتبلور محتواه المذهبي والأخلاقي إنتاجية بنيها في مجال الإبداع الفكري، ومن هنا تكون الثقافة دالة، بتميز مذهبيتها أو أيديولوجيتها وروحها، على تميز «أمتها» عن سواها من الأمم.

ونمثل لبلورة الحقائق سالفة الذكر بثقافتين اثنتين:

أولاهما ثقافة شرقية ـ غربية، وهي، كما يدل عليه اسمها، ذات شقين قد يبدوان غير متطابقين في الأسلوب والمنهج، إلا أن الجامع بينهما هو هذه الأصول الاعتقادية والفكرية التي أسستا عليها أيديولوجيتهما في تفسير الكون، والإنسان، والتاريخ، وهي أصول أهم ما يميزها رفضها المعتقد الديني.

ففيما يخص الشق الأول من هذه الثقافة، ونعني به الجانب الماركسي فيها نجد أساس كل ثقافة هو المادة وأسلوب الإنتاج وعلاقته، فهذا وذاك يحددان مضمون الثقافة وقدرتها على التأثير والتوجيه، وفي هذا الصدد يقول أوسيبوف: «إن أسلوب الإنتاج يحدد التحول من نظام اجتماعي ما وثقافته إلى نظام اجتماعي آخر بثقافته، ويعتمد نمو الثقافة المادية والروحية للمجتمع على أساس قانون نمو أساليب الإنتاج والقوى الإنتاجية وعلاقات الإنتاج التي تحدد بها»(١). ومثل هذا التصور للثقافة كان لابد أن تبلوره مقولات ومواقف مثل رفض الدين والدعوة إلى الإلحاد، لأنه لا إله إلا المادة فهي أصل الوجود، واعتبار التاريخ ثمرة الصراع الطبقي، والإنتاج محور الحياة. وتلك أبعاد ثقافة الشق الماركسي من المنظومة الثقافية العلمانية: المادة والصراع والثورة.

أما الشق الثاني من هذه الثقافة، وهو الشق الليبرالي الغربي، فإنه يرى أن أساس الثقافة في الفكر والمعرفة المرتبطين بالفلسفة الوضعية التي ترفض الدين وتعتمد العقل، وقد حدد هذا الأساس الفلسفي للشق الليبرالي من المنظومة الثقافية العلمانية نظرتها إلى الإنسان خصوصاً، فهو في تصورها، حرية مطلقة في تصرفاته الاقتصادية أو الخلقية أو الفكرية، ومثل هذا التصور يؤدي إلى المساواة بين الإيمان والإلحاد في مجال الفكر، وبين الإباحية في مجال السلوك الخلقي، وبين الرأسمالية المترفة الطاغية والتقييد لمصلحة الجماعة، وهذا ما استخلصته غير ما دراسة لهذا لشق من ثقافة الغرب الليبرالي.

ولعلنا نلحظ من خلال هذا وذاك أن الأنساق الأيديولوجية للثقافة العلمانية بشقيها، وعلى اختلاف منطلقاتهما الفكرية والفلسفية، تعكس تصوراتها المادية بخصوص الكون، والإنسان، والتاريخ، ومن ثمَّ كان التقاء شقي هذه الثقافة الماركسي والليبرالي على اعتبار الحياة مقصورة على الضرورة والمصادفة، كما يقول أحد علمائها البيولوجيين، وعلى الشهوة العابثة كما يكتب أحد فلاسفتها، وعلى العبث كما يعلن أحد روائييها، وعلى موت الإله، وموت الإنسان، وموت كل شيء كما يردد على مسامعنا الأنبياء المزيفون لهذه العدمية عقيدة العدم وهذا ما تعكسه مبادئ هذه الثقافة كما حددها رجاء غارودي وهي:

١ ـ الفصل بين العلم والحكمة، أي، بين الوسائل والغايات.

٢ ـ إخضاع كل واقعة إلى التصور والقياس، فينتقي بذلك الجمال، والحب، والإيمان، والمعنى.

٣ ـ الفردية التي تجعل من الأفراد أو الجماعات مركزاً ومقياساً لكل شيء، وتجعل من كل نظام توازناً موقتاً قلقاً بين الأطماع المتنافسة لهؤلاء وهؤلاء.

٤ ـ إنكار التعالي مما لا يمكن معه التخلص من هذه الانحرافات والقناعة بحتميات تنمية ذات طابع كمي محض تنفي الإبداع، والحرية، والأمل.(٢)

ثانية الثقافتين التي نمثل بها لبلورة الحقائق المشار إليها في الفقرة الأولى ثقافة لا شرقية ولا غربية، وهي الثقافة الإسلامية التي تتميز عما سواها بخصائص عدة، فهي شمولية، وهي إيجابية، وهي وسطية، إلا خصائص أخرى مردها جميعها إلى منطلقين أساسيين لهذه الثقافة:

أولهما منطلق إيماني، فهي تستمد روحها وجوهرها من منظومة القيم والمثل والمبادئ التي تنزّل بها الوحي الإلهي على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم مستوعباً بها شعب الإيمان الذي هو ـ كما قيل بحق: «معرفة بالقلب، وقوله باللسان، وعمل بالأركان»،

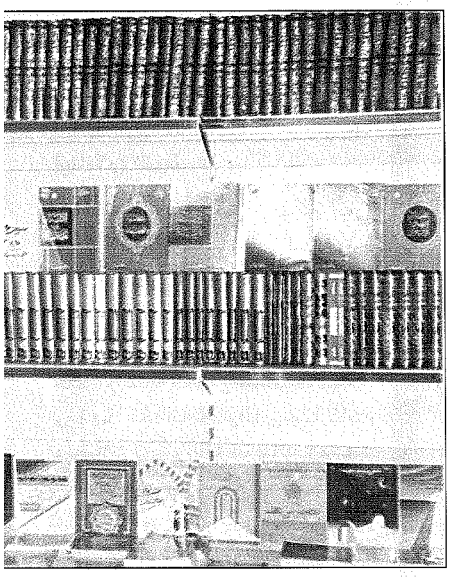

فكانت هذه الثقافة مثل هذا الأصل الذي تنطلق منه وتصدر عنه، نظراً وممارسة، ومعرفة وسلوكاً، وهذا هو السر في أنها ليست تتميز، فقط في تصوراتها وغاياتها عن الثقافة الأولى، «أي الثقافة العلمانية»، وهي ثقافة لا إيمانية، ولكنها تتميز، كذلك بذلك عن بعض الثقافات التي قد يقال عنها إنها تقوم أيضاً على الإيمان، غير أنه «إيمان» مغاير للإيمان «الإسلامي» لافتقاده ما في هذا الأخير من عناصر اليقين والثبات والقوة(٣) ومن ثم فهو لا يكيف وعي الناس ووجدانهم بما يبلور آثاره الإيجابية على حياتهم، أفراداً وجماعات، بل على العكس من ذلك تكون له انعكاسات سلبية على تصورات أصحابه ومبادراتهم كإيمان أهل «الجاهلية» في كل زمان ومكان (قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) البقرة:٩٣.

وقد لا نحتاج، بعد ذلك، إلى القول: إن المنطلق الإيماني للثقافة الإسلامية هو الذي يحدد منظور أصحابه، «أي المؤمنين»، للكون، والحياة، والمجتمع، والإنسان، فإذا بـ«العالم»، وعلمه أحد أقنية الثقافة، يأخذ بفكرة السببية والسنن المطردة، ويتوسل بالمنهج التجريبي في دراساته وبحوثه التي أغنت الرصيد الثقافي للإنسان، وشأنه، في ذلك شأن غيره من أفراد مجتمع المؤمنين كافة، كلٌّ في حقله، يمارس، وينتج، ويبدع بوحي من شهادة التوحيد،

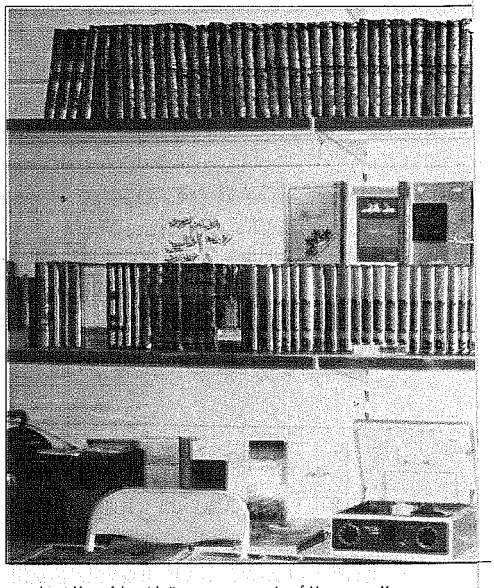

الحجر الأساس في بنية المنطلق الإيماني، التي تجعل من العلم والتقوى معياراً لتقويم «الكسب» الإنساني، أياً كان حقله ومجاله، بوصفه معطى ثقافياً، وهذا يُفضي بنا إلى النظر في المنطلق الثاني للثقافة الإسلامية.

ثانيهما منطلق أخلاقي، تهيمن بمقتضاه، ووفقاً للنصوص المرجعية في الكتاب والسنة، الأخلاق على كل نشاط يمارسه الإنسان المسلم باعتبار أن أي نشاط لكي يكون «عبادة» - كما أراد الخالق سبحانه وتعالى - لابد أن يكون ذا هدفية بنائية تسهم في تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض على هدى وبصيرة.

وأهم أثر لهذه الهيمنة الأخلاقية على فكر المسلم وسلوكه تتجلى فيما تمنحه «ثنائياته»: الروح والمادة، والعقل والوجدان، الغيب والشهادة من توازن وتعادل تتحقق بهما فكرة «الوسطية» في فعله الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، وكل أولئك كما ألمعنا معطيات ثقافية.

ولابد من الإشارة، هنا إلى مخالفة الثقافة الإسلامية في المنطلقين معاً للثقافة العلمانية التي أسقطت من اعتبارها، ومنذ مدة غير يسيرة، الإيمان أو المعتقد الديني وما ينبثق عنه من قيم ثابتة، ومن ضمنها القيمة الأخلاقية.

ولعلنا نستخلص من الفقرات السابقة حقيقتين مهمتين:

أولاهما أن الثقافة، «أي ثقافة»، لها مرجعية مذهبية «عقدية - أيديولوجية»، منها تنبع تصوراتها، وقيمها، ومثلها.

وثانيتهما أن الثقافة، «أي ثقافة»، بالتأسيس على ذلك، ليست - حسب عبارة الأستاذ علي الفاسي - شيئاً مسلماً يأخذه المرء دون أن ينظر فيه أو يعرضه على محك البحث ليستبين مضمونه المذهبي ويستكشف نسقه الفكري لما لهذا وذاك من أثر بعيد على اختيارات أصحابها وتوجهاتهم.

ومثل هذا التحليل قمين بأن يجيب على سؤال قد يطوف ببعض الأذهان، وهو: أيهما يشخص الآخر، الثقافة أم الهوية؟

إنه لمن الجلي، والنظر إلى ما قدمناه في الفقرات السالفة على أن التعرف إلى ثقافة ما، في مختلف تجلياتها ومظاهرها، شرط أساسي لمعرفة شخصية الأمة وذاتيتها، أي ما يشكل حياتها العقدية، والفكرية، والشعورية، والاجتماعية بما يميزها عن غيرها مذهبياً، وعقلياً، ونفسياً، واجتماعياً، ويفردها برؤية خاصة تجعل منها «أنموذجاً» مميزاً يبلوره فكرها، ووجدانها، وسلوكها، وفي ذلك تكمن «هويتها» لمن أراد أن يعرف هويتها.

ولنا أن نلاحظ، في ضوء ذلك، مدى التداخل في مفهومي «الثقافة» و«الهوية» بالدرجة التي تكادان تصبحان معها ذواتي معنى مشترك، بل موحد مما يعسر معه، إن لم نقل يستحيل، عزل أي «ثقافة» عن «هويتها»، وكذلك العكس. وللتمثيل على ذلك نقول: إن ما بين الثقافتين الإسلامية والعلمانية من تباين عميق الغور في أصول الاعتقاد وأساليب النظر كان لابد، بالضرورة، أن يفرز منهجي حياة متناقضين، أحدهما ينبعث من الإيمان، وثانيهما يخرج من الكفر، ومن هنا استحالة الجمع أو التوفيق بين «هوية» وأخرى، فالهوية الإسلامية ذات تشكيل عقدي يتأبى على التجزيء والتبعيض (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) البقرة:٨٥، (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) المائدة:٤٩، وهي، من جهة ثانية، ذات مضمون تشريعي يستوعب مناحي الحياة برمتها (ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل:٨٩، ولاشك أن هذا العنصر وذاك حقيقان بأن يحولا بين هذه الهوية وبين أن تلتقي لقاء وفاق، بل اندماج مع هوية أخرى، على طرفي نقيض معها، كالهوية العلمانية التي تقوم على مذهبية مادية ملحدة تسري روحها، وهي روح جاهلية، في نسقها النظري وتصطبغ بها حياتها العقلية، والشعورية، والسلوكية.

ومع ذلك، فإننا لا نقول بـ«انغلاق» الهويات لسبب واحد، وهو أن الوعي السليم، بما يعنيه من قدرة على التمييز، والنقد، والموازنة، والهضم، والتمثل، كفيل بأن يُقْدِرَ أصحابه على أن «يطعموا» هويتهم من غيرها بـ«المشترك الإنساني»، وهو ما يُفيد ويُجدي ولا يمسخ ويطمس، وبذلك تحتفظ كل «هوية» باستقلالها عمّا عداها، وتحمي كل «هوية» من الانصهار في سواها، وهذا الانصهار، بما يعنيه من مسخ «روح» وسلخ «جلد» يتم بهما تذويب «وجود» في «وجود» هو الذي استهدف به الغرب في العصور الحديثة الهوية الإسلامية متوسلاً في تحقيق ذلك بمختلف الوسائل والأساليب مما كانت له آثار سلبية على هذه الهوية تمثلت في انعدام الوحدة بين بنيها في تصوراتهم العقدية، ومناهجهم الفكرية، وأساليبهم الحياتية.

ومن الجدير بالإشارة هنا، أن الغرب الذي لم يدخر وسعاً ولا يزال في صهر هوية المسلمين في هويته، قد بات يستشعر، هو بدوره، ما قد بدأ، منذ حين، يحدث بثقافته وأصالته، أي بهويته، من خطر الاحتواء والاستلاب، وهو ما عبَّر عنه «ستراوس» محذراً قومه من خطر فقدان «الأصالة» حين قال: «لابد للثقافة وأبنائها من التمسك بيقين أصالتهم وبتفوقهم على الآخرين بدرجة ما (...) نحن الآن مهددون باحتمال تحوّلنا إلى مجرد مستهلكين قادرين على استهلاك كل شيء من أي نقطة في العالم ومن أي ثقافة، والثمن دائماً فقداننا لأصالتنا بأكملها»●

المراجع:

١ - انظر، الهوية الثقافية للمسلمين: أي دور التراث في وحدتها، ضمن كتابنا «المسلمون وأسئلة الهوية» ص ٦٣.

٢ - انظر: «دراسات اشتراكية حول الثقافة» لطائفة من الكتاب ص ٨٩.

٣ - انظر، عملنا «الإسلام والغرب: محاور التحدي وشروط المواجهة» ص٢٤.

٤ - انظر «دراسات اشتراكية حول الثقافة» ص ٦٦.

القلوب وعلاجها

بقلم د. محمد محمود متولي
رئيس قسم العقيدة والدعوة
كلية الشريعة - جامعة الكويت

إن من عمل بالدعوة إلى الله، وتفكر في كيف يؤثر في جمهوره، وما الصوارف الصارفة لهم عن التأثر والانفعال، والانقياد لله مع ظهور الحجة ووضوح المحجة لا شك أنه واصل لبعض أسباب عدم الانفعال بالوعظ ولعل أظهرها أربع هن:

الذنوب، والفتن، والشيطان، والشواغل الدنيوية، فإذا استطعنا أن نعالج هذه الصوارف فإننا واصلون إلى التأثير على قلوب الجماهير بتوفيق الله تعالى.

وفي البدء حذرنا رسولنا الكريم من الذنوب، وأنها تغلّف القلوب بغلاف يعميه عن الحق، ويحجز نور الهداية عنه، وتعيق درَّ الأرزاق إلى العباد، يقول ربنا سبحانه وتعالى: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) الشورى:٣٠.

وفي دعوة نوح لقومه: (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) نوح:١٠-١٢.

وقد حذرنا رسولنا الكريم من الذنوب وأنها إذا زادت سترت الحق عن القلب فعمي عنه، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت، حتى تعلو قلبه، وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن في الآية ١٤ من سورة المطففين: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رواه أحمد.

كما حذرنا صلى الله عليه وسلم من الفتن، وأنها تعرض صغيرة «عوداً عوداً» أو فتنة تليها أخرى «عوداً عوداً» وأن إشراب القلوب لها يسوِّدها وينكسها، ويعميها فتفقد حاسة التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وقد روى حذيفة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «تعرض الفتن كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين:

على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه» رواه مسلم.

وأما الشيطان فإن طاعة ابن آدم لله تغيظه، ولذا فهو يعمل حيلته، ويحشد جنده، ليصدنا عن طاعة الله. للعداوة الأزلية بين جنسه وجنس بني آدم، وقد حذرنا منه رب العزة فقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر:٦، وهو يقعد على كل طريق للخير ليصدَّ عنه، وعلى كل طريق للشر ليزيّنه، والسعيد من انتصر عليه، وقد روى سَبْرة ابن أبي فاكه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم، وتترك دينك ودين آبائك، فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر، أتدع أرضك وسماءك؟

الواجب على المسلم أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرأه في الصلاة والتفكر فيه والانشغال به عن غيره

فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد، وهو تلف النفس والمال، فتقاتل، فَتُقتل، وتنكح نساؤك، ويقسّم مالك، فعصاه وجاهد، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» رواه النسائي بإسناد صحيح.

مد القلوب وجزرها

اهتم الدعاة إلى الله بظاهرة التوهج الديني في القلوب، وبعكسها وهو البرود القلبي والقعود عن أعمال الخير، وأبانوا أن الناس يتفاوتون في اليقظة والرقة والغفلة والقسوة، وهناك محاولات قديمة وحديثة لذكر علاجات للقلوب لتظل في رقي وارتفاع وممن عنوا بظاهرة الهبوط والقعود عن امتثال أوامر الشرع الإمام ابن الجوزي. وله من تجاربه وعلمه ما يجعله بحق طبيباً نطاسياً يعتد بتشخيصه، ويؤخذ بدوائه.

انظر إليه في كتابه القيم «صيد الخاطر» وهو يصوّر أسباب الغفلة، وأصناف الناس، ثم تأمل حياتنا وأسقط ما قرأته على مجتمعاتنا، لترى أن الطبيب أحسن وصف حال المرض، وهو يذكر للغفلة سببين:

أحدهما: أن الوعظ كالسياط، والسياط تؤلم حال نزولها على جسد المضروب، فأما بعد الضرب فلا ألم، وهذا سر برود الموعوظ بعد انتهاء الوعظ.

ثانيهما: أن الموعوظ يتبع الوعظ، ويكد ذهنه للاستفادة منه، وتزول الحوائل المانعة من الانتفاع ويتخلى الإنسان في أثنائه عن الشواغل، ويحضر قلبه، فإذا ما انتهى الواعظ، اجتذبته الشواغل بآفاتها، ويتفاوت الأثر الذي يتركه الوعظ بحسب بقائه فيه، والناس فيه درجات منهما:

١ - من يعزم على التوبة والعمل الصالح بلا تردد غير ملتفت إلى الصوارف.

٢ - ومنهم الغافل أحياناً الذي يوقظه

الوعظ، فيحفزّه على العمل.

٣ ـ ومنهم من لا يؤثر فيه الوعظ إلا بمقدار سماعه كماء دحرجته على صفوان.

ثم إن جواذب الطبع كثيرة، وهي من الداخل، وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع وهو غيب، وجواذب الطبع ـ غالباً ـ أقوى لدى كثير من الناس من جواذب الآخرة.

والناس يغريهم الهبوط لسهولته، ويقعدون عن السمو لصعوبته، ولكن باستمرار الترغيب والترهيب يقوى جند العقل، حتى يغلب الطبع، واستحضار الموقف، والاستعداد له يقوي حضور القلب، وانظر أخي السلم في هذا الأثر، لترى كيف يحدث الحضور بلا غياب قلباً وقالباً، فقد روي عن حاتم الأصم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه سئل عن صلاته، فقال:

إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي، واجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، أظنها آخر صلاتي. ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، واقرأ قراءة بترتيل، واركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، واقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمها، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام، وأتبعها بالإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا.

وكما شغل الحضور والغياب القلبيان الإمام ابن الجوزي شغلا الإمام الغزالي، فبحث عن أسباب الغياب وأسباب الحضور، ولنسمع إليه، وهو يشخص الداء والدواء رابطاً بقوة بين قوة اليقين والتعظيم لله والخوف منه والرجاء له، والاستحياء منه، يقول رحمه الله تعالى:

قوة التعظيم لله والخوف منه، والرجاء له، والاستحياء منه هي بقدر قوة يقينه، فإذا غابت تلك الأمور في الصلاة، فلا سبب لذلك إلا تفرق الفكر... وغيبة القلب عن المناجاة لما يؤدي إلى الغفلة في الصلاة ولا يلهي عن حضور القلب في الصلاة إلا الخواطر، وهي إما أن تكون:

لأمر خارجي.

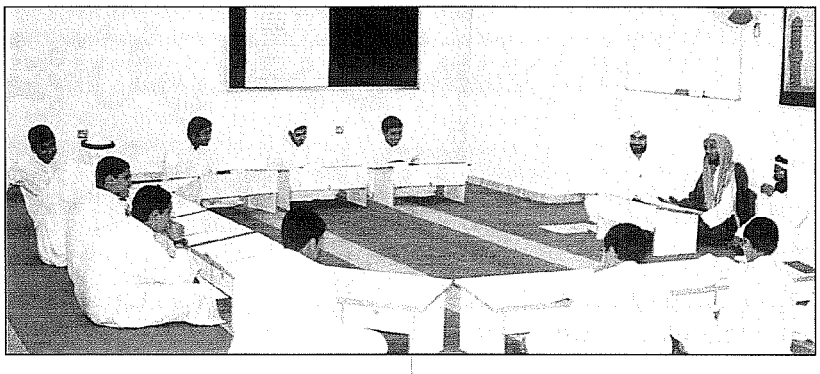

أو لأمر باطني.

فأما الخارجي، فإما أن يكون وارداً عن طريق السمع، أو شيئاً طريقه البصر، فإذا أراد الحضور القوي فلا بد من غض البصر، وهتك كل ما يشغله من رسوم، أو صور... ولا بد من منع كل ما يصل للسمع مما يشغله من أصوات إنسان أو حيوان أو طير.

وأما الصارف الباطني فهو تشعب الهموم في أدوية الدنيا، فلا يزال الهمُّ ينتقل من أمر لآخر، حتى يصلي وما عقل شيئاً أو يقرأ القرآن ويسمعه فلا يتعظ بشيء.

والواجب على المسلم أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرأه في الصلاة، والتفكر فيه، والانشغال به عن غيره.

ويعينه على ذلك أن يستعد للخشوع قبل الدخول في الصلاة، بأن يذكّر نفسه بالآخرة وموقعه بين يدي الله، ويفرّغ قلبه مما يهمه، فلا يلتفت إلى خاطر يشغله، فإذا لم ينفع ذلك الدواء فلا بد أن ينظر في الأمور الصارفة عن إحضار القلب. من الشهوات، فيعاقب نفسه بحرمانها منها وقطع علائقه بها، وقد كان السلف لا يتركون شيئاً من ملابس أو فرش أو زينة في مكان صلاتهم حتى لا يشغلهم عنها.

يقول ابن عجيبة في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري:

واعلم أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب:

الأولى: خشوع خوف وانكسار وإذلال، وهو للعباد والزهاد.

الثانية: خشوع تعظيم وهيبة وإجلال، وهو للمريد من السالكين.

الثالثة: خشوع فرح وسرور وإقبال وهو للعارفين، ويسمى هذا المقام قرة العين، فإن سألك سائل: أإذا سيطرت عليَّ الغفلة هل أترك الذكر والعبادة؟ والجواب هنا لابن عطاء الله السكندري يقول رحمه الله: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، وعن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور. (وما ذلك على الله بعزيز).

وحين يعمل الداعية مع الجماهير لابد أن يضع نصب عينيه تفاوت القلوب في قبول الخير، فيقبل واقع الخلق على آفة من لوازم الطبع البشري، يقول الإمام الغزالي مصنفاً القلوب في الثبات على الخير أو الشر، أو التردد بينهما: والقلوب ثلاثة:

١ ـ قلب عمر بالتقوى، وزكا بالرياضة وطهر من خبائث الأخلاق.

٢ ـ القلب المخذول المشحون بالهوى، المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث فأبوابه مفتوحة للشياطين، مسدودة عن الملائكة، وهو نقيض الأول.

٣ ـ القلب الذي فيه خواطر الهوى، وخواطر الإيمان، يدعوه الهوى، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير وتدعوه النفس إلى الشهوة، فيدعوه العقل إلى الخير، وهو الذي خلط العمل الصالح بالعمل السيئ وتردد بينهما ●

المجاز في القرآن الكريم وظائفه وجمالياته

بقلم: عبدالهادي صافي

إننا نحكم على غنى أي لغة من اللغات بوفرة أساليبها وكثرة تعابيرها، لابوفرة المفردات والمترادفات التي تمتلكها، وبثروتها الفكرية والعاطفية التي عبَّرت عنها عبر تاريخها الطويل.

وقد تميَّزت لغتنا العربية الخالدة بتعدد أساليبها اللغوية التي تختص بها وكثرة التعابير البيانية التي تتميز بها دون سائر اللغات.

والقرآن الكريم كتاب الله المعجز، زخر بفنون البيان وبالأساليب اللغوية المتنوعة، ووظف جميع الوسائل اللغوية من أجل التأثير في الوجدان والعقل.

استخدم التلوين العاطفي بأدواته ووسائله الكثيرة، كالاستفهام والنداء والتمني والتعجب، واستخدم الصور البيانية المختلفة كالتشبيه والاستعارة، ونوع في استعمال المجاز، وتفنن في استخدام المحسّنات البديعية اللفظية والمعنوية، وأعطاها أبعادها الفكرية والنفسية.

وهذا المقال مخصص لموضوع المجاز في القرآن الكريم، استخداماته وأغراضه ونواحيه الجمالية.

المجاز لغة الطريق، واصطلاحاً نقل لفظ من معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، أو إسناد فعل أو ما في معناه إلى غير إسناده الأصلي. وهو أنواع: المجاز المرسل، والمجاز العقلي، والمجاز المركب.

لقد امتلأ القرآن الكريم بفن المجاز المرسل وقد سُمِّي هذا النوع من المجاز المرسل لأنه غير مقيَّد بعلاقة واحدة أو بعلاقة المشابهة، كما هو الحال في الاستعارة التصريحية والمكنية، إن الآيات التي ورد فيها المجاز كثيرة في القرآن الكريم، سنستعرض طائفة منها ونوضح الغرض الوظيفي، والغرض الفني من استخدامه.

جاء في سورة نوح قوله تعالى يعرض علينا معاناة نوح عليه السلام مع قومه وهو يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد: (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكباراً) ورد المجاز في كلمة (أصابعهم)، فالمشركون جعلوا أصابعهم كلها في آذانهم لا جزءاً منها وهي الأنامل، كما هو ممكن ومعقول، فيكون اللفظ هنا قد تعدى الحقيقة إلى المجاز، لقد وضع هؤلاء الكفار أصابعهم مجازاً لا حقيقية، لأن الحقيقة تقتضي أن يضعوا أناملهم في آذانهم، ولكن القرآن الكريم لما أراد أن يصور الكافرين الذين يصدون عن دعوة الحق، ويصور شدة إعراضهم وتعنتهم عمد إلى المبالغة في ذلك، فاستخدم المجاز المرسل، والعلاقة الكلية بين المعنى المجازي والحقيقي، أطلق الكل وأراد الجزء وأطلق كلمة الأصابع وهو يريد الأنامل.

وفي سورة يوسف يطالعنا قول الله عزَّ وجلَّ وهو يقص علينا قصة إخوة يوسف عندما رجعوا إلى أبيهم من مصر دون أخيهم «بنيامين» الذي آواه يوسف إليه. ولما كان يعقوب عليه السلام غير مصدّق زعمهم من تخلف أخيهم عنهم وبقائه في مصر عند أخيه يوسف عليه السلام أرادوا أن يؤكدوا صدقهم بقولهم: (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون) يوسف:٨٢، وقع المجاز المرسل في لفظ القرية، فالقرية لا تسأل ولا تجيب ولكن المقصود أهل القرية، وعلاقة المجاز المرسل هنا المحلية أو المكانية أطلق المكان وأراد الحال في المكان، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي أوالحقيقي «اسأل».

ولو رحنا نستعرض الآيات القرآنية التي اشتملت على المجاز، لأعنتنا ذلك وأرهقنا لأنها كثيرة جداً، ولكننا تخيرنا بعض الآيات لتكون شاهداً على ما ذهبنا إليه من أن القرآن الكريم احتفل بهذا الأسلوب البلاغي، واستخدم هذه التقنية البلاغية على نحو كبير وواسع، قال الله تعالى في سورة المؤمنون آية ٢٠: (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدُّهن وصبغ للآكلين).

إن تلك الشجرة لا يمكن لها أن تنبت الدهن ولكن تنبت الزيتون الذي سيستخرج على اعتبار ما سيكون، ومثل هذه الآية الكريمة في توافق العلاقتين قوله تعالى في سورة يوسف يحكي خبر الرؤيين اللتين رآهما

الفتيان وطلبا إلى يوسف تفسير ما رأياه وهما في السجن: (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً) يوسف:٣٦ فإن الخمر لا يعصر ولكن يعصر العنب الذي سيصير خمراً فيما بعد، فالعلاقة هنا اعتبار ما يكون.

وفي سورة العلق الآيتين ١٧ ـ ١٨ ورد مجاز مرسل وذلك في قوله: (فليدع ناديه. سندع الزبانية)، جاء المجاز في لفظ «ناديه» والعلاقة بينه وبين المعنى الحقيقي علاقة مكانية، أطلق لفظ «النادي» وهو يريد القوم والنصراء في النادي، والغرض النفسي من هذا المجاز هو التهكم والسخرية، والغرض الجمالي والفني يكمن في الإيجاز.

وفي سورة الانفطار في الآيتين ١٣، ١٤ نقرأ قوله تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجار لفي جحيم) مجاز مرسل علاقته الحالية، أي أن الأبرار يقيمون في الجنة، حيث النعيم الأبدي فيها، فهم منغمسون في النعيم فالمكان كله نعيم، والنعيم معنى من المعاني لا يحل فيه، ولكن يحل في المكان الذي يفيض به.

وحتى في باب التشريع والمعاملات استخدم القرآن الكريم المجاز المرسل لغرض نفسي وذلك في قوله تعالى في سورة النساء الآية ٢: (وآتوا اليتامى أموالهم) فهؤلاء اليتامى كانوا في الماضي هكذا، ولكنهم كبروا فلم يعودوا يتامى، صاروا رجالاً يستطيعون أن يقوموا على شؤون أنفسهم ويستخدموا أموالهم، فليعطوا إذن أموال الميراث التي وضعت أمانة في يد أولياء أمورهم كي يحفظوها لهم من التلف والضياع، فبدلاً من أن يقول آتوا الكبار أموالهم ترك اللفظ الحقيقي وغادره إلى اللفظ المجازي «اليتامى» استدراراً للعاطفة وإثارة للشفقة في قلوب أوليائهم. إن العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي اعتبار ما كان، وعلى عكس ذلك تماماً ورد في الآية الكريمة الآتية مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون في قوله تعالى: (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) نوح:٢٧، فالمواليد كذلك إن تركوا بين يدي آباء كافرين يتأثرون بهم وبعقيدتهم.

في علاقة المجاز المرسل بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي يرتد خيال القارئ إلى الماضي في «اعتبار ما كان» ويتصور المستقبل في «اعتبار ما يكون»، وفي كلتا الحالتين رحلة للخيال وتنشيط له، وهذه هي الوظيفة الأدبية والفنية من استخدام المجاز المرسل في علاقته بالماضي والمستقبل.

فإذا كان المجاز المرسل يتعلق بالألفاظ والمفردات، فإن المجاز العقلي يتعلق بالإسناد، فالأصل أن يكون إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي ولكن في المجاز العقلي وهو النوع الثاني من أنواع المجاز يسند الفعل إلى سببه وإلى زمانه ومكانه.

في القرآن الكريم وهو مدار حديثنا فيه عن المجاز نقرأ قوله تعالى في سورة الكهف آية ٧٧: (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) أسند فعل الإرادة إلى الجدار، والجدار جامد لا حسَّ له ولا إرادة، عبر القرآن الكريم تعبيراً مجازياً لتصوير الجدر الآيل إلى السقوط من تلقائه، ففي الآية مجاز عقلي يدرك بالعقل. ومثل ذلك في قوله تعالى في سورة غافر (٣٦ ـ ٣٧):

(وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلِّي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطَّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً...)، إن هامان الوزير ليس من شأنه أن يبني صرحاً أو غيره، ولكن من شأنه أن يأمر عماله بالبناء فيكون سبباً في بناء الصرح، فأسند القرآن الكريم فعل البناء إلى سببه لا إلى فاعله الحقيقي وهم العمال البناؤون.

إن المجاز صورة فنية لاشك في ذلك، يشكل تمثُّل العلاقة بين الحقيقة والمجاز في الخيال هذه الصورة، والبراعة فيه إقامة هذه العلاقة على نحو يثير الخيال ويخصب العقل، يقول ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة في مطلع حديثه عن المجاز «العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها، فإنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات (٢٦٥). وفي حديثه عن بلاغة المجاز يقول: «والمجاز أبلغ من الحقيقة في كثير من الكلام، وأحسن يستمدها من القرآن الكريم، ثم يعلق على الآيات تعليقاً مختصراً: (يأيها الناس عُلِّمنا منطق الطير) وإنما الحيوان الناطق الإنس والجن والملائكة، فأما الطير فلا، ولكنه مجاز مليح واتساع (واسأل القرية) أي أهل القرية (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) يعني حبَّه، ومنه (تبارك الله أحسن الخالقين) وهو الخالق حقاً وغيره مجازاً (فبشِّرهم بعذاب أليم) والعذاب لا يبشر به وإنما هو مكان البشارة».

أما النوع الثالث من أنواع المجاز فهو المجاز المركب، وهو كل تركيب استعمل في غير ما وضع له، وكل جملة خبرية استعملت في الإنشاء لغرض التحسر وإظهار الحزن والضعف وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم من ذلك قوله عزَّ من قائل في سورة يوسف الآية:٩٢: (قال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

(يغفر الله لكم) جملة خبرية استخدمت للدعاء فصارت إنشائية لأن الدعاء من الجمل الإنشائية، فانتقل التركيب من خبر إلى إنشاء ، وهذا الانتقال من معنى إلى معنى يدعى مجازاً مركباً، ومثل قوله سبحانه وتعالى: (قال رب إني وهن العظم مني) فإن زكريا عليه السلام لا يريد الإخبار عن كبره ولكنه يريد إظهار الضعف.

إن جمال المجاز يكمن في الإيجاز، والإيجاز من البلاغة، ويكمن في المبالغة التي يطلقها المجاز، والمبالغة إلى النفس، إذا لم تصل إلى حد الإحالة، كما يكمن في إدراك العلاقة بين المعنيين الأصلي والمجازي على نحو يثير الخيال ويطلقه إلى أبعد الحدود، ويثري العقل ويخصبه ويشحذ ملكاته ●

بقلم: د. خالد سعد النجار

أصبح النحل في الوقت الحالي يلعب دور المصحة الطبيعية التي تزدهر فيها صحة الإنسان وقاية وعلاجاً، فلقد أثبتت منتجات النحل من العسل والغذاء الملكي وسم النحل وحبوب اللقاح فاعليتها في زيادة رصيد المواد العلاجية، وفي الوقت نفسه تميزت بأنها مواد علاجية طبيعية غير ضارة بالصحة حتى صارت الحاجة ملحَّة إلى زيادة وتنمية تربية النحل المتعلق بالطب وبخاصة من أبناء الإسلام الذين أرشدهم كتابهم الكريم إلى منافع النحل، فوصف شرابه الذي يخرج من بطنه بأنه فيه شفاء للناس.

قال تعالى: (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل:٦٨-٦٩

مع أن المشهور عن هذه الآية أن المقصود بالشراب الذي يخرج من بطون النحل هو العسل فقد جاء موصوفاً بالقدرة الشفائية رغم أن معظم استعمالاته كانت وما زالت للغذاء وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن قيمته العلاجية تفوق كثيراً قيمته الغذائية، وقد تأكد ذلك المعنى من نتائج البحوث العلمية الحديثة ولم يذكر صراحة أن العمل هو الذي يخرج من بطون النحل أو أنه هو الذي فيه شفاء للناس لأن الله يخرج من بطون النحل - بالإضافة إلى العسل - مواد أخرى متعددة شافية ولكنها لم تكن معروفة وقت نزول القرآن. فكأن هذه الآية الموجزة تتضمن المعنى الذي لم يعرف إلا في السنوات الأخيرة عن القيم العلاجية لكل من الغذاء الملكي وحبوب اللقاح وسم النحل وازدياد القيم الطبية للعسل يوماً بعد يوم.

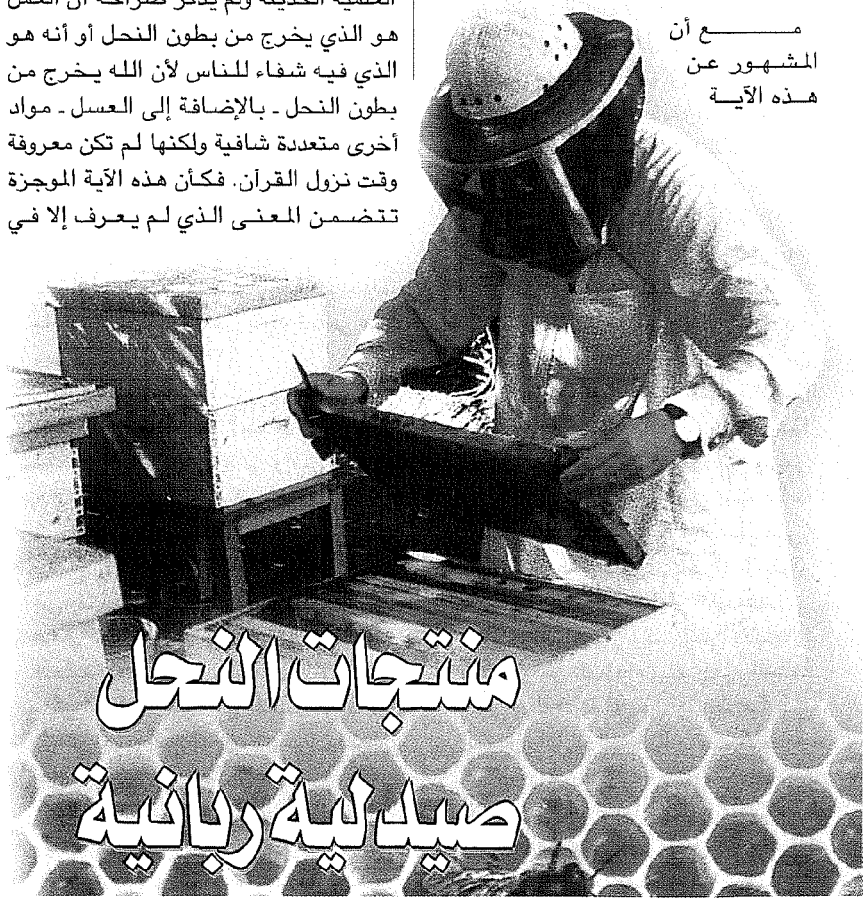

عسل النحل

يشغل عسل النحل مكانة مرموقة بين المنتجات الغذائية بصفة عامة بمحتواه القيّم من سكر الغلوكوز والفركتوز والأنزيمات والأحماض العضوية والمواد المعدنية والمضادات الحيوية والفيتامينات والهرمونات وكثير من المواد الحيوية المهمة الأخرى، وهناك في بطون الكتب الكثير من الأدلة على أنه منذ العصور القديمة كان العسل معروفاً كغذاء ممتاز ودواء، وفي الوقت الحاضر استناداً إلى الأبحاث المعملية والنتائج التجريبية والملاحظات الإكلينيكية، فإنه يمكن القول: إن الطبيب الذي يصف العسل لمريضه إنما يقترح عليه وصفة دوائية تحتوي على أكثر من مئة من المكونات المختلفة والمهمة للجسم التي تخلو من الآثار الجانبية السيئة.

فالعسل من أقوى العلاجات التي تعجل بالشفاء من الجروح العنيدة بطيئة الالتئام خصوصاً إذا ما مزج بزيت السمك ومن الصفات المميزة للعسل طريقة امتصاصه للسوائل فالرباط «الشاش» يبقى نديا ولا يلتصق بالجرح ويبدو كذلك أن العسل سريع الامتصاص من السطح المجروح وما يحتويه من عناصر غذائية يلعب دوراً واضحاً في التشكيل السريع للأنسجة النامية، ويزيل الألم ومن حسناته أنه غير سام ومعقم وقاتل للجراثيم مغز رخيص الثمن سهل المنال والتطبيق.

أما بالنسبة للجهاز الهضمي فيقول المثل العامي: «إن العسل أحسن صديق للمعدة» فالتجارب أثبتت أن المغنيز والحديد الموجودين في العسل يساعدان على الهضم وتمثيل الغذاء وفي حالات قرحة الجهاز الهضمي ينصح بتناول العسل مذاباً في الماء الدافئ بنسبة ١,١ قبل الأكل بنحو ساعتين فيعمل على تقليل إفراز العصارة المعدية الحامضية كما يفيد العسل المرضى المصابين بعسر الهضم بسبب نقص الحموضة في العصارة المعدية وفي هذه الحال يؤخذ قبل الأكل مباشرة.

ويستعمل العسل على نطاق واسع لمعالجة اضطرابات الكبد وأثره الطيب يرجع إلى تركيبه الكيماوي والبيولوجي ولقد ثبت أنه إضافة إلى كونه طعاماً لخلايا الجسم وأنسجته فإن محتواه من الغلوكوز يزيد مخزون الكبد من السكر الحيواني Glycogen وينشط عملية التمثيل الغذائي في الأنسجة.

وفي السنوات الأخيرة قرر العديد من الباحثين أمثال د.أويرتل أن عسل النحل علاج ممتاز للاضطرابات العصبية، وأن كوب ماء مذاب فيها العسل إذا أخذت قبل النوم تكون سبباً للنوم الهادئ.

كما يلعب العسل دوراً مهماً في الأدهان المستخدمة للحفاظ على البشرة وينصح الأستاذ بريمنز باستعمال قناع للوجه من العسل لتقوية وتطرية البشرة وأكثر هذه الأقنعة ذيوعاً هو قناع العسل وبياض البيض والغليسرين.

وحديثاً أعلن د.وليام بيترسون اختصاصي أمراض الحساسية بجامعة أيوا الأميركية أنه قام بمعالجة ٢٢ ألف مريض بالحساسية باستخدام مقدار ملعقة صغيرة من عسل النحل الخام يومياً من المنطقة نفسها التي يقيم بها المرضى، وأكد العسل فاعليته في ٩٠٪ من الحالات

العسل من أقوى العلاجات التي تعجل بالشفاء من الجروح البطيئة الالتئام خصوصاً إذا ما مزج بزيت السمك

لاحتوائه على حبوب اللقاح والغبار المتسببين في هذه الأمراض.

ومازال العلم يكشف لنا كل يوم عن دور جديد للعسل يخدم به البشرية وها هو يؤكد فاعليته في علاج حالات التبول اللاإرادي عند الأطفال والكثير من أمراض الكلى والتهابات العيون وبعض أمراض القلب والرئتين وغيرها من المنافع التي جعلت منه بحق الشراب الذي فيه شفاء للناس كما وصفه رب البرية جل وعلا.

الغذاء الملكي

هو عبارة عن مادة غروية بيضاء لؤلؤية تحتوي على ٤٥٪ بروتين، ١٣,٥٪ دهون، ٢٠٪ سكريات وأكثر من ١٪ أملاح معدنية ومجموعة كبيرة من الفيتامينات، ولكي نتصور إلى أي مدى تكون القيمة الغذائية للغذاء الملكي، يكفي أن نعرف أن لبن البقر يحتوي على ٣,٣٪ بروتين، و٤٪ دهن، و٤,٣٪ سكر.

وللغذاء الملكي أثر رائع في فتح الشهية وزيادة سرعة التحول الغذائي ما يحسن الوزن كما ينشّط أعضاء الجسم الأمر الذي يجعله علاجاً جيداً لحالات النوراستانيا والإرهاق والهبوط والحال النفسية السيئة لما يعطي من الشعور بالصحة والابتهاج Euphoria ولذلك ينصح به الأطباء في حالات سوء التغذية عند الكبار والصغار وضعف الحيوية خصوصاً عند المسنين وحالات الانهيار العصبي.

ولاحتواء الغذاء الملكي على نسبة عالية من مادة الأستيل كولين التي توسع الأوعية الدموية كان له تأثير في حالات ارتفاع ضغط الدم وقصور الدورة التاجية ويعمل الغذاء الملكي أيضاً على خفض نسبة الكوليسترول في الدم مما يقلل فرصة الإصابة بتصلب الشرايين، بل يستخدم في زيادة الخصوبة والنشاط الجنسي سواء كان الضعف ناجماً عن السن أو أي سبب آخر كما يفيد في علاج التهابات البروستاتا وإعادة الدورة الشهرية للسيدات اللاتي بلغن سن اليأس مبكراً وتفيد دهانات وكريمات الغذاء الملكي في علاج بعض الأمراض الجلدية مثل (Seborrhea) (Kerotracose)، التي تعمل على تغيير لون الجلد وزيادة كثافته وقلة مرونته بسبب اضطراب إفرازات الغدد.

سم النحل

سائل شفاف يجف بسرعة حتى في درجة حرارة الغرفة حيث يفقد ثلثي وزنه ويبدو على هيئة كتلة شفافة تشبه الصمغ العربي ورائحته عطرية لاذعة «تشبه العسل» وطعمه مر يستخدمه النحل في الدفاع عن نفسه، وسم النحل مستحضر بيولوجي معقّد يتركب من مزيج من الأحماض العضوية والإنزيمات (٥٥ إنزيماً) والبروتينات ومادة الهيستامين وبعض الزيوت الطيارة «وهي التي تؤدي إلى الشعور بإحساس لاذع وألم عند اللسع» بالإضافة إلى أملاح الكبريت والنحاس والمغنيسيوم وكالسيوم، ولقد وجد

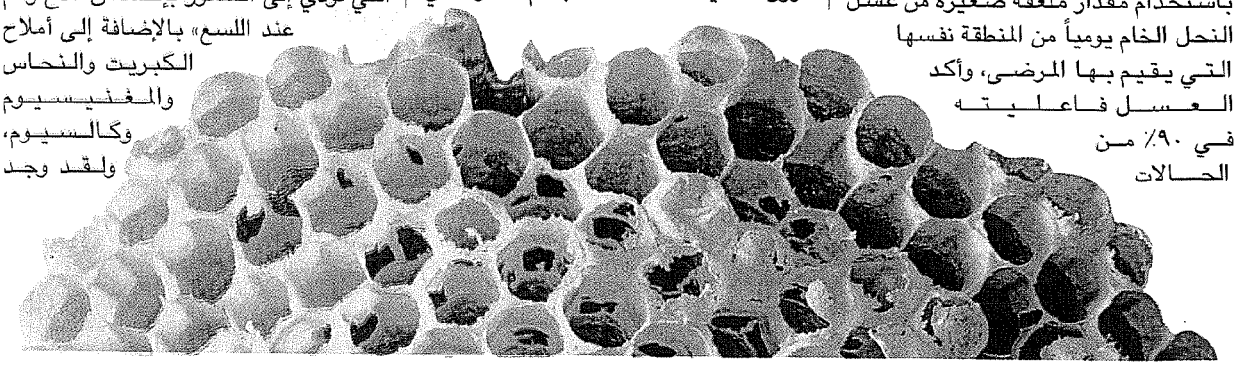

العلماء أن لسم النحل تأثيراً مضاداً حيوياً جيداً حتى أن البروفيسور ج.ف. جاودي الحائز على جائزة دولة في الاتحاد السوفييتي السابق يعتقد أن سم النحل يعد من أكثر المضادات الحيوية تأثيراً بالمقارنة مع المضادات الحيوية المعروفة.

وسم النحل مادة جيدة لعلاج الروماتيزم الحقيقي وكذلك يشفي من حالات التهاب الأعصاب neuritis وآلامها neuralgia وعرق النسا والآلام الناتجة من رفع الأحمال الثقيلة، إذ يفيد الحقن تحت الجلد في الأماكن المؤلمة جداً، ويفيد في علاج بعض الأمراض الجلدية مثل الطفح الدمّلي ومرض الذئبة (سل الجلد Lupus)، وظهر له تأثير في علاج الملاريا ويستعمل في علاج بعض أمراض العيون مثل التهاب القزحية والتهاب الجسم الهدبي وفي علاج تضخم الدرقية المصحوب بجحوظ العينين بالإضافة إلى أنه له تأثير مهبط لضغط الدم.

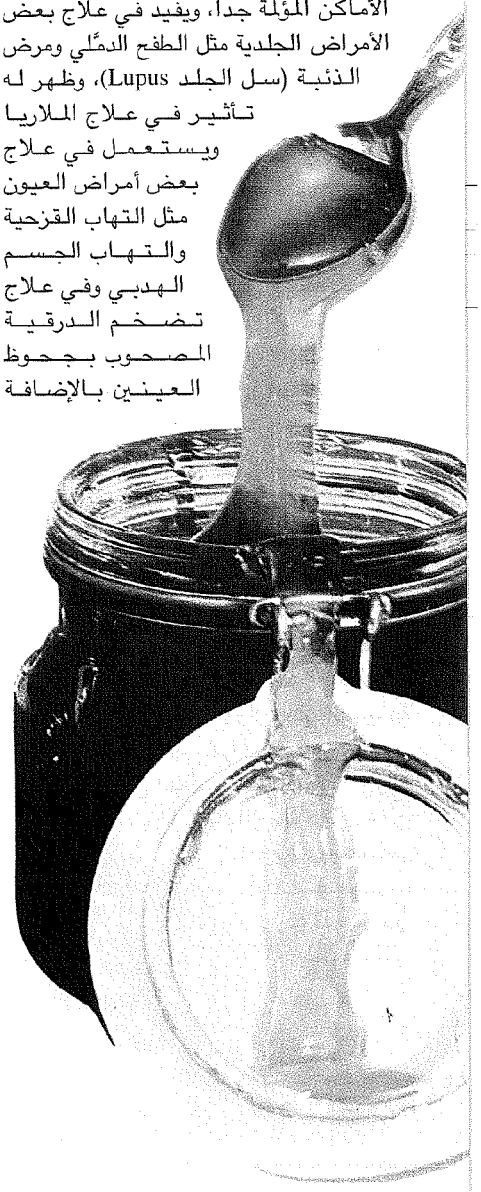

حبوب اللقاح

حبوب لقاح الأزهار هي المصدر الرئيس لأهم المكونات الغذائية والعلاجية، فيما يخرج من بطون النحل وهي مادة غذائية عالية القيمة تكاد تحتوي على كل أنواع الأحماض الأمينية، ولقد وجد أن ١٠٠ غرام من حبوب اللقاح تعادل في محتواها البروتيني ٥,٠ كغم لحم بقري أو ٧ بيضات كما تحتوي حبوب اللقاح على ١٤٪ دهون وكربوهيدرات وجميع الفيتامينات ومجموعة كبيرة من العناصر المعدنية والإنزيمات ومن نتائج التحليلات المعملية أمكن تعريف أكثر من ٥٠ مادة فعّالة في حبوب اللقاح لها مجال واسع في التأثير على كثير من الأمراض عند الإنسان ويخزن النحل حبوب اللقاح ممزوجة بالعسل في الأقراص الشمعية حيث تحدث فيها سلسلة من التحولات البيوكيمياوية فيتحول تركيبها مكوناً «خبز النحل» الذي يكتسب خواص أعلى كثيراً من حبوب اللقاح.

والأبحاث المتعلقة بالخواص العلاجية لحبوب اللقاح تؤكد أن لها تأثيراً علاجياً مفيداً في حال فقر الدم الخبيث، كما أنها تجعل وظيفة الأمعاء طبيعية «وبخاصة في حال التهاب القولون والإمساك المزمن» وترفع مستوى الشهية للطعام والمقدرة على العمل وأيضاً تخفض ضغط الدم وتزيد كمية الهيموغلوبين وكرات الدم الحمراء في حال الإصابة بالأنيميا خصوصاً إذا خلطت بنسب متوازنة مع العسل والغذاء الملكي.

ويفضل «ألبن كابا» تناول الرجال فوق سن الأربعين ١٥ غراماً من حبوب اللقاح يومياً للوقاية من التهابات وأورام البروستاتا كما أكد لفيف من الباحثين الفرنسيين أن حبوب اللقاح مادة منبهة لعلاج ترهل العضلات والجلد عند كبار السن وحالياً تستعمل حبوب اللقاح في مستحضرات التجميل، وفي كريمات لبن التجميل (Beauty milk) وفي محاليل حمام الشمس، كما تستخدم مستخلصات حبوب اللقاح في الدهانات المستعملة في التئام الجروح، وتجديد الجلد المحترق ولوقاية جلد الأيدي من الخشونة ولتنعيم الجلد من كثرة التعرض للشمس والهواء إذ إنها تعيد إليه المرونة والانتعاش.

وفي عام ١٩٨٥م، أعلن فاسيليف وتودوروفا في بلغاريا أنهما عالجا نزيف ملتحمة العين في ٣٦ مريضاً باستعمال حبوب اللقاح ويعتقد أن ذلك يعود إلى أن حبوب اللقاح غنية بمادة روتين Rutin الطبيعية وفيتامين ب . ب p.p والبوتاسيوم والحديد وحمض الفوليك وفيتامين ب ٦ وهرمونات ومواد أخرى.

وفي السويد تستعمل حبوب اللقاح ومستخلصاتها في علاج أعراض نقص الحديد بالجسم التي تسبب الإرهاق العام والتعرض للصداع وتشقق الأظافر وزيادة القابلية للعدوى وبخاصة البرد.

«ولتستسن» الحق في أن يقول: إنه من الصعب علينا في الحاضر أن نتخيل إلى أي مدى سيكون الاتساع والانتشار في استعمال المستحضرات الحيوية التي سيصنعها الإنسان من الطلع في المستقبل القريب، وسيأتي اليوم الذي تستغل فيه آلاف بل ملايين الأطنان من حبوب اللقاح في صناعة الأدوية بدلاً من أن تذهب هباء.

إن منتجات النحل استطاعت أن ترسخ أقدامها بجدارة في دنيا الطب والصيدلة كما قدمت للبشرية عالماً مليئاً بالآيات الربانية تأخذنا فيه الآية تلو الأخرى لنجوب بحاراً بلا شطآن من القدرة والإبداع في الخلق وإنها والله لقدرة تسجد لها العقول وتتكسر أمامها أنوف المتكبرين والمتغطرسين والطغاة لتصغر كل قدرة أمام قدرة الرحمن الذي أودع كل تلك الأسرار بين حنايا جسم لا يتعدى عقلة الإصبع... جسم ضعيف يمكن بضربة من يد أي إنسان أن تقضي عليه ليعلنها لكل عقل سوي أن قيمتك بما تقدمه للآخرين وليس بشكلك أو قوتك... ويحفرها على كل قلب مؤمن (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) ●

المصادر:

١ - النحل والطب - د.ناعوم بيتر وفيتش - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢ - العلاج بعسل النحل - د.ن. يوريش - ترجمة د.محمد الطوجي - دار القلم.
٣ - نحل العسل في القرآن والطب - د.محمد علي البنبي - مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٧م.

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد (428) ربيع الآخر 1422 هـ

رسالة إلى الفتاة المسلمة

مصائر وأنساب

حجر في قاع النهر

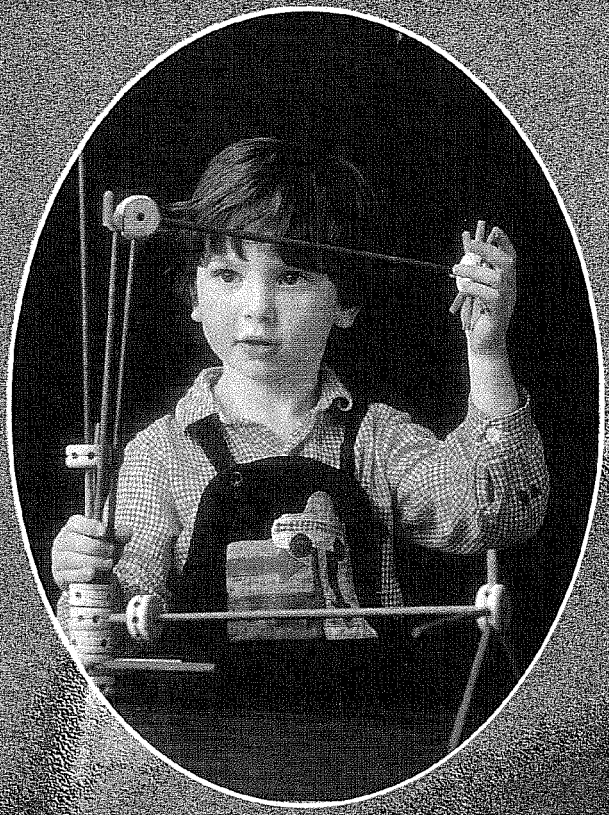

الطفل المنهوب... كيف نكتشفه؟

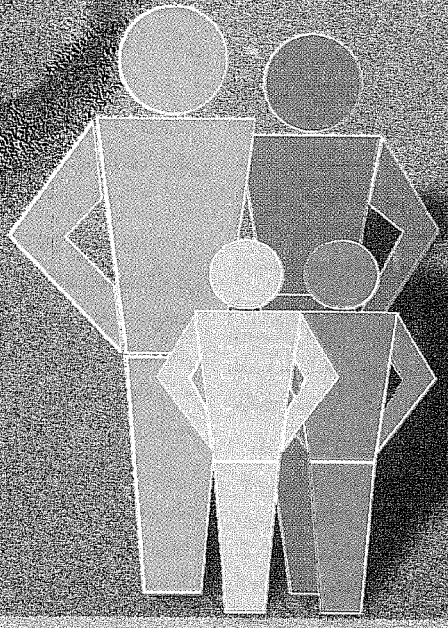

أنيميا نقص الحديد عند السيدات
أسبابها ... وعلاجها

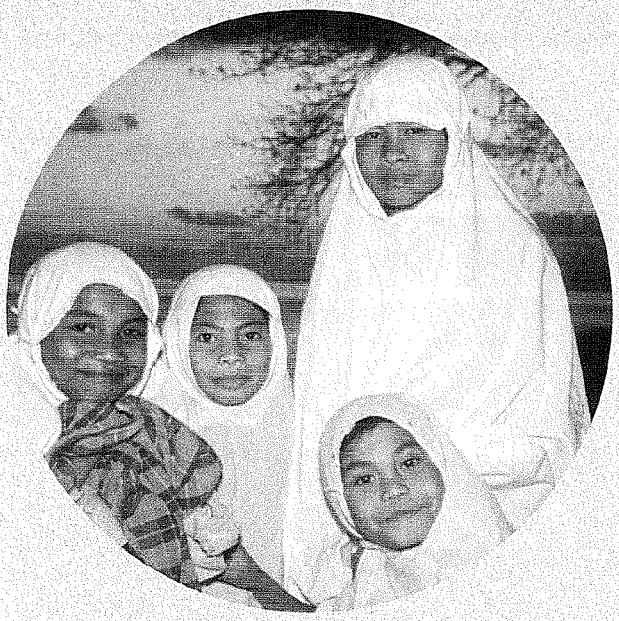

يقول محمد إقبال: «الحضارة الغربية قد نضجت وأينعت وحان قطافها، وقريباً تسقط من الغصن، ولكن أين السلة التي تحملها...».(١)

إن وراثة منجزات الحضارة الغربية في المجال العلمي والتقني إذا اقترنت بوراثة الحضارة الإسلامية في المجال العقدي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي... سيؤدي إلى وراثة الأرض بإقامة خلافة إسلامية فيها على منهاج النبوة تقيم دين الله وشريعته في الناس، مثلما فعل المسلمون

الرسالة الحضارية للأسرة المسلمة

بقلم: د. محمد بتغزوز
أستاذ التعليم العالي بجامعة ابن طفيل - القنيطرة - المغرب

الأوائل، ورثوا حضارة الفرس والروم وورثوا كتاب الله وعملوا بما جاء فيه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وطبقوها في حياتهم فورثوا الأرض ونشروا نور الله فيها قروناً كثيرة يقول تعالى: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) الأعراف:١٢٨.

ولكن من يستطيع لهذه الوراثة والنهوض بمهامها وتكاليفها اليوم؟ إنهم المسلمون الذين تربوا في مدرسة الأسرة المسلمة.

ولتحقيق هذا الغرض لابد من المرور بمراحل ثلاث تمثل في مجملها رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم هي:

المرحلة الأولى: أن تحقق الأسرة المسلمة رسالتها الداخلية.

المرحلة الثانية: أن تحقق الأسرة المسلمة رسالتها على مستوى المجتمع.

المرحلة الثالثة: أن تحقق الأسرة المسلمة رسالتها على مستوى الأمة.

١ - رسالة الأسرة الداخلية: إن رسالة الأسرة المسلمة تتمثل في تأكيد مفهوم العبودية لله وحده، في نفوس الناشئة وتربيتهم على عبادته سبحانه وتعالى، يقول عزّ وجلّ: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦.

والإسلام لا ينتشر انتشاراً سليماً إلا في ظل أسرة قويمة. فالأسرة هي ضمان استمرار هذا المخلوق وهو الإنسان، وضمان استمرار الغاية من خلقه وهي عبادة الله. فهي التي تنهض بمهمة تعريف الأبناء بدينهم وتربيتهم على أداء شعائره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، بمعنى توريث الإسلام للأجيال اللاحقة، واستمرار هذا التوريث جيلاً بعد جيل. إن ضمان استمرار الإسلام في الأرض لايتم إلا من خلال تكوين شخصيات مسلمة مميزة تنهض بمسؤولية الدعوة إلى الله، وتكوين أسر تؤدي الدور نفسه وهو أن تربي أولادها ليكونوا عباداً لله، لا عبيداً للدنيا وشهواتها.

ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت الأسرة المسلمة على بيِّنة بفقه دينها وفقه واقعها، أن تكون مُتشبثة بدينهاعارفة بتطورات العصر ومتطلبات المرحلة الراهنة، وما دام المسلمون حالياً

يعيشون حال صحوة إسلامية تواكبها هجمة استعمارية شرسة ممثلة في التنصير والعولمة والأعداء الداخليين فإننا يجب أن نهيئ النشء لمواجهة هذا الواقع بأن نعرّفه بالمخططات التي تحاك ضدنا، وسبل الوقاية منها، وذلك بالتمسك بالإسلام قولاً وفعلاً، سلوكاً وممارسة، وتقوية معارفه الإسلامية، والاسترشاد بسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم وسيرة السلف الصالح، وفي الوقت نفسه وأن يتقن علوم عصره، ويبرع في واحد منها على الأقل. بتعبير آخر نقول: يجب أن يتخرَّج في الأسرة المسلمة الطبيب والمهندس والطيار والفيزيائي والكيمياوي... وعلى المسلم في الوقت نفسه، ألا تبهره علوم الغرب وتستلبه.

وعلى الأسرة أن «تخرج الإنسان المؤمن، القادر على أن يعيش عصره، من غير أن يفقد نفسه، وينسى أمسه، وقد جاء في الأثر: «رحم الله امرءاً عرف زمانه واستقامت طريقته» وفي الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه: «ينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه».(٢).

إن الأسرة المسلمة مؤسسة المستقبل من أجل تكوين جيل للمستقبل مسلم وصالح، ومن ثمَّ عليها أن تهيئ الأولاد للمستقبل ليعيشوا عصرهم مسلحين بإيمانهم، أي أن يكونوا ثابتين على عقيدتهم ودينهم، مرنين في أساليبهم المرتبطة بمستجدات عصرهم.

وبهذه المزية يستطيع المجتمع المسلم، أن يعيش ويستمر ويرقى ثابتاً على أصوله وقيمه وغاياته، متطوراً في معارفه وأساليبه وأدواته.

فبالثبات يستعصي هذا المجتمع على عوامل الانهيار والفناء، أو الذوبان في المجتمعات الأخرى، أو التفكك إلى مجتمعات عدة، تتناقض في الحقيقة، وإن ظلت داخل مجتمع واحد في الصورة.

وبالمرونة يستطيع هذا المجتمع أن يكيف نفسه وعلاقاته، حسب تغير الزمان، وتغير أوضاع الحياة، دون أن يفقد خصائصه ومقوماته الذاتية.

الخطر كل الخطر على الحياة الإسلامية أن نثبت ما من شأنه المرونة والتطور، أو نطور ما من شأنه الثبات والخلود فتضطرب الحياة وتختل الموازين»(٣).

يجب على الأسرة المسلمة أن تدرك انطلاقاً من راعييها: الزوج المسلم والزوجة المسلمة، أن عليها أمانة الاستخلاف ومسؤولية عمران الأرض بالخير والأخيار «تكوين الإنسان المسلم الصالح» وإقامة شرع الله في حياتها، وهذه المسؤوليات والتكاليف بقدر ما هي مسؤولية فردية هي مسؤولية جماعية تقع على عاتق كل راع مسؤول بدءاً بالزوجين في الأسرة، وانتهاء بالحاكم المسؤول عن الجميع وعن تنفيذ أحكام الشرع الإسلامي.

٢ ـ رسالة الأسرة المسلمة على مستوى المجتمع: الأسرة مجتمع مصغَّر، فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الأسر، وعلى الأسرة المسلمة أن تكون لبنة المجتمع مسلم، لا أن تكون كيانات صغيرة منغلقة على نفسها، بل يجب أن يكون بينها من الروابط ما يمكّنها من تكوين وبناء مجتمع يكون بدوره لبنة لأمة مسلمة، عليها أن تكون أسرة إيجابية تتفاعل مع المحيط الذي توجد فيه، وتدعو الناس إلى الالتزام بالإسلام بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة حتى تكون فاعلة في مجتمعها مؤثرة فيه.

إننا ندعو إلى الانطلاق والانعتاق وبعث الأمل في النفوس في غد أفضل، وفي تغيير أنجع، شرط أن يغير الناس ما بأنفسهم من وهن وضعف واستكانة وركون وخروج عن جادة الحق والشرع.

«وإذا كان شعار الماركسية: غَيِّر الاقتصاد وعلاقات الإنتاج يتغيَّر التاريخ، فإن شعار القرآن: «غيِّروا ما بأنفسكم يتغير التاريخ»(٤).

إن الإسلام يرعى تماسك الأسرة المسلمة حتى يتماسك المجتمع كله في ظل مفاهيم صلة الرحم والقرابة والأخوة الإسلامية والتكافل الاجتماعي، وهذه العوامل كلها يهدف منها الإسلام إلى تكوين الأمة الواحدة، الأمة المتماسكة فيما بينها، لتكون كلمتها واحدة وأهدافها واحدة. فقوة المجتمعات تُقاس بقوة تماسك الأسر فيها.

إن بناء الأسرة المسلمة ليس هدفاً في ذاته بقدر ما هو مرحلة من مراحل بناء مجتمع مسلم قوي يكون بدوره سبباً في بناء أمة مسلمة واحدة ومتحدة تستطيع مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تسعى إلى تفكيك الأسرة والقضاء عليها، وفي ذلك تدافع بين أهل الحق وأهل الباطل. وأول المواجهة التحصن بالإسلام والتمسك بقيمه وأخلاقه وتربية الأولاد على ذلك.

إن رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم «هي التحضير المجتمعي لإنسان الخلافة الإسلامية في الأرض وإعداده لذلك»، كما تنبأ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالأسرة والمجتمع المسلم هما نواة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام بقوله:

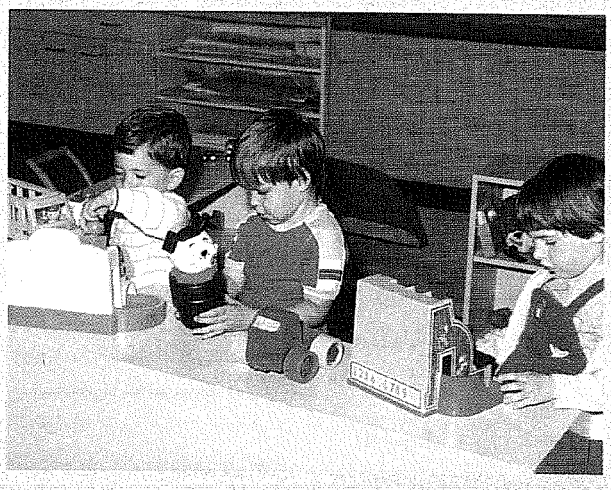

«إن أول دينكم نبوة ورحمة، وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون ملكاً عضوضاً فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله. ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله. ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء، وساكن الأرض، لاتدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً، ولاتدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته»(٥).

٣ ـ رسالة الأسرة المسلمة على مستوى الأمة: الأسرة المسلمة هي حجر الأساس في بناء الأمة الواحدة المتحدة، وإذا كانت لنا أمة بهذه الصفة، فسيكون أثرها على تقدم البشرية والحضارة كبيراً، إن في المستوى المادي أو المعنوي، لأن العالم الذي تسيطر عليه حالياً الحضارة المادية خاسر بانحطاط المسلمين الذين كان بإمكانهم أن يحدثوا التوازن المطلوب في الكون لو استطاعوا تكوين هذه الأمة التي وصفها الله سبحانه بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وذلك حتى لا تفسد الأرض بانتصار الباطل على الحق واستئساد أهل الضلال على أهل الهداية، يقول الله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) البقرة:٢٥١.

ولا شك أن هذا الدفع مستمر،

الأسرة المسلمة على مستوى الأمة هي حجر الأساس في بناء الأمة الواحدة

وإن كان الجانب المسلم فيه ضعيفاً، ولكنه ضروري لاستمرار الوجود الإنساني على الأرض، لأنها إن فسدت بالسيطرة الكاملة لأهل الباطل، فإن مبرر وجودها ووجود الإنسان عليها سيصير عبثياً ولا جدوى منه.

لذلك على الأسرة المسلمة أن تسعى للتمكين لدين الله في الأرض، من خلال نصرة الحق والتمسك بالشرع وتقوية الروابط مع الأسر المسلمة الأخرى، وتكوين مجتمع مسلم وإن كان مُصغَّراً أو صغيراً في البداية، فلاشك أنه سيكبر ويتسع مع الأيام. لأنه إذا توافرت لنا أسر مسلمة مترابطة، فإننا سنكون أمام مجتمع مسلم سيكون نواة لمجتمعات مسلمة أخرى متمسكة بشريعة الله، مطبقة لها، وما الأمة بعد ذلك إلا هذه المجتمعات المسلمة المتماسكة الساعية إلى إحقاق الحق وإزهاق الباطل. مصداقاً لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران:١١٠.

وهذه الشروط الثلاثة إذا

رسالة الأسرة المسلمة هي تأكيد قيادة أمة الإسلام لغيرها من الأمم

تحققت في أمتنا فستكون خير الأمم وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، وقد تحققت في الرعيل الأول من المسلمين. ولقد فسَّر الصحابي الجليل أبوهريرة هذه الآية فقال: «كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة، يبذل المسلمون أموالهم وأنفسهم في الجهاد لنفع الناس، فهم خير الأمم للخلق، والخلق عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»(٦).

إن رسالة الأسرة المسلمة هي تأكيد قيادة أمة الإسلام لغيرها من الأمم والشهود عليها، وذلك في كونها تضرب المثل لغيرها بإيجابيتها واستجابتها للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن تفكك الأسرة في الغرب لم ينتج إلا الخراب والدمار الإنساني، فهناك الانتحار والأمراض الجنسية الفتاكة والتشرد والضياع، وبناء الأسرة الجيد قضاء على الانحرافات النفسية والخلقية وتحصين من الأمراض النفسية والعضوية الخطيرة، وفيها ضمان استمرار النوع البشري السوي، وأن كل ما جاء به الإسلام من شرائع تنسجم مع فطرة الإنسان وتقدم فوائد مجتمعية كبيرة من تكافل وتضامن واتحاد وأخوة... وأن الحضارة المادية الغربية أفصحت عن إفلاسها وعجزها في هذا المجال، لأنها لم تستطع المحافظة على فطرة الإنسان بل دمرته.

إن رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم هي السعي لم شَعَث الأمة التي مزَّقها الاستعمار سياسياً وسيطر عليها اقتصادياً، فالمسلمون لايمكن أن

ينعموا بالعزة والكرامة إلا في ظل أمة مسلمة موحدة على جميع المستويات.

والأمة المسلمة المرجوة هي التي تتحقق فيها الشروط الثلاثة المذكورة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، هل هذه الشروط متوافرة في أمتنا حالياً؟ الجواب: لا.

وحتى نحققها في أمتنا، علينا أن نسعى للتمرس عليها وتطبيقها في حياتنا انطلاقاً من الأسرة المسلمة التي عليها أن تربي أبناءها على ذلك وتعودهم إصلاح أحوالهم وأمورهم داخل أسرتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، بين الزوجين، وبينهما وبين أولادهما، وبين الأولاد أنفسهم، حتى ننشئهم على الأخلاق التي يجب توافرها في الأمة المسلمة وحتى تستطيع النهوض بهذه المهمة العظيمة تجاه غيرهامن الأمم بأن تبعدها عن شرورها وتقربها من خير الدنيا والآخرة وهو الإسلام. لما قرأ عمر بن الخطاب قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران ١١٠، قال: «يأيها الناس من سرَّه أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله فيها»(٧)، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله.

إن الرسالة التربوية للأسرة المسلمة تقتضي منّا إعداد شخصيات مؤمنة تؤدي دورها المجتمعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله: أي السعي لجر الناس إلى الإيمان بالله واجتذابهم إليه، فبعدما نتحصن داخل الأسرة بالإيمان نسعى لتحصين مجتمعنا من المزالق والمفاسد

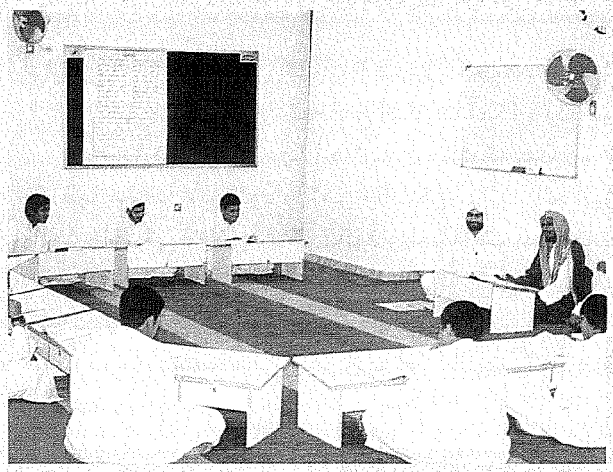

على الأسرة المسلمة أن تسعى للتمكين لدين الله في الأرض من خلال نصرة الحق

بنهيه عن المنكر وأمره بالمعروف، وبذلك يتحقق مفهوم «الأخوة» الإيمانية التي تجعلنا أمة واحدة تسعى لانتشال غيرها من الأمم من مهاوي الضلال والانحراف عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها. «إن التربية الإسلامية لاتتوقف عند إعداد الأفراد المؤمنين، بل تتخذ من هذا الإعداد وسيلة لهدف آخر هو إخراج أمة المؤمنين من الضلال حتى يتلاحم أفرادها عبر شبكة من الروابط الاجتماعية التي تندرج تحت أسماء: الهجرة، والجهاد، والإيواء، والنصرة، والتي تكون محصلتها النهائية هي - الولاية - أي أن يتولى كل عضو رعاية شؤون الأعضاء الآخرين»(٨) مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)الأنفال:٧٢.

وبتحقيق هذا المفهوم استطاع المسلمون الأوائل الانتصار على أمة «الكافرين» ممثلة آنذاك في الفرس والروم، وإخراج «أمة المؤمنين» للإنسانية، فنشرت كلمة الله في الأرض، ورفعت رايتها، وأخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام.

ولكن «حين انحسرت التربية الإسلامية لتقتصر على إعداد الأفراد المسلمين الذين يعتزلون الدنيا وينتظرون الرحيل إلى العدل الأخروي، فقد نسي المسلمون أنفسهم - مفهوم الأمة المسلمة - واختفت مكوناتها من مناهج التربية وأنشطتها، وتفككت الأمة المسلمة القائمة واحتلت مكانها أمم غير مؤمنة تسلمت القيادة العالمية وملأت الأرض بالفتنة والفساد الكبير»(٩) مصداقاً لقوله سبحانه: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) الأنفال:٧٣. أي إذا لم تكونوا أولياء فيما بينكم أيها المؤمنون، ولم تكونوا أمة واحدة مترابطة فيما بينها، فإن الكافرين سيتجمعون في أمة واحدة ضدكم لأن بعضهم أولياء بعض، وحينئذ ستكون فتنة في الأرض وفساد كبير بسيطرتهم وقيادتهم الضالة المضلّة. إذاً، على الأسرة المسلمة أن تبدأ من جديد، وتعيد الكرة، وتؤدي رسالتها التربوية الحضارية التي تتمثل في: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، ويكون من نتائجها قيادة البشرية إلى بر الأمان، وإخراجها من الظلمات إلى النور. وشروط هذه النهضة الحضارية لا يمكن أن تقوم بها إلا الأمة المسلمة التي يرتهن وجودها بأداء ما اشترطه الله سبحانه عليها، حتى تكون «خير» أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على رسول الله الرحمة المهداة للعالمين محمد وآله وصحبه أجمعين ●

الهوامش:

(١) أبو الحسن علي الندوي: الإسلام والحضارة الإنسانية وواقع العالم الإسلامي - دار القلم - الكويت - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ٤٧ - ٤٨.
(٢) يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة - بيروت ط٣ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ص ٦٧.
(٣) نفسه، ص ٧٨.
(٤) نفسه، ص ٢٢١.
(٥) رواه البزار
(٦) ابن تيمية: الفتاوى، علم السلوك، ج١٠، نقلاً عن كتاب: «الأمة المسلمة» لماجد عرسان الكيلاني. دار الاستقامة. مكة المكرمة. ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٨٥م. ص ٧١.
(٧) الطبري: التفسير، ج٤، ص ٤٣ - ٤٤ نقلاً عن كتاب: الأمة المسلمة، ص٣٢.
(٨) نفسه، ص ٢٩.
(٩) نفسه، ص٧٢.

بقلم: منى السعيد الشريف

إنه رفيق الدرب الطويل، الصديق الذي حلمت به كثيراً، تصافح أفكارها أفكاره وتعانق مبادئها وأحلامها أحلامه... مكانته عندها لا تفوقها مكانة لأنه الودّ والأمن والسكن... اليد الحانية والكلمة الطيبة التي تقطر بالودِّ والمحبّة لتمحو العناء وتبعث في النفس الثقة والاطمئنان، لذا فهي لا ترضى عنه بديلاً ومؤنساً، صوته عطر يعبق أيامها، وتواصله معها نسيج يسبح على جدران بيتها بالرضى والوفاق والصفاء...

حتى لا يضيع الحلم

ذاك حلم كل امرأة في زوجها، أو قل حلم كل فتاه في غدها السعيد المرتقب ولكن واقع الحياة بعد الزواج قد يغير كثيراً من ملامح هذا الحلم فتتعالى شكوى بعض الزوجات وتتشابه العبارات «إنه هارب دائماً خارج المنزل... أكاد أجن من صمته الأبدي... إنه لم يكن يمل الحديث معي طوال فترة العقد والخطوبة أما الآن فقد بدأت أشعر أنه ينسى لسانه خارج المنزل... إنه لبق ومتحدِّث جيد في الخارج أما داخل البيت فهو إنسان آخر وجهه في الجريدة طوال الوقت أو أمام التلفاز، ردوده قصيرة ومقتضبة...» عبارات وعبارات قد تختلف كلماتها ولكن فحواها واحد. إنها الشكوى من ظاهرة «الخرس الزوجي» وهو داء عضال يصيب بعض الأزواج، فبعد فترة من الزواج قد يتسرب الملل والرتابة إلى حياة الزوجين ليصيب العلاقة بينهما بشلل جزئي يظهر في فقد الحوار بينهما... وقد يرجع السبب في ذلك إلى انشغال بعض الأزواج في عملهم بشكل كبير أو إلى طبيعة عمل الزوج التي قد تتطلب منه كثرة الكلام والحوار مع الآخرين خارج المنزل ليرجع إلى بيته منهكاً فاقد الرغبة في أي حوار أو نقاش، كما أن وجود الكمبيوتر وأجهزة الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفاز وغيرها داخل المنازل شغلت أفراد الأسرة وقلّصت إلى حد ما عنصر الحوار بين أفرادها، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى طبيعة الزوج نفسه الذي قد يكون هادئاً محباً للصمت والتأمل، أو انطوائياً مثلاً وفي هذه الحال على الزوجة أن تقدر أن هذا طبع زوجها جُبل عليه ويصعب تغييره.

وقد يكون الأمر أكبر بالنسبة لزوجة غير عاملة لديها وقت فراغ طويل فيكون شعورها بتلك المشكلة أكبر وأكثر تأثيراً، فهي وإن تناستها أو اعتادتها فلن تستطيع في معظم الأحيان تجنب أثرها السيء على علاقتها بزوجها، ذاك الأثر الذي قد يمتد إلى الأبناء، حيث يؤكد لنا علماء النفس أن الطفل الذي ينشأ في أسرة تفتقد عنصر التواصل الحواري «الكلامي» هو - في الغالب - طفل لا يستطيع التعبير الجيد عن نفسه، كما أنه ربما يكون في بعض الأحيان انطوائي لا يسهل عليه إقامة علاقة مع الآخرين بيسر. وقد تلجأ الزوجة حين يتضخم شعورها بتلك المشكلة إلى بعض البدائل أو الحلول الموقتة، والتي أميل إلى تسميتها بالمسكنات، كالانشغال بعمل ما خارج المنزل، أو توثيق الصلة بالأقارب والأصدقاء وغيرها من الأمور التي قد تخفف من شعورها بالوحدة والإهمال، ولكن تلك البدائل كفيلة بأن توسع الهوة بين الزوجين أكثر فأكثر وتزيد البعد بينهما حتى يصبح لكل منهما عالمه الخاص المنفصل وهو أمر في غاية الخطورة لأنه ينافي طبيعة العلاقة الزوجية السليمة.

وعلى الزوجة التي تعاني من هذه المشكلة أن تسأل نفسها: هل كان لها دور في عزوف زوجها عن مجالستها والتحدث إليها؟ بلا شك إن الزوجة التي تنتهز أي فرصة للحديث إلى زوجها لتجعلها جلسة نميمة عن أحوال جيرانها وأسرارهم وإشاعة فضائحهم، أو الحديث عن صديقاتها وما يتمتعن به من رفاهية لا يستطيع زوجها تحقيقها، أو الحديث في أمور تافهة لا تشكل للزوج أي أهمية، وإنما هي مجرد ثرثرة وإهدار للوقت دون جدوى، وقد يصل الأمر أبعد من ذلك، فتبدأ في الحديث عن أخطاء أو هفوات مضى عليها دهر طويل ما يلبث أن ينتهي بمشاجرة... إن مثل

تلك الزوجة حفي أن يتجنب الزوج الحديث إليها إيثاراً لمبدأ السلامة.

ولكن على الزوجة أن تكون فطنة، لبقة تعرف متى تمد يدها لزوجها لتدنيه منها كلما عصفت به أمواج الحياة بعيداً عنها، فتكون خبيرة بمزاجه واهتماماته وتشاركه فيها وتعرف الأوقات المناسبة للحديث معه لتستطيع خلق الجو المناسب للحوار، وليكن الأمر في البدء حديثاً عن عمل الزوج وأخباره مثلاً... وهذا الحديث وإن كان ليس هو ما تصبو إليه، ولكنه بداية طيبة تعوِّد الزوج الجلوس معها والحديث إليها وأخذ رأيها في عظائم الأمور.

ولكن كما أن للزوجة دوراً، فإن للزوج أيضاً دوراً مهماً في خلق هذا التواصل الذهني والوجداني الذي لا يمكن أن يتحقق من طرف واحد دون الآخر، فمهما كان حجم مشاغل الزوج وأعماله يجب أن يكون هناك وقت للجلوس مع زوجته وأبنائه، وليع جيداً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لربك عليك حقاً ولبدنك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه»، وليكون له فيه عليه الصلاة والسلام خير أسوة فلم يكن يمنعه حمل الدعوة وتحمل مسؤولية أمة بأسرها من أن يكون خير زوج وخير مؤنس لأهل بيته فقد كان عليه الصلاة والسلام يجالس زوجاته ويحادثهن ويمازحهن ويتلطف بهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى ركعتي الفجر، إن كنت مستيقظة حدَّثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة» رواه البخاري، وكانا يتبادلان السمر بالأحاديث والقصص التي تحمل العبرة والموعظة، كما في حديث أبي زرع وأم زرع، وعنها أنها قالت: «قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها ستر فهبت ريح، فكشفت عن بنات لعائشة لعب، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟»، قالت: فرس، قال: «وما هذا الذي عليه»؟ قالت: جناحان، قال: «فرس له جناحان؟»، قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: «فضحك حتى رأيت نواجذه» رواه أبو داود.

فانظر إلى تباسطه معها عليه الصلاة والسلام في الحديث وتلطفه مراعاة لحداثة سنها، والأمثلة في مواقفه صلى الله عليه وسلم مع زوجاته وحديثه إليهن وتعليمهن كثيرة، بل إنه عليه الصلاة والسلام، كان يأخذ برأيهن إذا رأى فيه الخير والصواب، وقد أخذ برأي أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية فكان فيه سلامة المسلمين من الإثم، كما جاء في بعض الروايات: «فجلى الله عنهم يومئذ بأم سلمة».

وبعد، فإننا كثيراً ما نعاني اليوم الغربة والفرقة بين بعضنا بعضاً، ولكن الأمر يصبح أكثر قسوة عندما نعاني الغربة في بيوتنا ومع أقرب الناس إلينا، لتتحول تلك الغربة إلى جبال من جليد تتجمد معها كل المشاعر الجميلة والأحاسيس النبيلة التي حلمنا أن يجمعنا دفئها، فلنحاول إذابتها معاً بمزيد من التواصل والتقارب والود كي لا يضيع الحلم ●

من الحيـــاة...

يقلم: مروى عابد

حجر في قاع النهر

في يوم شديد الحرارة من أيام شهر يوليو، وصلت الشمس في رحلتها اليومية إلى كبد السماء، وأخذت حرارتها تشتد - وكأنها سياط - تلهب ظهورنا إذا ما خلفناها وراءنا، وتلفح وجوهنا إذا ما لامستها.

ونحن نسير في بطء وتثاقل... وكلٌّ منَّا صامت حيث تاهت الكلمات. أخذنا نتجول في ذلك الشارع الكبير الممتلئ بالبشر... أخذنا نتجول بين الباعة الجائلين، وأخذت أطالع وجوه البشر فلم أجد لها ملامح، وكأنها أجساد بلا أرواح... بلا حياة... بلا إنسانية.

حاولت جاهدة أن ألملم أفكاري التي تحاول أن تهرب مني حاولت جاهدة... وكأن عقلي يرفض هذه المحاولة إلى أن أبصرت ذلك المقعد الممتد هناك.

على حافة المقعد جلست فتاة... جلست بجوارها... نظرتُ إليها فإذا هي شاردة تركتها... تركتها لشرودها.

شبكت أصابعي ووضعتها على ساقي ورحت أنظر أمامي إلى هؤلاء الشباب الحيارى الذين لا هدف لهم في هذه الحياة، فهم لا يعرفون لأنفسهم هدفاً ولا يدركون لحياتهم غاية... جلست طويلاً أجمع أفكاري وأحدث نفسي.

حدّثت نفسي قائلة: آه لهؤلاء متى سيصبحون يوماً بناة لهذا المجتمع؟! أعدت السؤال نفسه مرة ثانية، ولكن هذه المرة تمتمت به شفتاي، فإذا بصوت يأتي من حافة المقعد، صوت شيخ هرم يبدو من ملابسه أنه رقيق الحال، ولكنه ليس بالفقير، فثيابه التي يرتديها وإن كانت قديمها، لكنها لم تفقد رونقها.

تحدث إلى الشيخ فبدت التجاعيد في وجهه أكثر وضوحاً، وبدت عيناه مملوءتان بالحزن تحيط بهما هالات سوداء، قال لي: هل تعتقدين يا بنيتي أنه يمكن لهؤلاء أن يكونوا بناة مجتمع؟

فنظرت إليهم وقلت له: أنت محقٌّ، فكيف لهذه الفتاة التي خرجت هكذا شبه عارية، وذاك الفتى الذي طوق رقبته بسلسلة، ورسم هذا الرسم الغريب على يديه، كيف لهذا وتلك أن يكونا شيئاً يُذكر في الحياة، آه لقد وصل الأمر لدرجة أننا ما عدنا نفرق بين الذكر والأنثى من شدة الشبه بين الذكور والإناث، لا حول ولا قوة إلا بالله.

نظر إليَّ الشيخ بإشفاق وقال: لعلها يا بنيتي موجة عابرة سرعان ما تختفي، وإن شئت فقولي: إنه حجر صغير ألقي في مياه نهر صنع موجة... وسرعان ما تعود مياه النهر إلى السكون.

هذا ما قاله الشيخ ولكني أتساءل: هل حقاً ستعود مياه النهر إلى السكون؟ أم سيُلقى في النهر حجر يتبعه حجر كي تشتد الموجة وتشتد وما أظن أنه سيبقى نقياً كما كان، إلا إذا عاد الناس يذودون عن حياضه كما كان سلفنا... سيعود النهر إلى صفائه إذا عدنا إلى النبع الصافي... سيعود النهر نقياً.

نعم سيعود... ويتحقق وعد الله ●

بقلم: د.محمد مصطفى السمري

أنيميا نقص الحديد عند السيدات

أسبابها... وعلاجها

تعد أمراض سوء التغذية Malnutrition أكثر الأمراض انتشاراً بين الناس، ولاغرو فهي تصيب الإنسان في شتى بقاع العالم منذ فجر التاريخ وعبر العصور.

ويشمل مفهوم سوء التغذية جميع الحالات التي تعاني من تغذية غير سليمة خارجة عن المعايير العلمية لاحتياجات الإنسان الفعلية من المواد الغذائية ما يؤدي إلى اعتلال الصحة ومن ثمَّ المرض.

وتعد الأنيميا Anaemia أو فقر الدم واحدة من أكثر أمراض سوء التغذية التي يشكو من أعراضها كثير من سكان العالم. ويمكن تعريفها بأنها نقص في كمية «الهيموغلوبين» أو الخضاب بخلايا الدم الحمراء، أو نقص في عدد خلايا الدم الحمراء عن معدلها الطبيعي. والخضاب أو الهيموغلوبين Hemoglobin مادة مهمة تملأ تجويف خلايا الدم الحمراء وهي التي تعطي الدم لونه، وتتركب من نواه من عنصر الحديد ترتبط بسلسلة من الأحماض الأمينية حتى يمكنها أن تؤدي وظيفتها، ومعلوم أن ٧٨٪ من حديد الجسم يوجد بشكل مرتبط مع الهيموغلوبين، ويخزن الباقي في نخاع العظام لحين الحاجة إليه. ولذا فإن نقص الحديد - لأي سبب من الأسباب - يؤدي إلى حدوث قصور في وظيفة الهيموغلوبين وبالتالي إلى ظهور أعراض الأنيميا.

أسباب إصابة السيدات بأنيميا نقص الحديد

تعد أنيميا نقص الحديد iron Deficiency Anemia أكثر أنواع الأنيميا شيوعاً وانتشاراً، بل أكثر أمراض الدم انتشاراً خصوصاً بين الأطفال والسيدات.

وهي تحدث نتيجة لنقص في تناول الحديد، أو نقص في معدل امتصاصه، أو زيادة في فقدانه، أو الفشل في مواجهة زيادة الاحتياج له سواء مع النمو السريع للأطفال، وبخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة أو في أثناء فترة البلوغ والمراهقة أو في أثناء فترات الدورة الشهرية والحمل والولادة والرضاعة.

ويعود ارتفاع نسبة الإصابة بأنيميا نقص الحديد عند السيدات إلى الأسباب التالية:

أولاً: منذ مرحلة البلوغ والفتيات والسيدات يفقدن نسبة كبيرة من الحديد... فمع كل دورة شهرية تفقد كل فتاة أو سيدة نحو ٢٠ملغ من الحديد وذلك مع دم الحيض.

ثانياً: في فترة الحمل يزداد احتياج الأم والجنين إلى الحديد... ومن ثم يقل مخزون الحديد عند الحامل بشكل ملحوظ،وهذا يفسر إصابة أكثر من ٥٠٪ من الحوامل بأنيميا نقص الحديد.

ثالثاً: في أثناء الولادة تفقد الأم نسبة كبيرة من الحديد مع دم الولادة، وتزداد نسبة فقد الحديد مع تكرار الحمل، وخصوصاً إذا كانت الفترات متقاربة، كما أن الأم تفقد نسبة غير قليلة من الحديد في أثناء فترات الرضاعة.

رابعاً: هناك أسباب عامة تصيب كل فئات الناس مثل:

١ - نقص تناول الحديد في الغذاء، نتيجة تناول وجبات خالية من الحديد أو تحتوي على نسبة قليلة منه، أو يرجع ذلك إلى سوء امتصاص الحديد في الأمعاء.

٢ - الإصابة بالديدان الطفيلية وبخاصة البلهارسيا والأنكلستوما واللتان تؤديان إلى فقدان الدم المزمن، ويكفي أن الإصابة الشديدة بالأنكلستوما تؤدي إلى فقد «رُبْع» لتر دم يومياً.

٣ - فقدان كمية كبيرة من الدم في أثناء النزف الدموي وبخاصة حالات القيء الدموي أو البواسير أو قرحة المعدة أو الدوالي... إلخ.

٤ - بعض العادات الغذائية الخاطئة مثل شرب الشاي بعد الأكل حيث يعوق الشاي امتصاص الحديد من الأمعاء، وكذلك الإفراط في تناول الأغذية الغنية بالألياف مثل الأرز والخبز والحبوب ذات القشور.

الأعراض:

تشكو المصابة عادة من الإجهاد السريع والتعب من أقل مجهود، والضعف العام، والخمول والكسل، والصداع. كما تشكو من النهجان «وهو زيادة سرعة التنفس مع انخفاض في سعة النفس الواحد»، وزيادة دقات عضلة القلب والإحساس بها Palpitations، وبعض السيدات تشتكين من انقطاع الدورة الشهرية أو عدم انتظامها، فضلاً عن شحوب الوجه والشفتين.

ومن العلامات المهمة في تشخيص هذا المرض ما يعتري الأظفار من تغيرات، حيث تبدو جافة وهشة وفاقدة لبريقها، وتظهر بها نقط بيضاء، وفي الحالات الشديدة يصبح الظفر مقعراً ويأخذ شكل «الملعقة» Koilonychia... كذلك يعتري اللسان بعض التغيرات إذ يبدو باهتاً وناعماً وأملس.

الوقاية والعلاج

أولاً العلاج الغذائي:

- يجب الاهتمام بتناول الأغذية الغنية بعنصر الحديد وبخاصة الكبد والكلاوي واللحوم والدواجن بكل أنواعها، ثم الحبوب مثل الفول والعدس والفاصوليا، ثم

الخضراوات ذات الأوراق الخضراء وبخاصة الخبيزة والملوخية والسبانخ والجرجير والبقدونس.

- يُنصح بتناول بعض العصائر من الفاكهة أو الخضراوات حيث تعد مصدراً غنياً بالحديد، وبخاصة عصير التفاح والفراولة والبنجر والطماطم، وكذلك طبق الخشاف.

- يُنصح بتناول الأغذية الغنية بفيتامين «سي» مثل: البرتقال والليمون والجوافة والفلفل الأخضر والبقدونس والطماطم. ويفضل تناولها على هيئة عصير، حيث يعمل فيتامين (سي) على زيادة امتصاص الحديد.

- يجب الحرص على تناول العسل الأسود «الدبس»، حيث يحتوي على نسبة عالية من الحديد، وحبذا لو أضفنا إليه الطحينة، حيث تحتوي هي الأخرى على نسبة كبيرة من الحديد.

ثانياً: العلاج الدوائي:

- في بعض الحالات لايكفي الغذاء وحده في تعويض النقص الحاد من الحديد، وبخاصة حالات السيدات الحوامل أو في أثناء فترة الرضاعة أو الدورة الشهرية، لذا نلجأ إلى العلاج بالأدوية على هيئة مركبات الحديد في صورة أقراص تؤخذ بعد الأكل، وخير مركبات الحديد التي توصف في هذه الحال «سلفات الحديدوز» لأنها سهلة الامتصاص من الأمعاء بعكس المركبات الأخرى، وينصح باستمرار هذا العلاج لمدة ثلاثة أشهر.

- وفي حال فشل العلاج عن طريق الفم، أو حدوث تهيج بالجهاز الهضمي، أو الفشل في امتصاص الحديد، يتم العلاج عن طريق حقن الحديد في العضل، ولا نفضل هذا النوع من العلاج نظراً لأنه قد يؤدي إلى حدوث مضاعفات كثيرة.

ثالثاً: نقل الدم

في بعض الحالات الشديدة جداً أو التي لا تستجيب للعلاج بالغذاء أو الدواء أو التي تقل فيها نسبة الهيموغلوبين عن ٥٠٪ تحتاج السيدة المصابة - عندئذ - إلى نقل دم كامل أو إلى كرات دم حمراء فقط ●

سعادة الأسرة... تبدأ من الصلاة

بقلم: نعيم نعيم السلاموني

إن المحافظة على الصلاة تغرس في نفوس الأسرة المراقبة والخشية وتعين الإنسان أن يحل قضاياه بالعدل والإحسان والتسامح والتعاطف.

وبالصلاة يصبح الجسم أكثر نشاطاً والعقل أكثر وعياً وإدراكاً وتفهماً لأمور الحياة وذلك لأن الصلاة صلة وثيقة بين العبد وربه، فبها تصفو روحه، وبها يطهر قلبه، وبها تزكو نفسه، ويحسن خُلُقه وتهدأ أعصابه.

والصلاة سبب مباشر لمحبة الله تعالى ورحمته، والطريق إلى السلوك المستقيم، وإلى الهدوء والرضا والتواضع وهي طريق لفعل الخير وترك ومقاومة الشر، والفحشاء وقوة للقضاء على الكسل.

والصلاة عمل ونظام لا مثيل له في العالم، فيه حب النظام وحب الطهارة، طهارة الجسم والملابس والمكان، وفيها اقتراب من الطاعات وابتعاد عن المعاصي، (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت:٤٥.

والصلاة تعتبر من أفضل الوسائل وأنجحها لعلاج كثير من الأمراض النفسية (كالقلق - الجزع - اليأس - الهلع). يقول المولى عزَّ وجلَّ: (إن الإنسان خُلق هلوعاً. إذا مسَّه الشرُّ جزوعاً. وإذا مسَّه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون) المعارج: ١٩ - ٢٣.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر أو دهمه في موقف من مواقف الدعوة خطر لاذ بالله وفزع للصلاة وقال: «أرحنا بها يا بلال».

وفي أبحاث علم النفس «لن تجد شخصاً متديناً يصيبه أي مرض نفسي»، فالصلاة منبع نشاط ذاتي ذي قوة شافية، وعلماء الطب يقولون: إن الصلاة علاج ناجع لكثير من الأمراض وأعظم طاقة مولِّده للنشاط عرفت حتى يومنا هذا.

ويروى أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - نعي إليه أخوه وهو في سفر خارج المدينة فما كان منه إلا أن ترك راحلته وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين ثم قال: لمن حوله صدق الله العظيم إذ يقول: (استعينوا بالصبر والصلاة) البقرة:١٥٣.

فالإنسان في الأسرة، إذا أصابه هم أو مكروه صبر وطلب الاستخارة وهرع إلى الصلاة.

إن الصلاة تمد الإنسان بنفحة مشجعة وطمأنينة شاملة تعينه في التغلب على كل الأعباء التي ينوء بحملها.

إن الصلاة سبب السعادة (والذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك في جنات مكرمون) المعارج:٣٤ - ٣٥.

ولقد وعد الله سبحانه وتعالى المحافظون على الصلاة بالجنة.

يقول المولى عزَّ وجلَّ: (والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) المؤمنون: ٩ - ١١.

والصلاة تكفير للذنوب والآثام، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم.

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مسلم ومالك ●

بقلم: د.عبدالرزاق السباعي

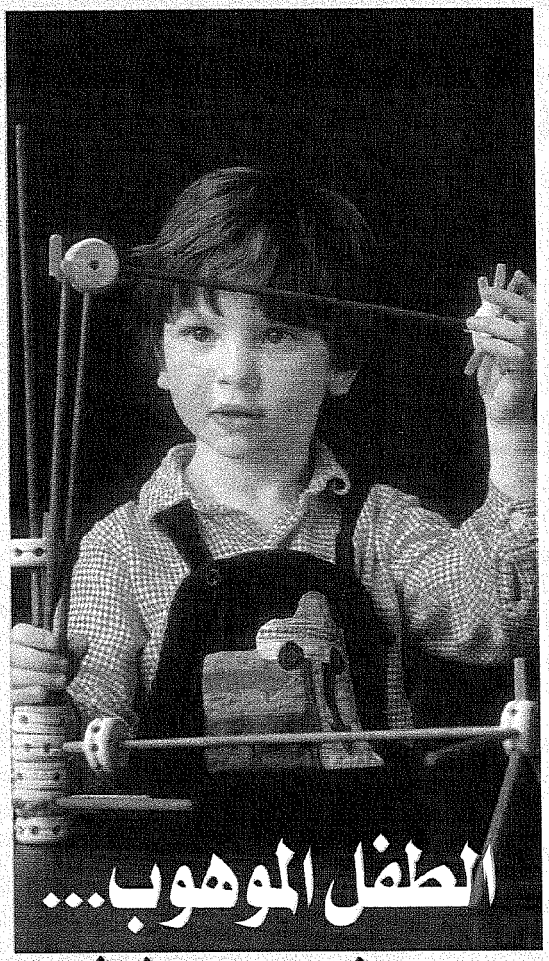

الطفل الموهوب... كيف نكتشفه

الجدول الأول: مظاهر نمو العضلات الكبيرة لدى الطفل العادي والطفل الموهوب

مظاهر نمو العضلات الكبيرة	العادي	الموهوب
يرفع ذقنه وهو مستلق على ظهره	١	٠,٧
يرفع كلاً من الصدر والرأس	٢	١,٤
ينقلب على جنبيه	٢	٢,١
يجلس بمعاونة	٤	٢,٨
يجلس من دون معاونة	٧	٤,٩
يقف بمعاونة	٨	٥,٦
يحبو	٩	٦,٣
يقف دون معاونة	١١	٧,٧
يمشي بمفرده	١٢,٥	٨,٧
يمشي مستغنياً عن الحبو	١٥	١٠,٥
يصعد السلم زحفاً	١٥	١٠,٥
يصعد السلم مشياً	١٨	١٤,٦
يجلس نفسه في المقعد	١٨	١٤,٦
يقلّب صفحات الكتاب	١٨	١٤,٦
يهبط السلّم مع إمساك إحدى يديه	٢١	١٤,٧
يصعد السلّم ماسكاً الحاجز	٢١	١٤,٧
يجري بتناسق، دون أن يسقط	٢٤	١٦,٨
يصعد ويهبط السلّم بمفرده	٢٤	١٦,٨
يمشي على أصابع القدمين	٢٥	٢١,٠
يقفز بكلتا قدميه	٢٥	٢١,٠
يبدل قدميه وهو يصعد السلّم	٢٦	٢٥,٢
يقفز من الدرجة الأولى للسلم	٣٦	٢٥,٢
يركب دراجة ذات ثلاث عجلات	٣٦	٢٥,٢
يحجل على قدم واحدة	٤٨	٣٣,٦
يحجل مبدلاً قدميه	٦٠	٤٢,٠

الطفل الموهوب، «أو الطفل المتفوق عقلياً»، هو طفل يملك القدرة على الأداء الفائق في مجال ما، ويشكل الأطفال الموهوبون ٢ - ٣٪ من السكان «وهم موهوبون وليسوا عباقرة

ولذلك فهم استثناء مثل الأطفال المعاقين، ولذلك يجب الاعتناء بالطفل الموهوب مثلما يجب الاعتناء بالطفل المعاق.

ويمكن تقسيم الأطفال الموهوبين تبعاً لنوع الموهبة إلى ست مجموعات حسب المجالات التالية:

١ - قدرة عقلية عامة.
٢ - استعداد دراسي خاص.
٣ - تفكير ابتكاري أو إنتاجي.
٤ - قدرة على القيادة.
٥ - فنون مرئية أو مسرحية.
٦ - قدرة نفسية حركية.

اكتشاف الطفل الموهوب

هناك ارتباط بين التفوق «الموهبة» والذكاء، وسابقاً كان التفوق يساوي الذكاء، لذلك كان قياس الذكاء هو الأساس في الكشف عن الموهوبين، لكن تراجعت هذه القاعدة حديثاً حيث ظهرت طرق تعتمد على الاختبارات أو المعايير أو المحكات، وأصبح الذكاء أحد هذه الاختبارات أو المحكات.

المبادئ الأساسية للكشف عن الموهوب:

١ - تعدد المعايير أو الاختبارات أو المحكات.
٢ - تعدد الوسائل والمصادر.
٣ - الكشف المبكر ما أمكن.
٤ - استمرار عملية الكشف في المراحل العمرية المختلفة.

كان الذكاء - كما ذكرنا - هو

الجدول الثاني: مظاهر نمو العضلات الدقيقة لدى الطفل العادي والطفل الموهوب

مظاهر نمو العضلات الدقيقة	العادي	الموهوب
يمسك يد الملعقة ولكن يتركها بسرعة	١	٠,٧
تازر العين عمودياً	١	٠,٧
يلعب الخشخيشة	٢	٢,١
يتناول الكرة، مظهراً الاهتمام بتفاصيلها	٦	٤,٢
يظهر تفضيلاً لإحدى اليدين	٨	٥,٦
يمسك الأشياء بين الأصابع والإبهام	٩	٦,٣
يمسك القلم بشكل متوافق	١١	٧,٧
يشخط بالقلم تلقائياً	١٣	٩,١
يطوي الورقة مرة واحدة	٢١	١٤,٧
يرسم خطوطاً دائرية من نموذج	٢٤	١٦,٨
يبني جسراً من المكعبات من نموذج	٣٦	٢٥,٢
يرسم شخصاً من جزئين	٤٨	٣٣,٦
يرسم شخصاً كاملاً	٦٠	٤٢,٠
ينقل رسم مثلث	٦٠	٥٠,٤
يرسم شخصاً مع إظهار الرقبة واليدين والملابس	٧٢	٥٠,٤

الجدول الثالث: مظاهر النمو المعرفي واللغوي لدى الطفل العادي والطفل الموهوب

مظاهر نمو العضلات الدقيقة	العادي	الموهوب
يبتسم للناس	١,٥	١,١
يصدر صوتاً متكرراً أربع مرات	١,٦	١,١
يتعرف إلى أمه لدى رؤيتها	٢,٠	١,٤
يبحث بعينيه عن مصدر الصوت	٢,٢	١,٥
يصدر صوتين مختلفين	٢,٣	١,٦
يصدر أربعة أصوات مختلفة	٧,٠	٤,٩
يقول: «بابا، بابا»	٧,٩	٥,٥
يستجيب لسماع اسمه	٩,٠	٦,٣
ينظر إلى الصور في كتاب	١٠,٠	٧,٠
يتمتم بشكل معبر	١٢,٠	٨,٤
يقلد الكلمات	١٢,٥	٨,٨
حصيلة من ثلاث كلمات «ليس من بينها بابا، ماما».	١٤,٠	٩,٨
حصيلة من أربع إلى ست كلمات بما فيها أسماء الأشخاص	١٥,٠	١٠,٥
يشير إلى أحد أجزاء الجسم عند سماع اسم هذا الجزء	١٧,٠	١١,٩
يذكر اسم الشيء «عند سؤاله: ماهذا؟»	١٧,٨	١٢,٥
ينفذ التعليمات بوضع شيء ما على المقعد	١٧,٨	١٢,٥
حصيلة لغوية من عشر كلمات	١٨,٠	١٢,٦
حصيلة لغوية من عشرين كلمة	٢١,٠	١٤,٧
يكوّن جملة من كلمتين «إلى ثلاث كلمات»	٢٤,٠	١٦,٨
يستخدم بعض الضمائر «مثل أنا - أنت»	٢٤,٠	١٦,٨
يذكر اسمه كاملاً	٣٠,٠	٢١,٠
يتعرف إلى سبعة أشياء	٣٠,٠	٢١,٠
يذكر استعمال الأشياء	٣٠,٠	٢١,٠
يعد ثلاثة أشياء	٣٦,٠	٢٥,٢
يتعرف إلى الجنسين	٣٦,٠	٢٥,٢

المعيار الوحيد ثم أصبح هناك معايير واختبارات عدة لكشف الموهوب (المبدأ ١)، كما أن وجود أكثر من مصدر كأقرباء الطفل والمعلمين والمجتمع، كلهاعناصر يمكن أن تكشف الطفل الموهوب (المبدأ ٢)، وهذا التفوق قد يظهر في سن مبكرة جداً ولذلك يجب كشفه حتى قبل المدرسة (المبدأ ٣)، وهذا لا يعني أنه يجب البحث عن الأطفال في هذه الفترة فقط، أو في فترة محددة فقط، بل في كل المراحل فنتابع الطفل قبل المدرسة وفي المدرسة وباستمرار حتى نكتشف من يظهر تفوقه في سن متأخرة (المبدأ ٤).

تعدد المعايير:

وضعت معايير كثيرة، في سنوات ما قبل المدرسة تركز على النمو الحركي والنمو المعرفي والنمو اللغوي.

يقسم النمو الحركي إلى قسمين: قسم يتعلق بنمو العضلات الكبيرة، وقسم يتعلق بنمو العضلات الصغيرة، وقد لوحظ أن الطفل الموهوب أسرع في النمو من الطفل العادي بمعدل ٢٠٪ على الأقل. فإذا فرضنا أن سن الجلوس هو سبعة أشهر تقريباً فإنه عند الطفل الموهوب أسرع بنحو الشهرين «أي يجلس في سن خمسة أشهر تقريباً».

أما النمو المعرفي والنمو اللغوي فأكثر المظاهر ارتباطاً بالتفوق، فإذا كان الطفل العادي يبتسم بعد الولادة بشهر ونصف الشهر، فإن الطفل الموهوب يبتسم بعد الولادة بشهر، وإذا كان الطفل العادي يحرك عينيه نحو مصدر الصوت في الشهرين تقريباً، فإن الطفل الموهوب يفعل ذلك حتى يكون عمره شهراً ونصف الشهر تقريباً، والطفل الموهوب أسرع في اكتساب الكلام في سن مبكرة مقارنة بالطفل العادي، كما أنه يظهر ميلاً للقراءة والكتابة بالكتب في سن صغيرة نسبياً.

وبمساعدة الجداول السابقة يمكن اكتشاف الطفل الموهوب: ويلاحظ أن الفارق في معدل النمو بين الطفل العادي والطفل الموهوب قليل في السن الصغيرة، ولكن هذا الفارق يزداد مع التقدم في العمر ●

المصادر:

١ - الأطفال هذه الأمانة الكبرى - تأليف: مجموعة من المؤلفين - منشورات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية الكويتية - ١٩٩٣م.
٢ - توجيه الطفل المتفوق عقلياً - تأليف: جيمس ت. ويب وآخرون - ترجمة: بشرى حديد - منشورات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية - الكويت - ١٩٨٥م.
٣ - الطفل بين الصحة النفسية والإبداع - تأليف: مجموعة من المؤلفين - ترجمة: محمد الدنيا - منشورات دار الحقائق - سورية ١٩٨٩م.
٤ - سلوك الطفل - تأليف: د. فرانسيس ل. ايلغ - ترجمة: د. فاخر عاقل - منشورات دار طلاس - سوريا - ١٩٩٢م.
٥ - مجلة عالم الفكر - المجلد السابع - العدد الثالث - سيد خيري ١٩٧٦م.

شعر: محمود محمد إبراهيم أحمد

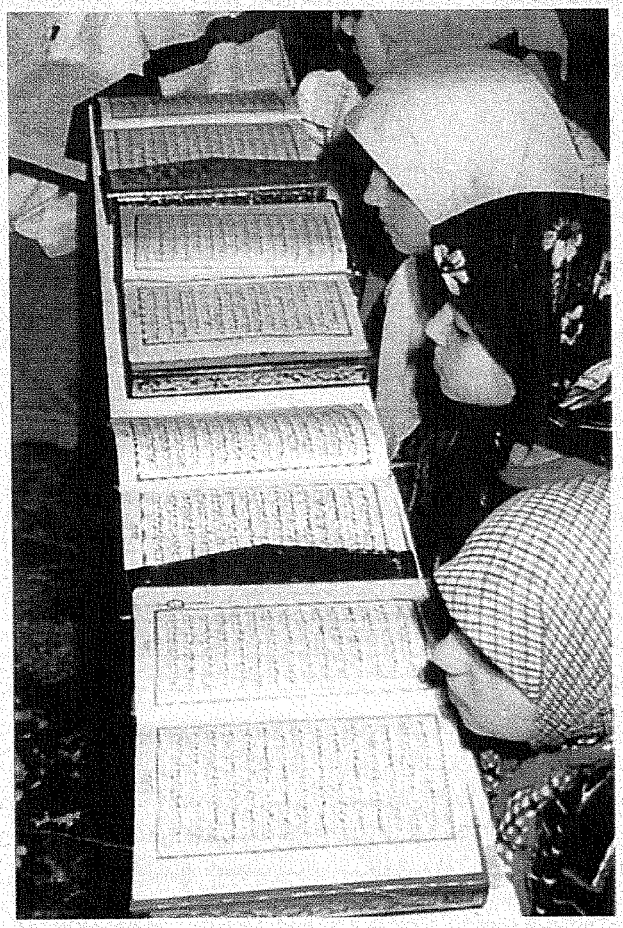

إلى الفتاة المسلمة

إلى كل فتاة أو امرأة مسلمة تؤمن بالله ورسوله، ممن غرَّتهن الدعوات إلى نبذ الأخلاق والفضيلة، إنهادعوة للعودة الحميدة.

يا فتاة الإسلام أنت ذكيَّة
ارفعي هامة وكوني أبيَّة
واشمخي للعلا وفوقي الثريا
وتعالي فوقَ العروض الدنية
وافطني للعدا جميعاً وردِّي
كيدهم في نحورهم بالسوية
يا فتاة الإسلام لا تتغابي
لا تنامي عن المعالي السنية
اسمعي ناصحاً وفياً أميناً
يتمنى ألا تكوني الضحية
واحذري طارداً يريدك صيداً
ليروِّي أطماعه القنفذية
واحذري داعياً يزين سوءاً
لاتكوني غريرة أو غبية
يتشهاك أن تكوني متاعاً
في زوايا الأهواءِ عند العشية
يتمناك أن تكوني رداءً
كاسياً عارياً يثير الشهية
يتمناك أن تدوسي بحزم
ما تبقى من المعاني الأبية
أو تكوني كدمية قد أُعدت
ليراها النُظَّار مثل البغية
يتمناك أن تسيري كما كانت
تمر الإماء في الجاهلية

●●●

فلماذا النقاب يفرض فرضاً؟
ولماذا يبغونها عنصرية؟
منظر يرهب النفوس ويخفي
كل دعوى تقضُّ أمن البرية

ولماذا ترضين بالغُل قسراً؟
حطمي القيد بالأكف القوية
نحن في هذه العصور كسرنا
حاجز الصوت والسدود العصية
حرة أنت في اختيار صديق
لاتكوني سجينة الزوجية
لاتكوني كالعبد تحت يديه
ذاك عصر الحريم والرجعية
إن يكن ذلك الرويجل حراً
أنت أحرى بهذه الحرية
خلق الناس كي يعيشوا جميعاً
وينالوا تلك الحقوق سوية
أنت مثل الرجال في كل شيء
لايزيدون عنك أدنى مزية
أفلم تسمعي بمن كان قبلا
عن نساء وُصفن بالعبقرية
كليوبترا في غابر الدهر كانت
زهرة العين في العصور الخلية
أو ببلقيس ذات عرش عظيم
بلغت ذروة السنام العلية

●●●

وقريباً سمعت عن بنت نهرو
وسواها ممن ملكن الرعية
اخرجي للحياة واستقبليها
بعيون ترى الحياة هدية
فنداء الحياة يدعوك هيا
لاتكوني هيابة يا بُنية
اركبي موجة الحياة وطيري
وارفلي حرة كباقي البرية

●●●

حاذري هذه الدعاوى فتاتي
أنت بنت الإسلام نعم الهوية
فلدين الإسلام أغلى وأسمى
من دعاوى الإلحاد والهمجية
لا يهيبنك أن لقيت صدوداً
من عيون وأنفس دونية
فالكثيرون من أراذل عصري
لايريدون ذي الحياة النقية
إنما أنت فلذة من فؤادي
لست شيئاً معطلاً أو بلية
علّمي الناس أن دورك حي
أنت في الكون شعلة قدسية
أيقظي نُوَّماً وقودي شعوباً
يا بنة المجد في العصور الغبية
فابذري البذر واحرسيه لينمو
ثم يحمي تلك الثغور القصية
واجعليهم سداً منيعاً إذا ما
دهمتنا حضارة بربرية
انظري مجد أمهاتك قبلاً
لاتكوني عما بلغن عمية
كن حقاً بمفرق الدهر تاجاً
فاق حسن الكواكب الدرّية
جدّدي الخطو في طريق المعالي
لا تحيدي عن السبيل السّوية
ثم قرّي في الدار من غير قيد
أنت فيه مليكة مرضية
لا تصيخي لأي داع غرور
لاتبالي بمن يثير القضية
إنما أنت كوكب يتراءى
بددي هذه الدياجي العتية
أنت في موقع القيادة حقاً
فخذي للهدى يد البشرية
فأبوك الإسلام يرجوك شمساً
في سماء الوجود كوني حفية
لاتبالي بمن يؤزك أزاً
للمعاصي ولا تكوني الشقية
إن تكوني تخشين ربك حقاً
فأطيعيه واعملي بالوصية
إن هذي الأخلاق لو شئت جاءت
في ثنايا التنزيل يا لوذعية

بقلم: علي محمد محاسنة

عصافير وأنياب

اقترب على مهل من الدب فانتصب شعر رأسه كأشواك القنفذ... بدا الدب قائماً فاغراً فاه، وقد برزت مخالبه ولسانه الأحمر، وعيناه تقدحان بالشرر.

في صدر الطفل «جانو» كذلك... نار تتأجج كالأتون، أعصابه تحترق وفي كل ذرة من جسده ألم... تقدم وانقضَّ على الدب فسحقه، ولم يكن الدب الصغير اللعبة ليتحمل كل هذا الإعصار الغاضب... هدأت ثورة الطفل وأحسَّ ببعض البرودة تسري في جسده.... لكن سرعان ما استعاد الدبُّ هيئته الأولى كما لو أن الحياة دبَّت فيه من جديد ليطارد «جانو»... ويتراجع «جانو» خائفاً ليلتصق ظهره بجدار حجرته... وبغدها يهرع إلى مربيته «سكينة» باحثاً عن ملجأ آمن في أحضانها... وهكذا.

أمُّ «جانو» تخرج إلى عملها باكراً كل يوم وتعود في وقت متأخر مساء... وهنا تتصرف المربية لترضع طفلها في حجرتها الملاصقة لحجرة «جانو»، وإذا طلب «جانو» شيئاً فغالباً تتجاهله وربما زجرته... وعندها يرنو ببصره إلى الجدار العالي الذي عُلِّقت عليه صورة لأنثى كنغر ووليدها يطل مطمئناً من جراب بطنها، وقد برز لسانه الصغير من بين شفتيه وأخرج إحدى يديه كمن يهزأ بالصغير «جانو» مستثيراً فيه الغيرة إزاء هذا النعيم الذي يحياه في جراب أمه، فيثور «جانو» ويجهد محاولاً الوصول إلى الصورة ليمزقها... لكنها للأسف بعيدة عن متناول يده... مثلما كانت أمه بعيدة عنه... وكلما حاول الصعود على طاولة للوصول إلى الصورة... اختل توازنه فوقها فسقط على الأرض... ليبكي بحرقة... وتجيء «سكينة» من الغرفة الأخرى تأخذه بين ذراعيها وتعطيه بعض الحلوى وتلاعبه قليلاً، لكنه لا يكفُّ عن البكاء... فأله في العمق.

وأخيراً تتركه سكينة وحيداً فينام على الأرض... وعندما ينهض تظهر على وجهه الشاحب بقع من الرطوبة الأرضية... ولا يجدها بجانبه... يجتاحه خوف غريب... خوف من وحدته فلا أحد بجانبه... لا أحد إطلاقاً.

كان الصغير بكل نقاء وبراءة يدرك أنه يفتقد شيئاً ما... له قلب صغير ملؤه الشوق للحياة... لكن مسحة حزينة تغلف وجوده... فهو سجين وحدته وكأنَّ هناك من يُمسك بخناقه... لم يكن يفهم حقيقة شعوره هذا ولا يملك مقاومته... فيبكي بحرقة ويكسو الشحوب وجهه الصغير.

ويجول بصره في الزاوية فيرى شجيرتين متجاورتين وإبريق ماء قرب الصنبور وكرة بجانبها مضرب وكلها تبدو متآلفة جميلة... لكن «جانو» يقف جانباً وحده غريباً بلا أنيس فيتساءل في نفسه... أتكون إحدى النبتتين أماً للأخرى، والصنبور أمَّ الإبريق... وهل الطاولة هي أمُّ الكرسي والمضرب أمَّ الكرة...؟؟ لابد من أمٍّ لكل شيء... فلماذا هو بالذات يبقى ولا أمَّ له...؟ وأين أمه؟

هنا لا توجد أم!.. الأمهات يذهبن إلى أعمالهن ومربيات الأطفال بكل بساطة يذهبن إلى بيوتهن بعد أن ينال كل طفل مثل «جانو» منهن نصيبه من الضرب... إذاً من يلعب مع الأطفال...؟ من يكون أمّاً لهم...؟ ولماذا «جانو» يظل وحيداً... وحيداً...؟

تاه الصغير في هذا وصارت الأصابع الغضة دائمة التشنج والتوتر... بينما ظلَّتْ صرخات بكائه تتلاشى في الفراغ الموحش وتنهداته تهمس في أذنيه اللتين صارتا تسمعان أيضاً دقات قلبه الصغير المتعب.

استبد به الإحساس بالوحدة الموحشة فكأن يد جبار تمسك بخناقه أو دوامةً عاتيةً من دخان تلفه فهو يستجدي نسمة هواء يتنفسها... وتعاظم شعوره بالخوف فراح يبحث عن مخبأ مأمون لا يخاف فيه... ولكن أين؟

في لحظة خوف وقع بصره على الدرج المؤدي إلى سطح العمارة... وعلى جانبيه صفَّان من الدرابزين كذراعي إنسان تتهيآن لاحتضانه... صعد على الدرج إلى سطح العمارة... وهناك وجد الارتياح... شعور بانفتاح المكان ونسمات عليلة تهب من حوله... فتعبث بخصلات شعره باعثة في كل كيانه إحساساً لذيذاً بالغبطة والأمان... فكأنما كانت تهدهده لينعم ببعض السكينة فيتساءل...

تُرى أتكون تلك النسمات هي أمة فتفعل ذلك؟ لكن لماذا لا يراها بعينيه...؟ فيناديها: «ماما... تعالي إليَّ... ماما أنا خائف... ماما... أريد أن أراك بعينيَّ... ماما تعالي».

لكن مناداته لأمه على حرارتها لم تترك في الهواء البارد حوله أي أثر... فعاوده الحزن وارتدَّت إليه نظراته حزينة كاسفة... وعندما وقع بصره على الأرضية رأى ظلاً كبيراً وكان ظله، لكنه أكبر منه ولاحظ أن ظله كان يلازمه... وأنه أينما اتجه يتبعه ظله... وبدأ يعتقد أنه لم يعد وحيداً... فهنا هو مع نفسه، بل يرى ذلك بعينيه... وربما كانت نفسه أيضاً تنظر إليه... وأنه يُمسك بها.. ويرجو أن تبقى معه ولا تتركه لتذهب إلى العمل مثل ما تفعل أمّه... وخطا إلى الأمام محاولاً بقبضته الصغيرة القبض على ظله... لم يُفلح... عاوده الحزن من جديد. صرخ في الفراغ الموحش... ماما... ماما... تعالى... تعالي... وإلا خاصمتك... ماما... تعالي.

أشاح بوجهه وارتدَّ إلى الخلف كمن يتدلل وكأن هناك من يحاول التودد إليه أو استرضاءه... والتفت يبحث عن مثل ذلك فلم يجد غير ظله الذي يلازمه... وعندما توقف «جانو» توقف معه ظله كذلك... أحسَّ الطفل ببعض السعادة إذ وجد كائناً ما يهتم به ويرعاه وراقت له هذه اللعبة فراح يلاعب ظله... حاول معاكسته فجرى يميناً.. وجرى شمالاً... لكن ظله أبداً يلازمه والألم والغضب لا يتركانه طويلاً.

اقترب من الدرابزين المحيط بسطح العمارة حيث تُطلُّ عليه شجرة ضخمة تلقي على السطح ظلها الوارف وبعض البرودة... وهنا لاحظ أن ظله قد اختفى في ظل الشجرة... فأحسَّ بالخوف من جديد... تسارعت دقات القلب الصغير وانبعثت تمتمة حزينة متوجِّعة، وفي هذه اللحظة شدَّ انتباهه وجود مدخنة منتصبة على السطح... اقترب منها فلاحظ في ثناياها عشاً تنبعث في داخله زقزقات عصفور صغير... فرح «جانو» لهذا الصغير الذي يماثله... وراح يقارن حاله بحال العصفور... ويتعجب حزيناً... لماذا هو أيضاً وحيد وحزين مثلي؟!.

قرر الصغير أن يتخذ من العصفور رفيقاً يلعب معه... فتراءى له أن كلاً منهما سيحبُّ الآخر، فيلعبان معاً ويعيشان معاً يتقاسمان آلام الوحدة، فلا يبرحان المكان، يُراعي كل منهما رفيقه.. بدأ قلبه الصغير يخفق حبوراً... وامتدت يده الصغيرة صوب العصفور الصغير في العُش... وفجأة برز كالسهم رأس أفعى من جدار المدخنة ولدغ اليد الصغيرة، صرخ «جانو» من الألم...وكانت صرخته الأخيرة ●

بقلم: محمود النجيري

تعزيز المشاركة بين البيت والمدرسة

في بلادنا تنخفض مشاركة الآباء في النشاط المدرسي انخفاضاً واضحاً، وقد تكون منعدمة في بعض المناطق تماماً، وقليل من الآباء يشارك في صنع القرار المدرسي، ويوجه مجتمع المدرسة وأنشطته الوجهة المطلوبة، ويرجع هذا إلى ضعف إيمان الآباء بقدرتهم على المشاركة داخل المبنى المدرسي، وافتقاد جو المشاركة وروح التعاون داخل الإدارة المدرسية. إذ لايزال كثير من المديرين في مدارسنا يرون رغبة الآباء في التعاون مع المدرسة منافسة لعملهم، تعوق سير العملية التعليمية، ولايزال مجتمعنا يضرب على المدرسة أسواراً حديدية عالية، تعزلها عن محيطها الخارجي، وتقيدها بحرفيات «بيداجوجيه» جامدة. ولاشك أن مشاركة الآباء مع المدرسين تحسن تحصيل الطلاب، وتستغل قوة المجتمع كلها في صالح الأبناء، ولا توجد طريقة وحيدة مثلى لمشاركة الآباء، ولكن الأفضل إشراكهم في مجموعة متنوعة من الأدوار خلال فترة زمنية محدودة، وليس المهم شكل المشاركة، ولكن تخطيطها الجيد، ومعقوليتها، وشمولها، واستمرارها، وذلك مثل مشاركة الآباء كمعلمين بالبيت، وتعزيزهم لتعلم أطفالهم في المدرسة، وإحاطتهم علماً بمدى تقدم أطفالهم في الدراسة. وإذا سلَّم المعلمون والآباء بأهمية الآباء في البرامج المدرسية، ولم يجبروا الآباء على المشاركة، أو يمنعونهم منها، فهنا يشارك الآباء بفاعلية، وبخاصة إذا أحسّوا بالنفع الذي يعود على أطفالهم، وبأنهم يقدمون عملاً مفهوماً وممتعاً وممكناً نجاحه.

وتتعدد فوائد التعاون بين الآباء والمربين في برامج المشاركة، منها تقليل الانعزال بين أدوار المعلمين والآباء، فهذا التعاون يعرف الآباء أن المعلمين يشاركونهم الاهتمام بأطفالهم، وكذلك يعرِّف المعلمين أن الآباء يقدِّرون أدوارهم، مما يبعث الارتياح والطمأنينة في نفوس الجميع، كما يزيد التعاون والمصادر المغذية للمدارس والآباء، فمثلاً قد يسهم الآباء كمتطوعين في الفصول، أو بأجر، كما يمكن أن تساعد خبرتهم في تصميم ملعب أو بناء مبنى أو معمل كمبيوتر وقد تزود المدرسة الآباء ببرامج تعليمية ومهارات جديدة تساعدهم على تقديم الخدمات لأبنائهم ومجتمعاتهم.

وتتعدد أنماط علاقات التعاون بين البيت والمدرسة، وهي نماذج تهدف إلى اشتراك الآباء في دعم الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها. وقد أثبتت أنها ذات فاعلية في زيادة معدلات نجاح التلاميذ في المدرسة.

ويعد نموذج المشاركة بين البيت والمدرسة أفضل الأنماط في هذا الجانب، إذ يهدف إلى أن يعمل الآباء والمربون معاً لتحقيق نجاح الأطفال في المدرسة. وهنا سببان يدعوان إلى الأخذ به، أولهما ما لهذا النموذج من تأثيرات إيجابية اتضحت في الارتقاء بالمدارس، وزيادة عدد الناجحين من التلاميذ، والثاني يتعلق بالحاجة إلى معالجة القيم التي يتم تعزيزها من خلال المدارس، وعناصر هذا النموذج هي خلق نظام اتصال ثنائي الاتجاه، وتحسين التعليم في كل من البيت والمدرسة، وتوافر الدعم المتبادل بين البيت والمدرسة، والتعاون في صنع القرارات. ولتعزيز المشاركة بين البيت والمدرسة، نقترح ما يلي:

١ ـ تقوم علاقات المدرسة على التعاون والحوار، والعمل الجماعي المنظَّم، والشورى في اتخاذ القرار المدرسي، ومشاركة أولياء الأمور في ذلك.

٢ ـ أن يتيح البرنامج المدرسي للآباء فرصاً محددة للمشاركة في التدريس لأبنائهم داخل الفصول فيما يتمكنون منه، وأن يُدلي الآباء بدلوهم في علاج مشكلات الطلاب، وتسيير العملية التعليمية يومياً، والقيام بالأنشطة المدرسية، والربط بين المدرسة والمجتمع المحيط بها.

٣ ـ هناك كثير من المناسبات الدينية التي يمكن تعزيز مشاركة الآباء من خلالها داخل أسوار المدرسة، مثل الاحتفال بالمولد النبوي، وذكرى الإسراء والمعراج، ورأس السنة الهجرية.

٤ ـ يمكن أن يشارك الآباء بإهداء المدرسة أجهزة كمبيوتر قديمة التي يستغنون عنها، وكذلك الكتب والمراجع، وكذلك الآلات والمعدات التي تستفيد منها المدرسة في تدريب الطلاب على الحِرف والعمل اليدوي.

٥ ـ تحديد الأدوار التي يمكن أن يقوم بها الآباء داخل المدرسة من قبل الإدارة التربوية والمدرسين والآباء معاً، حتى يعرف الآباء المتوقع منهم، وكيفية المشاركة الجيدة التي تجنبهم الحيرة والإخفاق والانسحاب، وحتى تسود ثقافة مدرسية تعزز مشاركة الآباء وتعاونهم في نجاح أهداف المدرسة ●

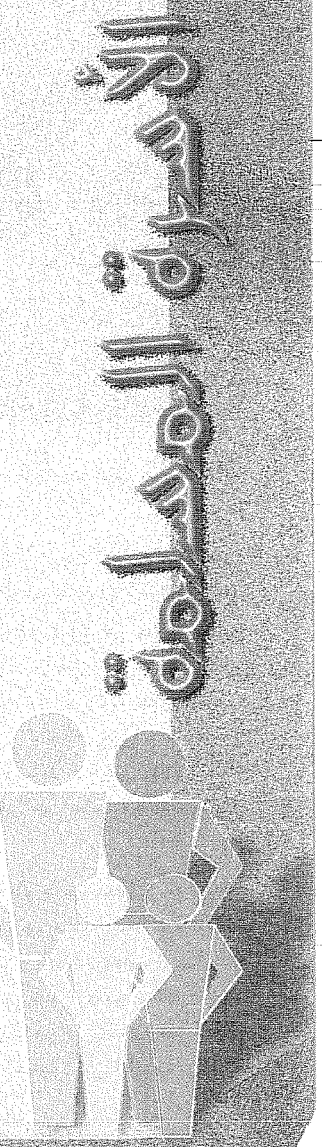

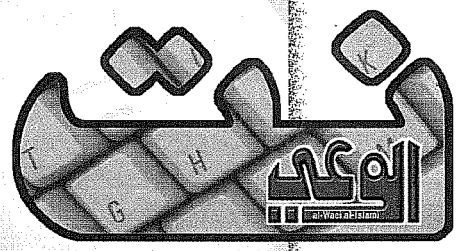

كيف تتخلص من الملفات غير المفيدة؟

إعداد : تمام أحمد

إذا كنت تعاني من نقص في مساحة القرص الصلب لجهازك، لسبب أو لآخر فإنك بالتأكيد ترغب في الحصول على مساحة أكبر. والسبب الرئيس في حدوث نقص في المساحة المتاحة للاستخدام هو وجود الكثير من الملفات المخزّنة بالذاكرة التي قد لا تكون بالضرورة مفيدة لعدم استخدامك لها، أو أنها مخزنة في أماكن عدة متفرقة في الوقت نفسه، أو أنها تكون ذات حجم كبير جداً، في حين أنك لا تعلم عنها شيئاً.

إذاً ما الحل؟ الحل بالطبع هو التخلص من كل تلك الملفات غير المفيدة، وإلغاؤها من الذاكرة، ولكن تلك العملية قد تتطلب وقتاً طويلاً ومجهوداً شخصياً خصوصاً إذا كنت تجهل ما تحتويه هذه الملفات، وللتغلب على صعوبة تلك المشكلة، وتقليل الوقت والجهد اللازم للقيام بها، يمكننا استخدام برنامج خاص للقيام بهذه العملية، وهو برنامج يحمل اسم More Space. حيث يقوم هذا البرنامج بعملية البحث في الملفات المخزّنة بالجهاز في محاولة لإيجاد تلك الملفات المكررة، وتلك الملفات ذات الحجم الكبير والتي تكون أكبر من حجم معين نقوم نحن بتحديده، كما يمكننا البحث عن الملفات الصغيرة التي يقل حجمها عن حجم معين أيضاً، بالإضافة لذلك فإنه يمكننا البحث عن الملفات بحسب تاريخ إنشائها أو بحسب آخر يوم تم تغييرها فيه، ومن ثمَّ يمكن إلغاء أي منها، أو حتى ضغطها لتوافر مساحة أكبر في أثناء التخزين، ويمكن الحصول على البرنامج من خلال الإنترنت من موقع: www. pcworld. com حيث يجب كتابة اسم البرنامج More Space في مستطيل البحث الموجود بأقصى الصفحة من اليسار، ومن ثمَّ تحديد جزء البحث Downloads في المستطيل التالي، فتقوم أولاً بعملية تحميل البرنامج نفسه من الموقع، ومن ثمَّ القيام بعملية تثبيته في جهازك، وعند الانتهاء منها فإن الشاشة الرئيسة للبرنامج.

من خلال الشاشة الرئيسة للبرنامج يمكن القيام بكل عمليات البحث التي ذكرتها من قبل، كما أن للبرنامج ميزة جيدة جداً وهي الاحتفاظ بنسخة احتياطية من الملفات كلها تحسباً لقيام المستخدم بإلغاء ملف عن طريق الخطأ، ليتمكن بذلك من إعادة تخزين ما تم إلغاؤه. وللبدء باستخدام البرنامج فإن المستخدم مجبر على الاحتفاظ بنسخة احتياطية أولاً عن طريق الضغط على الزر الذي يحمل اسم Build Safe Harbor ولمعرفة خواص القرص الصلب لديك في جهازك، فإنه بإمكانك معرفة ذلك من خلال اختيار القسم الإحصاءات بالضغط على زر Statistics، وذلك للتعرف إلى مساحة القرص الصلب.

البرنامج متوفر على الإنترنت بنسخته المجانية ٣,٣ التي تعرض الكثير من الإعلانات، كما أنه باستطاعتك التخلص من هذه الإعلانات عن طريق تسجيل البرنامج ودفع رسم قدره ٢٠ دولاراً أميركياً. حجم ملف التثبيت الخاص بالبرنامج: ١٢٦٣ كيلوبايت.

متوافق مع أنظمة تشغيل «ويندوزNT و٩٥ و٩٨» ●

مواقع مهمة في شبكة الإنترنت

● الإسلام... سؤال وجواب ●

216.205.122.233/ index.php?in = ara

موقع يهدف إلى تقديم الإجابات الموثّقة والصحيحة عن الأسئلة المتعلقة بالإسلام والإشراف عليها من قبل الشيخ محمد صالح المنجد. ويرحب الموقع بالأسئلة في الجوانب المختلفة سواء ما يتعلق منها بالعقيدة أو العبادة أو المعاملات أو القضايا الاجتماعية. ويعد الموقع من المواقع الإسلامية القائمة على العقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصالح إن شاء الله. ويتجرى الدليل من الكتاب والسنّة وأقوال العلماء وأصحاب المذاهب الأربعة، إضافة إلى فتاوى العلماء الثقات المعاصرين، وفتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

ويتميز الموقع بتصنيفاته الموضوعية وتعريفاته الشجرية لاستيعاب شتى الموضوعات مع ذكر مصدر الفتوى وإمكانات طباعتها.

● موقع المنح الدراسية الأميركية ●

http://www.fastweb.com/

إذا كنت تبحث عن منحة دراسية في الولايات المتحدة الأميركية فما عليك إلا زيارة هذا الموقع، فهو يعرض جميع المنح الدراسية وشروط الحصول على أحدها أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ منحة دراسية متوافرة في جميع الاختصاصات.

موقع وندوز التعليمي

htt://www. speedguide.net/

يقدم هذا الموقع المعلومات التقنية الكاملة لبرنامج التشغيل الكمبيوترات المسمى وندوز شرح دقيق ومفصّل للوندوز وطريقة عمله مع لائحة طويلة بالنصائح والحلول للمشكلات التي قد تطرأ في أثناء استخدام الكمبيوتر. فيه وصلات كثيرة لمواقع مشابهة مع وصلة للندوة الدائمة للحوار حول برنامج وندوز تتم فيها تبادل الآراء والمعلومات ●

إعداد : عبدالمنعم أحمد

الإنترنت والأطفال... التوجيه خير من الرقابة

كشفت الأرقام التي قدمتها شركة «ايبسوس» في إحدى إحصاءاتها داخل فرنسا، أن ٦٢٪ من الآباء تشغل بالهم طريقة استعمال أبنائهم للإنترنت، فيما قال ٧٤٪ منهم أنهم يتنبهون إلى المواقع التي يطلع عليها أطفالهم، ولابد من القول: إن مشاعر الخوف والقلق هذه تبقى مشروعة في ظل طبيعة بعض المواقع التي تتضمنها الشبكة العالمية. فالمواقع الخلاعية والمواقع المحرّضة على العنف والحقد العنصري تجعل من "الانترنت متحفاً للفظائع، وتعد المواقع جنسية أكثر ما يرعب ٧٧٪ من الآباء.

إذ يخشون على أطفالهم منها أكثر من المواقع «الأيديولوجية» ٤٦٪ فقط، في حين عبَّر ٣٨٪ من الآباء عن خوفهم من الألعاب العنيفة مقابل ٢٦٪ يخشون على فلذات أكبادهم من ألعاب القمار.

أما ما يخص الاستعمالات الخطيرة للإنترنت من قبل المراهقين، فقد كشفت دراسة أعدتها شركة «نت فاليو» أن ٤٪ من زائري المواقع الجنسية تقل أعمارهم عن ١٤ عاماً، ويقضون عليها ما معدله ٢٦ دقيقة في الشهر.

ووعياً منها بهذه المشاكل، تحاول الشركات المعنية تقديم طريقة للتحكم في استعمال الصغار واليافعين للإنترنت، وهكذا وفَّرت شركة AOL لمشتركيها، والذين تعدادهم ٩٠٠ ألف في فرنسا، أداة لضبط استعمال الأطفال دون سن ١٢ عاماً للشبكة، فأصبح بإمكان الآباء مراقبة بعض المواقع، والرسائل الإلكترونية، أو تقييد الوصول إليها وفق طريقة تحددها الشركة ويمكن تكييفها حسب المتطلبات الشخصية لكل مشترك.

وتسمح شركة AOL للأطفال بتصفح ٧٠٠ موقع تم انتقاؤها مسبقاً، فيما تفتح كل المواقع في وجه المراهقين باستثناء تلك التي تتناول موضوع العنف أو الجنس أو المخدرات.

وتتنافس الشركات الأخرى على تقديم طرق أكثر فاعلية في فرض رقابة على مستعملي الإنترنت من الأطفال والمراهقين، إلا أن البرامج الخاصة بفرض رقابة على لائحة المواقع غير المرغوبة التي يتم تحديثها بشكل يومي تبقى هي الحل الذي يحظى بتأييد الآباء رغم أن مجال اختصاصها ينحصر في العناوين التي تنتهي بـ.Com كما أنها لا تكتفي بتقييد الاطلاع على المواقع غير المرغوبة، بل تجاوزها إلى معظم المواقع الخاصة بالدفاع عن حقوق الإنسان وبخاصة موقع منظمة العفو الدولية، كما ورد في تحقيق أجرته الجمعية الأميركية PEACEFIRE التي تناضل من أجل حرية التعبير وضد الرقابة المفروضة على من هم دون سن ١٨ عاماً.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من يرى أن هذه الرقابة عديمة الجدوى، ويدعو إلى الاكتفاء بتوجيه الطفل لأن بإمكانه الاطلاع على ما يريد في مقاهي الإنترنت المنتشرة هنا وهناك، إذا فُرضت عليه الرقابة داخل البيت ●

لوفيغارو

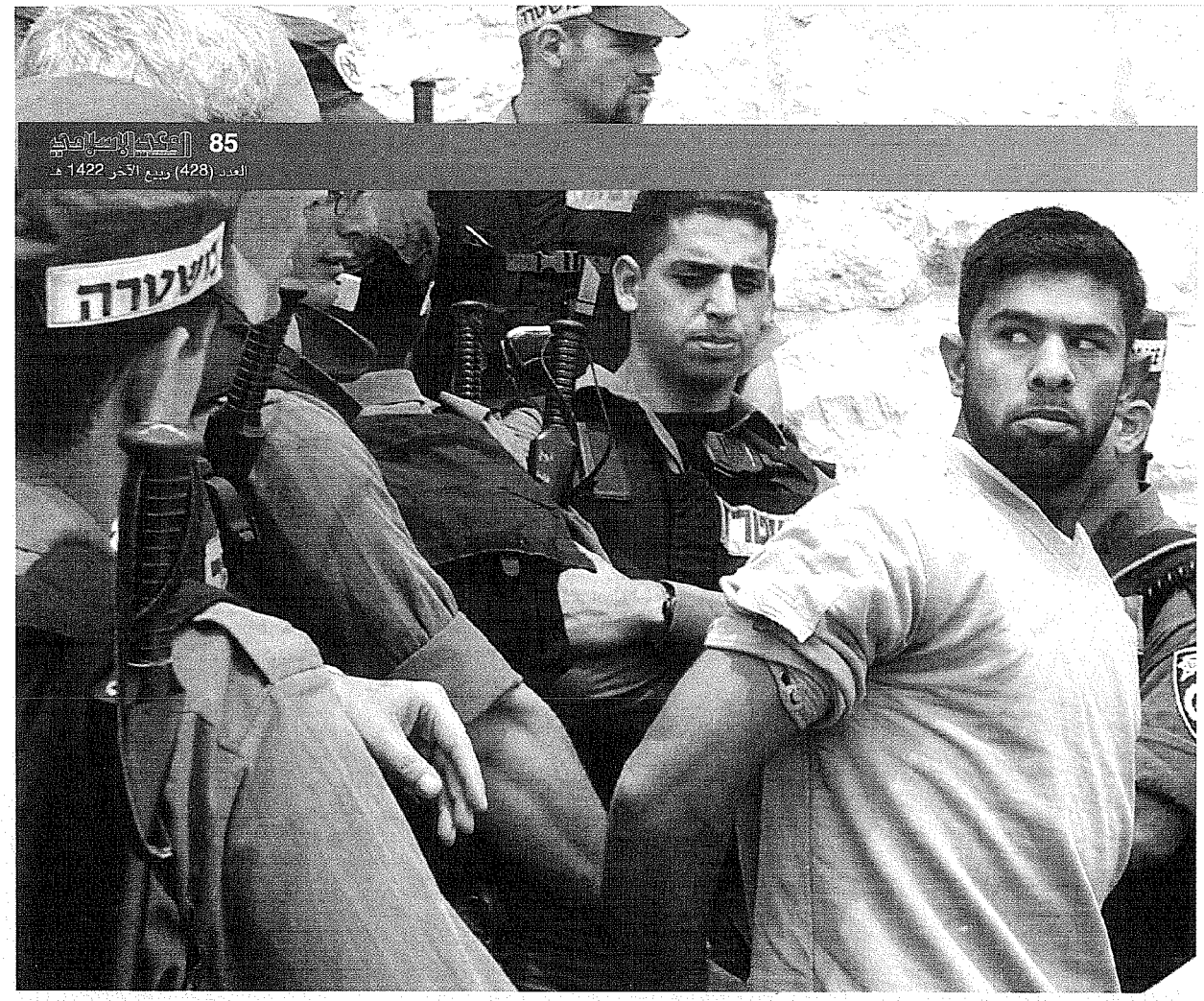

من يكبح الإرهاب الإسرائيلي؟

إنه لأمر غريب أن تجد الحرب تزحف إليك، ففي البدء تسمع التحذيرات ثم تنهمر القذائف وعمليات إطلاق النار وقذائف الدبابات ثم الصواريخ... هكذا كان الوضع في لبنان، والآن هذا ما يحدث في فلسطين.

لا أحد يطلق على ما يحدث أنه حرب الطبع... فالأميركيون يتجاهلون الأمر والإسرائيليون يطلقون عليه «عنف إرهابي» ويتحدثون عن الإرهاب العربي وليس إرهابهم هم، ويواصل المسؤولون الأميركيون الإدلاء بالتصريحات حول مفاوضات «السلام» ولكن الذي يحدث بين الإسرائيليين والفلسطينيين الآن هو حرب أهلية، إنه صراع كبير يتصاعد بين شعبين حول أرض واحدة.

فالانتقال بسيارتك من القدس إلى رام الله يشبه إلى حد كبير الانتقال من بيروت إلى صيدا قبل ٢٥ عاماً.

وإذا نظرت إلى المباني في مدن رام الله والبيرة وبيت ساحور بعد أن تعرضت للدمار جراء القصف المدفعي والجوي الإسرائيلي، فإنك تتذكر على الفور المشاهد المشابهة التي كنت تراها في بيروت في أثناء الحرب الأهلية.

وإذا مررت بالمستوطنات اليهودية المجاورة يمكنك أن ترى المدنيين اليهود المدججين بالسلاح وإلى جانبهم الجنود وحرس الحدود والدبابات المجنزرة. ويقفز إلى ذهنك السؤال: «إذا كان عرفات يتلقى المحاضرات من جورج بوش بضرورة «ضبط العنف» الفلسطيني فمن يكبح العنف الإسرائيلي؟ وما أشبه اليوم بالبارحة، ففي الحرب الأهلية اللبنانية أخذ الجميع يلقي باللوم على الآخر ويضفي عليه صفات الشياطين، واليوم يدعو صدام حسين الله أن «يدمر اليهود» ويسأل الحاخام «عوفاديا يوسف»، الله أن «يزيل العرب عن وجه الأرض».

لقد بدأ الإسرائيليون توجيه نيران أسلحتهم إلى مراكز الشرطة وأجهزة الأمن الفلسطينية في رام الله، ثم خاضوا معركة حامية مع أفراد القوة ١٧ الفلسطينية ثم أطلقوا نيرانهم باتجاه مدرسة للبنات.

ويرد الفلسطينيون بإطلاق قذائف المورتر باتجاه المستوطنات والرصاص على المستوطنين إنها حرب لا هوادة ولا حدود فيها وتطال الجميع دون حرمة للمدنيين والأطفال وقد صعد الإسرائيليون من حربهم من خلال إطلاق يد فرق الاغتيال، كما فعلت في أثناء الحرب اللبنانية.

ولكن هناك فروقاً كثيرة بين ما كان يحدث في لبنان وما يحدث الآن في فلسطين، فالمعركة الآن غير متكافئة وتتمادى إسرائيل في عمليات القتل ضد خصم لا يجاريها في ذلك. والجيش الإسرائيلي والمستوطنون هم المعتدون والفلسطينيون هم المعتدى عليهم، لأن إسرائيل هي التي تحتل الأرض الفلسطينية، بينما لا يحتل الفلسطينيون أراضي إسرائيلية ●

انديندبنت

إعداد : أحمد عبدالجبار

تربية وقيم

من هدي كتاب الله

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون. أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون. أو أَمِنَ أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون. أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون).

الأعراف: ٩٦ ـ ٩٨.

من هدي رسول الله ﷺ

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: «البر حُسن الخُلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»

رواه مسلم والترمذي.

طرفة

دخل أبودلامة على المهدي وعنده جماعة من أصدقائه فقال له المهدي: إذا لم تهج واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك أو لأضربن عنقك. فنظر إليه القوم وكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأنه سيرضيه قال أبودلامة فعلمت أني قد وقعت واحترت ماذا أفعل، وعندئذ لم أر أحداً أحق بالهجاء منِّي ولا أدعى للسلامة ـ من هجاء نفسي فقلت:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة ... فلست من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قرداً ... وخنزيراً إذا وضع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤماً ... كذلك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا ... فلا تفرح فقد دنت القيامة

جالس الكبراء

أوصى ملك ولده فقال: يا بني خصلتان يسود بهما المرء، وإن كان غير ذي مال، العلم والأدب، يا بني جالس الكبراء، وناظر العلماء، فإن مواخاتهم كريمة، ومجالستهم غنيمة، وطبائعهم سليمة.

أين السعادة؟

إن السعادة التي ينشدها الناس جميعاً إنما هي في داخلهم في نفوسهم وليس في الخارج، ليس في الجاه، والمال والسلطان، إنها في القناعة والرضا.

الدهر يومان

قال الإمام الشافعي:

الدهر يومان ذا أمن وذا خطر ... والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قاعه الدرر

وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر

حماقة

نظر مغفل إلى منارة، فقال لصاحبه: ما أطول قامة الذين بنوا هذه المنارة! فقال صاحبه: يا أحمق، إنما بنوها على الأرض لم أقاموها!

عجبت لمن يصاب بأربع كيف يغفل عن أربع

عجبت لمن ابتلي بالخوف

كيف يغفل عن قول الله تعالى: (حسبنا الله ونعم الوكيل).

- عجبت لمن ابتلي بمكر الناس به

كيف يغفل عن قول الله تعالى: (وأفوِّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد).

- عجبت لمن ابتلي بالضر

كيف يغفل عن قول الله تعالى: (رب إني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين).

- عجبت لمن ابتلي بالغم

كيف يغفل عن قول الله تعالى: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

نجونا ورب الكعبة

قال إعرابي لابن عباس: من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: يحاسبهم الله تعالى. قال: نجونا ورب الكعبة. فقال: كيف؟ قال: إن الكريم إذا قدر غفر.

خير النساء

قيل للسيدة عائشة - رضي الله عنها - أي النساء أفضل؟ فقالت: التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، والإبقاء في الصيانة على أهلها.

موافقة

خطب رجل من بني أسد امرأة قبيحة، فقيل لها: إنه قبيح وقد تعمم لك، فقالت: إن كان قد تعمم لنا فإنا قد تبرَّقنا له!.

الخير في ثلاث خصال

قال الإمام علي رضي الله عنه: الخير كله في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو غفلة، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره عبراً وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً وبكى على خطيئته وأمن الناس شره.

المروءة

قيل لأبي هريرة رضي الله عنه ما المروءة؟ فقال: تقوى الله، وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالأفنية. وقال الأحنف بن قيس المروءة العفة والحرفة. وقال محمد بن عمران المروءة أنها لا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلن. وقال آخر: إنها طهارة البدن والفعل الحسن.

من كنوز اللغة العربية

تقول العرب في تقسيم قطع الأطراف:

قصَّ جناح الطائر، حذف زنب الفرس، قدَّ ريش السهم، قلَّم الظفر، قط القلم، عصف الزرع، خرم الأنف وهو دون الجدع.

عين المحب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبّك الشيء يعمي ويصم»، أي يعمي عن الرشد، ويصم عن سماع المواعظ.

وقال الأصمعي: سألني الرشيد عن حقيقة العشق. فقلت: أن يكون البصل من المحبوب أطيب من المسك من غيره!.

في الغيرة

قال أعرابي: لأن يرى ألف رجل امرأتي أسهل عندي من أن ترى امرأتي رجلاً!

وقيل: لا تشبع عين من نظر، ولا أذن من خبر، ولا أرض من مطر.

ثقة

سأل رجل يزيد بن المهلّب، فقال: صف لي نفسك، فقال: ما بارزني أحد إلا ظننت أن روحه في يدي.

ووصف أعرابي قوماً اتصفوا بالشجاعة، فقال:: ما سألوا قط كم القوم وإنما يسألون أين هم؟!

في الصميم

قال الشاعر:

لو كان في الحيل الغنى لوجدتني
بأشد أفلاك السماء تعلُّقي
لكن من رزق الحجا حُرم الغنى
ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

واحد من بين كل ٦ أطفال يعاني الفقر في أميركا

أوضح تقرير نشر في أميركا، أن واحداً من بين كل ستة أطفال في أميركا يعاني من الفقر، وأن الأسر ذات الدخول المحدودة والمتوسطة تواجه مزيداً من الصعوبات في كسب قوت يومها.

وذكر التقرير السنوي لصندوق الدفاع عن الأطفال عن حال الأطفال الأميركيين والذي يسمى «الكتاب الأخضر» أن إحصاءات الحكومة عن الفقر لعام١٩٩٩م أظهرت أن أكثر من ١٢ مليوناً من أطفال أميركا يعيشون تحت خط الفقر على المستوى الاتحادي أي أقل من ١٣٢٩٠ دولاراً سنوياً لأسرة مكونة من ثلاثة أفراد.

وقالت «ماريان رايت أدلمان» مؤسسة الصندوق وهو جماعة ضغط لاتهدف إلى الربح: «حان الوقت لتشكيل حركة قوية للأطفال في أغنى وأقوى دولة على وجه الأرض». وأضاف التقرير: أن معدل الفقر بين الأطفال الأميركيين يبلغ نحو مثلي المعدل في كندا وألمانيا ونحو ستة أمثال المعدلات الفرنسية والبلجيكية والنمساوية.

ويقول التقرير: إنه في عهد يسوده رخاء غير مسبوق، فإن الكثير من الأطفال يعيشون في فقر بسبب تدني أجور الوالدين وزيادة عدد الأسر التي تعتمد على عائل واحد ونقص الدعم الحكومي القوي للأسر ذات الدخول المحدودة والمتوسطة.

وقالت «سوزان مارتينيز» نائب رئيس شؤون السياسة في الصندوق «الآباء جزء من القوى العاملة، إلا أنهم غير قادرين على كسب ما يكفي للخروج من ربقة الفقر، نحن في حاجة إلى إلحاق الناس بوظائف يتلقون فيها رواتب أكبر وأن توفر لهم رعاية طفولة أفضل ورعاية صحية جديدة وأشياء أخرى».

والأطفال الذين يعيشون مع آباء متزوجين أقل عرضة للفقر، وذكر التقرير أن ٨,٤٪ من أطفال المتزوجين كانوا يعانون من الفقر عام ١٩٩٩م مقارنة مع ٤٢٪ من كل الأطفال الذين يعيشون مع أم غير متزوجة.

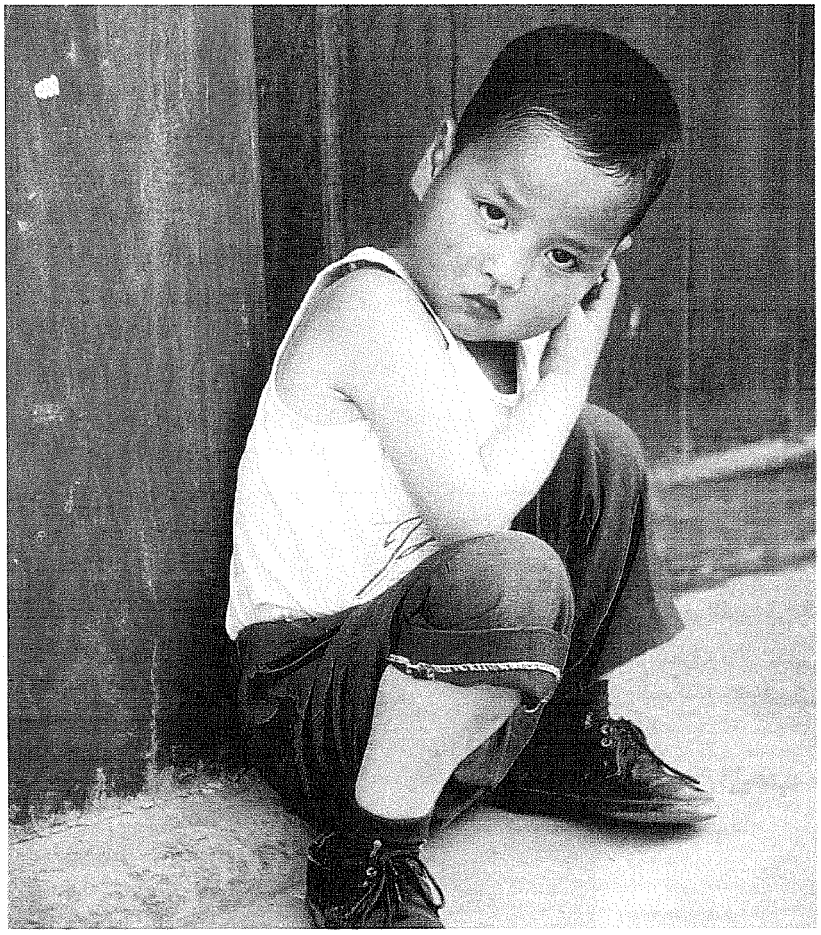

وقال التقرير: إنه في مارس ٢٠٠٠م كانت اثنتان من بين كل ثلاث أمهات يعملن في وظائف خارج المنزل وهي نسبة ارتفعت عن النسب السائدة قبل عشرين عاماً. وكان أكبر ارتفاع لنسبة العمالة بين الأمهات محدودات الدخل غير المتزوجات، وأضاف أنهن ينفقن مزيداً من الأموال على رعاية الأطفال، إلا أنهن لا يتقاضين أجوراً أفضل.

وتنفق الأسر الفقيرة ٢٥٪ من دخولها على رعاية الأطفال، مقارنة مع سبعة ملايين طفل تتراوح أعمارهم بين ٥ و١٤ عاماً يعتنون بأنفسهم بشكل ثابت دون أي إشراف من الكبار أثناء وجود الوالدين في العمل.

وأشار التقرير أيضاً إلى الرعاية الصحية غير الكافية لملايين الأطفال، إلا أنه ذكر أن هناك تحسناً في الأعوام الأخيرة، وفي عام ١٩٩٩م كان ١٠,٨ مليون طفل يبلغون ١٨ عاماً فأقل يعانون من نقص الرعاية الصحية انخفاضاً من ١١,٩ مليون عام ١٩٩٨م.

والأطفال الملونون أكثر عرضة لنقص الرعاية الصحية إذ يوجد واحد بين كل ستة أطفال سود وواحد بين كل أربعة من الأطفال ذوي الأصول اللاتينية لا يتمتعون بالرعاية الصحية في مقابل واحد بين كل ١١ طفلاً أبيض وأطفال المهاجرين على سبيل التحديد أكثر عرضة للحرمان من الرعاية الصحية ●

٤,٧ مليون مصاب بمرض الإيدز في جنوب إفريقيا

أكدت دراسة حكومية أن نحو ٤,٧ ملايين جنوب إفريقي أي شخص واحد من أصل تسعة كانوا يحملون فيروس الإيدز في أواخر العام ألفين أي بزيادة ٥٠٠ ألف شخص عن أواخر العام ١٩٩٩م.

وأوضحت وزيرة الصحة «مانتو تسابالالا مسيمانغ» أن هذه الأرقام استخلصت من دراسة شملت أكثر من ٤٠٠ دار توليد في جنوب إفريقيا.

وكانت الأرقام الرسمية تشير إلى ٣,٦ مليون إيجابي المصل أواخر ١٩٩٨م و٤,٢ مليون أواخر العام ١٩٩٩م، ومازالت الأرقام الجديدة تضع جنوب أفريقيا في رأس قائمة البلدان التي تسجل أكبر عدد من حاملي الفيروس في العالم.

وأفادت الدراسة الأخيرة أن أكثر من ٢٤,٥٪ من الحوامل اللواتي يستقبلن في دور التوليد الرسمية يحملن فيروس «اتش أي في» مقابل ٢٢,٤٪ أواخر ١٩٩٩م و٢٢,٨٪ أواخر ١٩٩٨م.

واعتبرت الوزيرة أن الزيادة لاتثير القلق ألبتة.

وأضافت لدى عرضها الأرقام على الصحافيين أن الدراسة تؤكد أننا نسيطر على الوضع إلى حد كبير ويمكننا القول حقاً إن هناك بصيص أمل.

ولفتت الأنظار إلى أن الدراسة السنوية تكشف تراجعاً لنسب الإصابة بين المراهقين بحيث انخفضت من ٢١٪ في ١٩٩٨م إلى ١٦,١٪ في ٢٠٠٠م معتبرة ذلك أمراً مشجعاً ●

مذكرة تفاهم بين «البنك الإسلامي» وصندوق الأمم المتحدة للسكان

وقع صندوق الأمم المتحدة للسكان والبنك الإسلامي للتنمية في جدة مذكرة تفاهم حول تعزيز جهودهما لتحسين صحة الأسرة في الدول ذات العضوية المشتركة في المؤسستين والمجتمعات الإسلامية.

ووقع المذكرة من جانب صندوق الأمم المتحدة للسكان المديرة التنفيذية للصندوق الدكتورة ثريا عبيد فيما وقعها من جانب البنك رئيسه الدكتور أحمد محمد علي.

وتتضمن مذكرة التفاهم تعزيز أوجه التعاون بين الطرفين في مجال تسهيل وسرعة تبادل المعلومات في شأن المسائل ذات الاهتمام المشترك وتنسيق الجهود فيما يتعلق بإعداد وتنفيذ برامج ومشاريع التنمية الهادفة لتحسين صحة الأسرة في الدول ذات العضوية المشتركة.

وبحثت الدكتورة عبيد خلال اجتماعها مع رئيس «البنك الإسلامي» تنسيق الجهود لمساعدة الدول ذات العضوية المشتركة في المؤسستين في مجالات تحسين الخدمات الصحية والتعليمية وتحسين صحة الأسرة.

يذكر أن الدكتورة ثريا عبيد «سعودية» التي تزور السعودية حالياً انتخبت لمنصب المدير العام التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة للسكان وكيل السكرتير العام للأمم المتحدة في أكتوبر الماضي، وتعد أول مرة سعودية تتولى مركزاً رفيعاً في هذا المستوى بالأمم المتحدة.

على صعيد آخر وقع رئيس البنك الإسلامي مع وزير المالية والاقتصاد والتخطيط الجيبوتي الزائر ياسين علمي اتفاقيتين لصالح جمهورية جيبوتي.

ويمنح البنك بموجب الاتفاقيتين جمهورية جيبوتي مبلغ ٣,٢٤ مليون لتمويل مشروعات إنمائية في مجالات الأمن الغذائي وتحسين مستوى المعيشة ●

١٦٠ بليون دولار حجم الديون العربية

كشف تقرير اقتصادي حديث، أن حجم الدين العربي قد ارتفع إلى ١٦٠ بليون دولار، بلغت جملة أعباء خدمته ١٢ بليون دولار سنوياً.

وأوضح تقرير مجلس الوحدة الاقتصادية العربية الذي نشرت مقتطفات منه صحيفة الراية القطرية، أن الدين الضخم يعوق عمليات تحقيق معدلات التنمية الخاصة في الدول العربية غير المنتجة للبترول في ظل الضغوط الهائلة التي تتعرض لها الدول العربية من جانب التكتلات الاقتصادية الخارجية لفتح أسواق، وهو ما يهدد بجعلها مجرد سوق لعرض المنتجات الأجنبية ●

١٥ بليون دولار كلفة الفساد في روسيا

قال المدعي العام في روسيا «فلاديمير أوستينوف»: إن تهريب الرساميل خلسة يصل إلى ما بين ٢٠ إلى ٢٥ بليون دولار كل عام، واعتبر أن نحو ٤٠ ألف شركة، وثلث المصارف خاضعة لسيطرة الأوساط الإجرامية.

وأعلن «أوستينوف» في أثناء اجتماع خُصص لبحث هذا الموضوع «علينا توحيد جهودنا لمكافحة الفساد»، معترفاً بأن قوات الأمن لم تنجح في اقتلاع هذه النزعة. وحضر الاجتماع خصوصاً كل من مدير جهاز الأمن الفيدرالي «نيكولاي باتروشيف» ووزير الداخلية «فلاديمير روشايل».

وقال «أوستينوف»: إن العام الماضي شهد فتح ألفي تحقيق قضائي متعلق بتبييض الأموال، وأعلنت النيابة العامة أخيراً، أن أكثر من عشرة آلاف موظف روسي بينهم ١٥٠٠ ممثل لقوات الأمن، أدينوا بتهم اختلاس أموال خلال العام الماضي ●

رابطة «العالم الإسلامي» تستنكر إصدار إسرائيل طبعة محرَّفة من القرآن الكريم

استنكرت رابطة العالم الإسلامي إصدار إسرائيل طبعة محرَّفة من القرآن الكريم باللغة العبرية.

وقال الأمين العام للرابطة عبدالله التركي في بيان أصدره في مكة المكرمة: إن إسرائيل حرَّفت بعض الآيات في القرآن الكريم، وأضافت بعض الألفاظ والمعاني، وحذفت بعض الآيات بقصد التزوير والتحريف».

وأوضح التركي أن «هذا العمل المشين ليس بغريب على اليهود الذين عرفوا عبر تاريخهم بالطعن في الرسالات الإلهية».

ودعا التركي المسلمين والمؤسسات الإسلامية للقيام بواجبها في الدفاع عن الإسلام وعن كتاب الله العظيم، معرباً عن شكره للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية الذي كشف هذه الجريمة البشعة.

وأوضح أن التحريف طال مجموعة من سور القرآن الكريم التي ذكر فيها مخازي اليهود وافتراءاتهم حتى يطمسوها من القرآن.

وأبدى الدكتور التركي استعداد رابطة العالم الإسلامي للتعاون مع جميع المؤسسات الإسلامية لإعداد ترجمة للقرآن الكريم باللغة العبرية لتوزيعه على اليهود في جميع أنحاء العالم حتى يتمكنوا من معرفة المعاني الصحيحة للقرآن الكريم وآياته العظيمة ●

«تايم» تعتذر للمسلمين عن صورة للنبي محمد ﷺ

اعتذرت مجلة «تايم» الأميركية لقرائها المسلمين بعدما احتج مئات المتظاهرين في القطاع الهندي من ولاية كشمير على نشرها صورة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال «أدي اغناتيوس» رئيس تحرير الطبعة الآسيوية لـ«تايم» في بيان في نيودلهي: إن المجلة نشرت الصورة في عددها الصادر في ١٦ أبريل الماضي، في إساءة «غير مقصودة» للعقيدة الإسلامية مع مقال عن القدس في عصر السيد المسيح، وأضاف: «تود مجلة تايم أن تعتذر للقراء المسلمين وللجمهور العام... وتعرب عن أسفها لنشر هذه الصورة».

وقد استخدمت الشرطة الهندية الغاز المسيل للدموع والهراوات لتفريق مئات المتظاهرين الذين كانوا يحتجون على المجلة، التي قال إنها نشرت تعليقات تسيء إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وأعلنت الشرطة أنها أطلقت عشرات من قذائف الغاز المسيل للدموع في «سريناغار» لتفريق المتظاهرين المسلمين الذين كان معظمهم من الطلاب، وألقى المتظاهرون الحجارة على الشرطة، واضطرت أغلبية المتاجر إلى إغلاق أبوابها، وأضافت الشرطة أن بلدات أخرى في وادي كشمير شهدت تظاهرات مماثلة.

وأضافت الشرطة: أن جميع نسخ المجلة صودرت من البائعين في «سريناغار» بعد احتجاج طلابي صغير في المدينة للحيلولة دون وقوع مزيد من الاضطرابات، وفي أعقاب الاحتجاجات حظرت السلطات في جامو وكشمير بيع أو توزيع عدد المجلة الصادر في ١٦ أبريل ●

حجم السكان في روسيا يواصل تراجعه وسيتدنى إلى ١٤٢ مليون نسمة عام ٢٠٠٤م

أفادت وكالة «انترفاكس» استناداً إلى تقرير للحكومة الروسية أن عدد السكان في سيتدنى إلى ١٤٢,٢ مليون نسمة عام ٢٠٠٤ أي بتناقص أكثر من مليوني نسمة إلى العام ٢٠٠٠م.

وسيواصل معدل الوفيات تقدمه على الولادات بحسب التقرير الذي أعدته وزارة التنمية والتجارة لعرضه في اجتماع حكومي، وتراجع حجم السكان في روسيا بنسبة ٧٥١١٠٠ نسمة في العام ٢٠٠٠م، أي نحو ٠,٥٪ من إجمالي عدد السكان وبلغ ١٤٤,٨ مليون نسمة بحسب الأرقام الرسمية للجنة الرسمية للإحصاءات.

وعام ١٩٩٩م سجلت روسيا أكبر نسبة تراجع في عدد السكان منذ انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م إذ بلغت ٧٨٤٥٠٠ نسمة.

ويتراجع حجم السكان في روسيا منذ ١٩٩٢ بسبب تدهور النظام الصحي الرسمي والإدمان على الكحول، وتطاول الوفاة المبكرة في شكل خاص الرجال ضحايا الإدمان على الكحول وحوادث العمل ويبلغ المعدل الوسطي للحياة لدى الرجال ٥٩ عاماً مقابل ٧٢ عاماً للنساء. وأعرب الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» والحكومة الروسية مراراً عن قلقهما حيال التراجع المستمر لعدد السكان باعتباره يهدد الأمن القومي في البلاد من دون أن يعرضا تدابير عملية للحد من هذه الظاهرة ●

مسلمو أميركا يطالبون كوفي عنان بإنشاء محكمة جرائم حرب للكيان الصهيوني

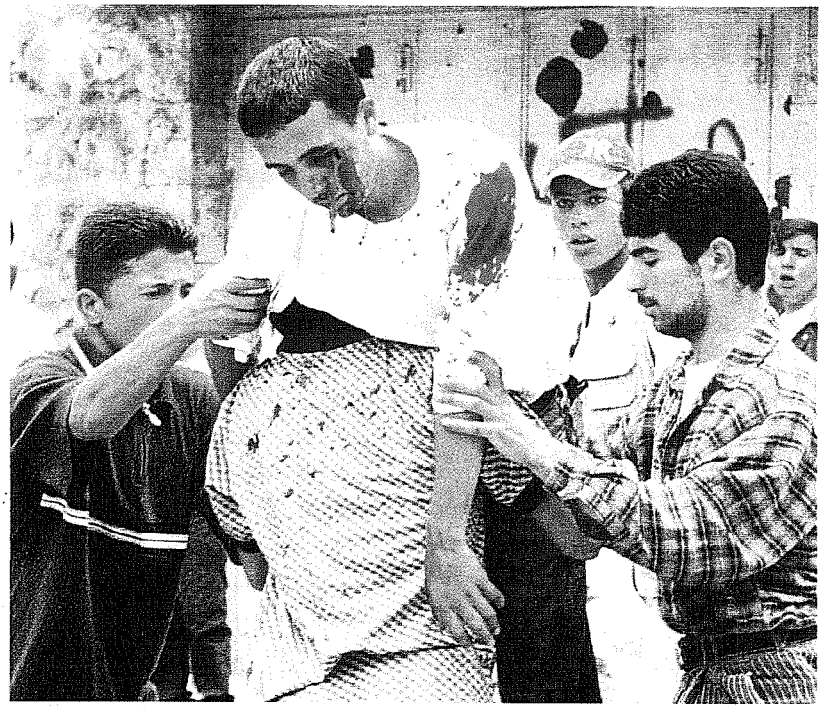

طالبت ثمان من أكبر المؤسسات المسلمة الأميركية أمين عام الأمم المتحدة كوفي عنان حض مجلس الأمن الدولي على إنشاء محكمة لجرائم الحرب الصهيونية على غرار المحاكم التي أنشئت لمحاكمة مجرمي الحرب بيوغسلافيا ورواندا. وقد نشرت المنظمات المسلمة الأميركية خطابها لكوفي عنان إعلاناً بأحد أكبر الجرائد الأميركية اليومية وهي صحيفة «الواشنطن تايمز» (على مساحة صفحة كاملة) يوم الاثنين التاسع عشر من مارس لكسب أكبر قدر من التأييد الإعلامي والشعبي لدعوة المنظمات المسلمة، كما طالبت تلك المنظمات - في بيان وزعه مجلس العلاقات الإسلامية الأميريكية «كير» الجماهير المسلمة في أميركا والعالم بدعم خطابهم ومطالبهم من خلال نشر نص الخطاب بين أكبر عدد من معارضي الانتهاكات الصهيونية وحضهم على توقيع الخطاب وإرساله إلى الأمين العام للأمم المتحدة.

هذا، وقد سرد الخطاب ما ارتكبه الكيان الصهيوني من جرائم حرب في حق الشعب الفلسطيني والشعوب العربية مشبهاً ما يقوم به الكيان الدموي من حصار للشعب الفلسطيني "حالياً"، بما قام به النازيون من حصار لليهود ببولندا خلال الحرب العالمية الثانية.

وفي تعقيبه على الخطاب قال نهاد عوض المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الإسلامية الأميركية «حتى الآن، إسرائيل استطاعت التنصل من مسؤولية ما ارتكبته من انتهاكات لحقوق الإنسان. ولكن هذا الوضع يتغير بسبب يقظة أصحاب الضمائر من شتى بقاع العالم وفهمهم أن الحياة اليومية للفلسطينيين لا تختلف كثيراً عن حياة الكوسوفيين تحت الحكم الصربي الظالم وحياة السود في نظام الفصل العنصري بجنوب أفريقيا ●

مهاتير: ٢٦ بليون دولار ديون ماليزيا

ذكر تقرير إخباري أن رئيس الوزراء الماليزي «مهاتير محمد» أعلن أن حجم الديون المستحقة على بلاده يبلغ نحو مائة بليون رينجت (٢٦,١ بليون دولار أميركي) وليس مائة تريليون حسبما تزعم المعارضة.

وقالت صحيفة «صن »اليومية أن «مهاتير»، الذي كان يتحدث للصحافيين في «كوتا بارو» عاصمة ولاية «كيلانتان» بشمال شرقي البلاد، كان يرد بذلك على بيان لأحد أعضاء المعارضة في البرلمان.

رقم كبير

وقال رئيس الوزراء الماليزي: «إن تريليون رينجت هو مبلغ كبير فهو يساوي ألف بليون. وإذا كان في مقدوره أن يأتي بالدليل، فنحن نود أن نراه. ومن واقع الأرقام التي لدينا، تبلغ ديون الحكومة والقطاع الخاص نحو مائة بليون فقط. ديوننا تعد واحدة من أقل الديون».

وأضاف «مهاتير» أن رقم التريليون «رينجت» هو من وحي خيال النائب، وكان يجب عليه التحقق من روايته أولاً.

وأكد رئيس الوزراء الماليزي أن بلاده لا تواجه أي مشكلة في سداد القروض. وقال: «أحياناً، نسدد القروض عن طريق استدانة الأموال حيث إننا نحصل عليها بأسعار فائدة أقل».

وتابع قائلاً: «وهذا هو سبب عدم اضطرارنا لأخذ قروض من أي جهة حتى أثناء فترة الركود. وحتى إذا لم يمنحنا صندوق النقد الدولي قروضاً، فليس ثمة مشكلة بالنسبة لنا» ●

إعداد : محمد هاني

رسالة ماجستير تناقش

الأغلبية الخاصة في النظام الدستوري الكويتي

ناقش طالب كلية الدراسات العليا تركي سطام المطيري في أطروحته برنامج القانون العام بكلية الحقوق لنيل درجة الماجستير، والتي حملت عنوان: «الأغلبية الخاصة في النظام الدستوري ما هيتها، أهميتها، حالتها» أشرف على الأطروحة الدكتور محمد عبدالمحسن المقاطع.

تناول المطيري في دراسته المقدمة التي جزأها إلى مبحثين، ناقش في الأول نشأة الأغلبية الخاصة، وأهميتها، حيث أوضح أن أول دستور أخذ بالأغلبية الخاصة على المستوى المعلوم هو الدستور الأميركي الحالي، ثم تبعته بعض الدساتير الأوروبية مثل البلجيكية والفرنسية، أما على مستوى العالم العربي، فإن أول دستور أخذ بذلك هو الدستور المصري، مبيناً أن أول وثيقة أخذت بالأغلبية الخاصة في الكويت هي مشروع الدستور الذي أعده المجلس التشريعي سنة ١٩٣٨م، إلا أنه لم ير النور، حيث لم يوافق عليه أمير البلاد آنذاك، ثم تلته اللائحة الداخلية للمجلس التأسيسي الصادرة سنة ١٩٦٢م، وأخيراً الدستور الكويتي الحالي سنة ١٩٦٢م.

وخلص إلى أن اشتراط الأغلبية الخاصة في الدساتير الحديثة أصبح أمراً مستقراً وممارسة مألوفة في الدول الديموقراطية.

كما تناول بيان مفهوم النصاب ومقارنته بالأغلبية، موضحاً أهمية كليهما لصحة صدور القرارات، وأوضح المقصود ببعض الأغلبيات الأخرى غير الأغلبية الخاصة، وأيضاً عرف الأغلبية الخاصة، وحدد مفهومها وهي تلك الأغلبية المطلوبة لصدور بعض القرارات في البرلمان، والتي تقل عن الإجماع من ناحية، وتزيد على الأغلبية العادية بشكل دائم ومستقر أو تتطابق معها في حال حضور جميع الأعضاء جلسة البرلمان.

كما تناول أهمية الأغلبية الخاصة مستعرضاً الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وهي: ضمان حقوق الأقليات في مشاركة الأغلبية في إصدار بعض القرارات المهمة، وأيضاً العمل على ضمان الحقوق والحريات العامة، كذلك العمل على تحقيق حد أدنى مرتفع من القبول الشعبي والرضا الجماعي بالقرارات البرلمانية بوجه عام، وتولية الحكام بوجه خاص، بالإضافة إلى تعزيز إضفاء فكرة الجمود على الدساتير وتحقيق السمو الشكلي لها كونها تحيط تعديل الدستور بنوع من الشدة والصعوبة على نحو يميز العمل على ضمان تحقيق التروي والتريث في إصدار القرارات البرلمانية، وتجنب الاندفاع والتسرع في إصدارها وأيضاً العمل على تحقيق التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وتنظيم العمل البرلماني.

أما المبحث الثاني، فتناول فيه حالات الأغلبية الخاصة في النظام الدستوري الكويتي وأهميتها وتقويم ذلك ●

العولمة في ميزان الإسلام

في سلسلة رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية التوعوية، صدر كتيب «العولمة في ميزان الإسلام».

والكتيب جاء في نحو ٧٥ صفحة من القطع الصغير، يضم خلاصة أقوال العلماء في مصطلح العولمة، من حيث نشأتها وأهدافها ومجالاتها، وحكم الإسلام فيها، وكيفية التعامل معها.

وتؤكد موضوعاته على أن عالمية الإسلام هي التي يجب أن تحل محل العولمة، وأن عالمية حضارتنا تنطلق من الحرية والاختيار، أما عولمتهم فتنطلق من الإجبار والقوة والقسر ●

صحيح مسلم باللغة الإسبانية

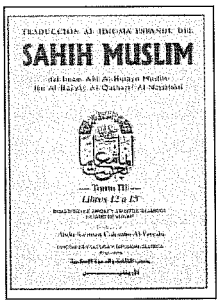

بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت ومكتب الثقافة والدعوة في الأرجنتين، صدر الجزء الثالث من كتاب «صحيح مسلم باللغة الإسبانية».

ويقع الكتاب في نحو ٢٦٧ صفحة من القطع المتوسط.

ويسهم في سد العجز الذي تعاني منه المكتبة الإسبانية لافتقارها للكتب الإسلامية بهذه اللغة.

والجدير بالذكر أن موقع المكتب على شبكة المعلومات الدولية هو: www.islamerica.org.ar ●

إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري

للباحث السعودي خالد الجريسي صدر كتاب «إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري»، تقديم وحيد بن أحمد الهندي الذي يقول عن أهمية الوقت: إذا كانت الدول المتقدمة قد سبقتنا في عملية تناول هذا الموضوع ودراسته، إلا أن مصادر التشريع الإسلامي اهتمت بهذا الموضوع، وجاءت الآيات الكريمة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة تحض المسلم على الانتفاع بالوقت بما يخدم هدفه في الدنيا والآخرة. هنا تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه ينظر إلى الوقت من منظور إسلامي وتأكيد هذا المنظور على عدم إغفال النظريات الإدارية الحديثة ورؤيتها للوقت، وأهميته وقد ضم الكتاب فصولاً ستة عرَّف فيها المؤلف الوقت وبيَّن أهميته في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة، وتطرق إلى إدارة الوقت من خلال النظريات الإدارية، كما درس الباحث الأدوات والوسائل المستخدمة في تنظيم إدارة الوقت، إضافة إلى المناهج المستخدمة، معتمداً على الدراسات الميدانية في هذا المجال، ليصل في النهاية إلى بيان منهج متطور لإدارة الوقت بفاعلية ●

مازلت على قيد الحياة

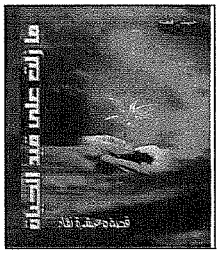

قصة قصيرة للأستاذ حيدر قفة تقع في بضع صفحات، إلا أن المؤلف أضاف إليها رأي عشرة نقاد، فجاءت القصة ورأي النقاد فيها في نحو ٧٨ صفحة من القطع الصغير، والقصة جاءت على شكل رسالة استخدم فيها المؤلف ضمير المخاطب ليتحدث إلى الآخر بما في نفسه ويفضي إليه بما يريد، والرسالة هنا موجهة من شخص تجاوز الستين يعيش حياة التقاعد، بلا عمل سوى خدمة أفراد العائلة، وفيما هو يعاني، وهو يعبر الحياة نحو دهاليز الآخرة، تأتيه في أوقات متباعدة من النهار والليل هواتف تبدو وكأنها الناقوس الذي يذكره بإنسانيته، وبأنه رغم كل مظاهر التآكل التي تدب فيه، لايزال على قيد الحياة. عنوان الناشر ـ ص.ب ١٧٣ ـ طارق ـ عمان ١١٩٤٧ ـ الأردن ●

وقفات مع سلفنا الصالح

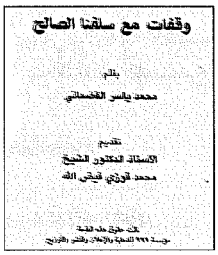

في نحو ٣٤٨ صفحة من القطع المتوسط، وفي مجلد فاخر، جاءت الطبعة الأولى من كتاب «وقفات مع سلفنا الصالح» للشيخ محمد ياسر القضماني، قدَّم له الأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله، وسيجد القارئ من خلال صفحات الكتاب صوراً مشرقة ولمحات مضيئة لخمسين علماً من رجال الإسلام، مضوا من هذه الأمة من كبار التابعين وتابع التابعين، ومن بعدهم، وتنوعت مشاربهم وتعددت مواهبهم. من كبار الحفاظ والمحدثين والفقهاء المجتهدين، والزهاد والصالحين والقضاة والمفتين والمؤرخين والمجاهدين وأئمة الناصحين من مشايخ الإسلام والمسلمين.

وينقلنا المؤلف في رحلة ممتعة مع هؤلاء الأقوام وأذكارهم وأدعيتهم، حين يصبحون، وحين يمسون، وحين يختلطون بالناس وحين ينفردون، وحين يصومون النهار، ويقومون الليل، كل ذلك من أجل أن نتأسى بهم في السلوك وتربية الروح ومعاملة الخلق ومراقبة الخالق رب العالمين.

الناشر: مؤسسة ٩٩٩ للدعاية والإعلام والنشر والتوزيع ـ فاكس ٤٨٢٤٢٧٩ ـ الكويت ●

أخبار ثقافية

- تم أخيراً التوقيع على برنامج التعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «الألكسو» وذلك خلال الأعوام ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣م، تشمل برامج التعاون الكثير من الأنشطة الثقافية.
- من المقرر أن يشارك ٣٠٠ رجل دين يمثلون مختلف المذاهب من ٦٠ دولة في ملتقى السلام السنوي الذي تنظمه جمعية «سان أجيديو» المسيحية، ويقام الملتقى في مدينة برشلونة الإسبانية خلال الفترة من ٢ ـ ٤ سبتمبر المقبل.
- ستبدأ قناة فضائية إسلامية البث في العام المقبل من دبي وهي بادرة من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي، وسيكون هدف القناة نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، وستسمى قناة «طيبة»، وسيكون من اهتمامات القناة الاهتمام بدور المرأة في المجتمع، وتثقيف الطفل المسلم ببرامج مشرقة والتعريف بالفكر الإسلامي. وسيكون البث باللغة العربية، ثم تُضاف اللغة الإنكليزية لاحقاً.
- أكدت دراسة علمية حول ترجمة معاني القرآن وإشكالياتها للدكتورة ليلى عبدالرزاق عثمان رئيس قسم اللغة الإنكليزية والترجمة الفورية بجامعة الأزهر، استحالة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، بالدقة نفسها التي تحققت في اللغة العربية التي نزل بها كتاب الله عزَّ وجلَّ، مشيرة إلى أن القرآن الكريم قد تترجم كلماته حرفياً، لكن من الصعب ترجمة ما تحمله هذه الكلمات في باطنها من مدلولات ومعان تمثل روح القرآن وسره المنيع ●

كتاب جدير بالقراءة

رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخ الإسلام ابن تيمية

يعتبر هذا الكتاب عمدة في موضوعه، وكل من كتب في هذا الموضوع، إنما استقى أفكاره وعناصره من فيض هذا الكتاب، فهو - بحق - كتاب جدير بأن يقرأه كل مُنْصِف باحث عن الحقيقة.

وأصل هذا الكتاب - كما هو ظاهر من عنوانه - يبيِّن أسباب اختلاف علماء الأمة - في الفقه خاصة - وأعذارهم في هذا الاختلاف وجميل صنيعهم للإسلام وأهله.

يقول شيخ الإسلام في أوله: «وليُعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمَّد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتِّباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابدَّ له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف، أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ».

ثم ذكر - رحمه الله - عشرة أسباب تتفرع من هذه الأصناف الثلاثة.

أعود فأكرر إنها دعوة لقراءة هذا الكتاب الذي تعتبر كلماته كالمتن الذي يحتاج إلى شرح وافر لا لصعوبتها، ولكن لعظيم معانيها ومراميها.

والكتاب يقع في (٣١) صفحة طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٩هـ ●

عبدالكريم أحمد عوض الله - مصر

تفسير من نسمات القرآن

المؤلف: غسان حمدون

دار النشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

يُعد هذا التفسير خلاصة وافية لعلوم القرآن، حيث نجد فيه المفردات القرآنية مشروحة بأسلوب لغوي رصين، وأسباب النزول مروية على أدق الروايات والاستنباطات البلاغية والفقهية والاجتماعية، ترد في حينها أيضاً وقد خلا هذا التفسير من الإسرائيليات والنصرانيات والحشو والغموض والتزم مؤلفه بالمنهج السلفي الصحيح في التفسير ●

الأخوات المسلمات

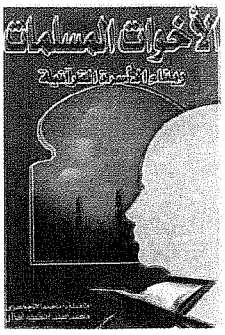

المؤلف: محمود محمد الجوهري
محمد عبدالحكيم خيال

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

مواقف جيل الصحابيات السابقات إلى الإسلام اللائي أدركن أن الدعوة إلى الإسلام تبليغ وجهاد وبذل وتضحية، وتؤكد حاجة الدعوات الإصلاحية إلى جهاد المرأة المسلمة، فالمرأة إذا آمنت بشيء لم تبال في نشره والدعوة إليه وسعت إلى إقناع من حولها مهما كلفها ذلك، وانطلاقاً من هذا المضمون وتجاوباً مع شدة حاجة الدعوة الإسلامية إلى دور الأخت المسلمة داعية وزوجاً وأماً وربة بيت يأتي هذا الكتاب ●

العنوسة

المؤلف: منصور الرفاعي عبيد

دار النشر: دار الفكر العربي

الكتاب يُقدم رؤية إسلامية اجتماعية لحل مشكلة الفتاة العانس، حيث بدأت هذه الظاهرة تزداد في مجتمعنا العربي يوماً بعد يوم، وبسبب ذلك انتشار الانحرافات واتجاه الناس إلى العرافين والمنجمين وقارئات الفنجان والكف... إلخ، بحثاً عن الحل، ولا شك أن هذه الأمور تزيد الأمر تعقيداً، لذلك يقدم المؤلف رأي الإسلام الصحيح في هذا المجال حتى تتضح الصورة لمن ألقى السمع وهو شهيد ●

إعداد: عبد الكريم جبل

٣ معايير محاسبية جديدة لعمل المؤسسات المالية الإسلامية

أعلن عضو مجلس معايير المحاسبة والمراجعة للمصارف الإسلامية الدكتور خالد محمد بودي أن المجلس أصدر ثلاثة معايير محاسبية تعالج مجموعة من الموضوعات التي تتعلق بعمل المؤسسات المالية الإسلامية.

وقال بودي: إن المجلس في اجتماعه الأخير في المنامة أصدر هذه المعايير التي تتعرض للمخصصات والاحتياطات في شركات التأمين الإسلامية والمعاملات والعمليات بالعملات الأجنبية إلى جانب تشكيل لجنة المراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية.

وأشار إلى أن المجلس ومنذ إنشائه في عام ١٩٩١م أصدر ١٦ معياراً للمحاسبة وخمسة معايير للمراجعة و٣ معايير للرقابة الشرعية.

وأوضح أن معايير المحاسبة تناولت العرض والإفصاح للقوائم المالية ومعالجة الأدوات الاستثمارية للمصارف والمؤسسات المالية والإسلامية من الناحية المحاسبية، ومعالجة المخصصات والاحتياطات وصناديق الاستثمار.

وذكر الدكتور بودي أن المجلس أصدر أيضاً ميثاق أخلاقيات المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية في وقت يعد فيه ميثاق قواعد السلوك الخاصة بالعاملين في المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية.

وتتضمن خطة المجلس أيضاً إعداد معايير خاصة بالخدمات المالية الإسلامية التي تقدمها المؤسسات التقليدية إلى الإسهامات والاستشارات في الشركات التابعة.

وقال الدكتور بودي: إن المجلس يسعى قبل إصدار أي معايير إلى الاستماع لآراء المهتمين وأصحاب الاختصاص، حيث يتم عقد جلسات اجتماع يتم خلالها عرض مشاريع المعايير التي يخطط المجلس لإصدارها على ممثلي المؤسسات المالية الإسلامية والأطراف الأخرى ذات الاهتمام.

معايير مستوفية

وذكر أن المجلس حريص على أن تكون هذه المعايير مستوفية من حيث المضمون للجوانب الفنية التي تتضمنها المعايير الصادرة عن لجنة معايير المحاسبة الدولية.

يذكر أن المجلس يضم في عضويته ١٣ عضواً يمثلون عدداً من البنوك المركزية والمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية منها: بيت التمويل الكويتي الذي يعتبر من المؤسسين، كما يضم عدداً من أساتذة وخبراء المحاسبة والمراجعين وعلماء الشريعة. وتتمثل أهداف المجلس في توحيد المعالجات المحاسبية للمؤسسات المالية الإسلامية المتماثلة في أعمالها وتطوير أسلوب عرض البيانات المالية وتقنين الضوابط الشرعية والرقابية لهذه المؤسسات.

ويتعاون المجلس مع المؤسسات الإقليمية والدولية ذات العلاقة، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات التي تساعد على عرض ومناقشة الضوابط الفنية والمحاسبية لعمل المصارف الإسلامية ●

أخبار قصيرة

● أشاد العضو المنتدب والرئيس التنفيذي لشركة «أعيان للإجارة والاستثمار» أحمد عبداللطيف الدوسري، بالنتائج التي حققتها أعيان خلال العام المنصرم، والتي أثمرت عن تحقيق أرباح صافية بلغت نسبتها ١٣٪ من رأس المال، معتبراً ما حققته الشركة من نتائج بأنها قياسية مقارنة مع عمر الشركة التي أنهت عامها الثاني.

● أعلن مساعد المدير العام لقطاع الاستثمار في بيت التمويل الكويتي «بيتك» محمد سليمان العمر عن طرح البيت لصندوق عقاري للإجارة بقيمة ٣٠٠ مليون دولار أميركي حصة «بيتك» فيه ٩٠ مليون دولار.

أكبر مؤسسات الإقراض العقاري الأميركية تعتمد التمويل الإسلامي

أعلنت إحدى أكبر مؤسسات الإقراض العقاري الأميركية وهي «فريدي ماك» أنها ستدشن مشروعاً للإقراض العقاري حسب الشريعة الإسلامية من دون دفع فائدة، وذلك بالتعاون مع بيت التمويل «لاريبا». ويصدر النظام الجديد أو نموذج «لاريبا» للرهن الإسلامي بديلاً للنظام الحالي السائد بالولايات المتحدة، والمعروف أنه أكثر نظم الرهن الأميركية شعبية يتمثل في قرض مدة ٣٠ عاماً، حيث تكون السنوات الست أو السبع الأولى مخصصة لدفع الفائدة أساساً.

وقالت وكالة الإعلام الأميركية التابعة لوزارة الخارجية التي أوردت تقريراً في نشرتها على «الإنترنت» إنه ينظر للمشروع على أنه خطوة مهمة لتوسيع سوق الإقراض العقاري بين الجالية الإسلامية المتزايدة بشكل سريع في الولايات المتحدة، والمقدَّر عددها بين ٦ و٧ ملايين مسلم.

ونقلت الوكالة عن علي أبوزكوك، أحد موظفي المجلس الإسلامي الأميركي قوله: «هذه مبادرة جيدة، وهي توضح الجانب الإيجابي عند بعض الشركات».

وستقوم «فريدي ماك» باستثمار مليون دولار لتمويل عقود من «لاريبا»، وهي شركة تسليف إسلامية مقرها كاليفورنيا نشأت لتقديم خدماتها للمجموعات الإسلامية النامية ●

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

إسألوا أهل الذكر

صرف الزكاة في دين الممول الإعلامي الإسلامي

- إذا تكفل أحد المتخصصين في هذا المجال وهو لايملك الرأسمال المطلوب واقترض الرأسمال المطلوب وسعى بكل جهده للإنتاج الجيد النافع الإسلامي، وبذل قصارى جهده في التسويق وحفظ حقوقه والإعلان والدعاية عن منتجه، ثم بعد ذلك لم يحقق تغطية تكاليف المشروع. فهل يعتبر من الغارمين ويعوض من أموال الزكاة؟... هذا مع العلم أن المشروع نال ثقة الشرعيين من حيث سلامته ونفعه، والإعلاميين المتخصصين من حيث الكفاءة الفنية والإعلامية، والتربويين من حيث الرسالة التربوية المفيدة، أما الاقتصاديون فكان رأيهم أن جدوى المشروع الاقتصادية ضعيفة جداً مع احتمال كبير للخسارة، كما أن هدف المنتج للمشروع بث الوعي الإسلامي وإصلاح ما يمكن إصلاحه من واقع المسلمين ومستقبلهم وتقديم البديل الإسلامي النافع بغض النظر عن الربح والفائدة.

- أجابت اللجنة:

إن المستقرض لإنتاج إعلام إسلامي على أمل أن يعطى من أموال الزكاة من بند الغارمين في حال الخسارة لا يعتبر من الغارمين المستحقين للزكاة، لأن من شرط استحقاقهم ألا يستقرضوا على نية الوفاء من الزكاة إلا في حالات الضرورة كالفقير الذي يستدين لحاجته الأساسية ثم يطلب من الزكاة لسد ديونه بصفته غارماً ●

استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية

هل يجوز استخدام الآيات القرآنية في الإعلانات التجارية؟

أجابت اللجنة:

أنه لابأس من الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم على سبيل الاقتباس لتعزيز معنى صحيح أو لاتخاذ شعار لإعلان الالتزام بما تضمنته الآية الكريمة شرط أن يكون موطن الاقتباس خالياً من أي أمر محرَّم أو فكرة باطلة أو مقام ينافي احترام القرآن الكريم وتنزيهه، ويحسن أن تجرد الآية المقتبسة من أي عبارة تدل على إرادة القرآنية من مثل عبارة «قال الله تعالى» أو «صدق الله العظيم» أو «قرآن كريم»، وذلك ليكون إيرادها على سبيل القول لا على سبيل التلاوة القرآنية لأن القرآن يشترط لتلاوته الطهارة من الحدث الأكبر ويشترط للمسه الطهارة مطلقاً.

وكذلك الحكم بالنسبة للصور التي تمثل مقدسات وشعائر إسلامية كالكعبة والمصحف والمسجد والبسملة ولفظ الجلالة واسم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحاديثه الشريفة.

على أن يُصان ذلك كله عمَّا فيه امتهان أو إخلال بالاحترام الواجب شرعاً ●

الإيداع في البنوك الربوية للحاجة

- لي أخت زوجها مريض بالشلل وعاجز عن العمل، وقد حصل على ميراث مالي فأودعته أختي في أحد البنوك، وتتقاضى عليه شهرياً ربحاً بنسبة معينة، علماً بأنها محتاجة إلى هذا المال للإنفاق على الزوج المريض وعلى أولادها الصغار، وليس لها مورد غير هذا المال الذي يأتيها شهرياً من البنك، ولا تثق في أحد لاستغلال هذا المال في أعمال التجارة أو أي أعمال أخرى تعود عليها بالنفع، فما رأيكم في هذا العمل من الناحية الشرعية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

هذه المعاملة غير مشروعة لأنها ربا صريح، ويمكنها اللجوء إلى بيت التمويل أو أحد البنوك الإسلامية أو الشركات التي تلتزم في معاملاتها بالشريعة الإسلامية، وترضى بما قسم الله من الربح الحلال ●

صرف الزكاة في مجالات دعوية غير منصوص عليها

- لسبب الواقع المر الذي يعيشه المسلمون اليوم في المجالات الإعلامية ألا يمكن تحويل أحد بنود الزكاة الموقوفة أو شبه الموقوفة مثل: «وفي الرقاب» - «وابن السبيل» - «والمؤلفة قلوبهم»، إلى المجالات الإعلامية الإسلامية النافعة للمسلمين لتقريب الناس إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم والحفاظ على عقيدتهم وأخلاقهم.

- أجابت اللجنة:

البنود الثلاثة المُشار إليها في السؤال ليست موقوفة ولا شبه موقوفة فبند «المؤلفة قلوبهم» موجود الآن ومجاله أكثر من ذي قبل، وبند «ابن السبيل» كذلك لأنه فقير حيث هو، وإن كان غنياً في بلده، وبند «الرقاب» يعتبر منه فكاك أسرى المسلمين وبه صرَّح الحنابلة.

ولا يجوز أصلاً تحويل مصرف من مصارف الزكاة إلى غير ما ورد فيه، وإنما يمكن إلحاق بعض الحاجات العصرية بأحد المصارف الثمانية بمستند شرعي صحيح، ومن ذلك الصرف على المجالات الإعلامية والإسلامية، التي توجه مباشرة إلى الدعوة الإسلامية لغير المسلمين للدخول في الإسلام، أو لتثبيت المسلمين المعرضين لأخطار التنصير والإلحاد وذلك من بند «في سبيل الله» الذي هو في الأصل في الجهاد، لأن هذه المجالات نوع من أنواع الجهاد ●

صرف الزكاة في الإنتاج الإعلامي الإسلامي

- تعلمون ما للإعلام من دور خطير وكبير في صياغة عقول الناس وتوجيههم إلى الخير أو الشر وبخاصة الطفولة البريئة التي إلى اليوم لم تجد من وسائل الإعلام البديل الإسلامي النافع الذي يحفظ لهم دينهم ويغرس الولاء والانتماء لعقيدتهم وتراثهم، ولما كانت بعض مجالات الإعلام كالرسوم المتحركة «في الغالب» أرباحها بسيطة بالنسبة للإنتاج العربي ومتاعبها كثيرة في الإنتاج والتسويق لضعف حقوق المنتج ولمهارة سراق الإنتاج في أسواقنا المحلية. والأسئلة المقدمة هي:

١- هل يجوز استعمال جزء من الزكاة في مثل هذه المشروعات «الإنتاج الإسلامي النافع المفيد للطفولة وغيرها» وما يأتي من أرباح يستثمر في المجال نفسه؟ وفي حال التصفية توزع الأموال في أوجهها الشرعية؟

- أجابت اللجنة:

إن استثمار أموال الزكاة مشروع بقيود منها: أن يكون الاستثمار مأموناً، أي يرجى تحقيق ربح مع حفظ الأصل، وبما أن هذا المجال المسؤول عنه غير مأمون فلا يجوز استثمار الزكاة فيه ●

افتتاح الاحتفالات بالقرآن الكريم

- أتقدم إليكم طالباً الإجابة عن شرعية بعض الممارسات الدارجة في العالم حالياً، والسؤال: عمَّت احتفالات المؤسسات والشركات الرسمية والأهلية ظاهرة، وهي افتتاح الاحتفالات بآيات من كتاب الله «القرآن الكريم». فنرجو إفادتنا بشرعية هذه الممارسة، شاكرين لكم جهودكم وجزاكم الله خيراً.

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن افتتاح المجالس والحفلات والدروس والندوات بترتيل آيات من القرآن الكريم جائز شرعاً، على ألا يشتمل الاجتماع على ما فيه محظور، مع مراعاة الآداب، وأحكام تلاوة القرآن واستماعه، وقد درج العلماء على افتتاح دروسهم ومجالسهم العلمية والوعظية بالقرآن والبدء في مصنفاتهم بآيات من القرآن ●

حرق جثث بعض الطوائف

- نرسل لكم صورة مذكرة من إحدى السفارات بشأن تسهيل حرق جثث الموتى من مواطنيها المقيمين بدولة الكويت.

أرجو الاطلاع والإفادة عن مدى إمكان تنفيذ هذا الاقتراح من الناحية الشرعية وذلك حتى يتسنى لنا الرد على الجهة الطالبة.

واتصلت اللجنة «هاتفياً» بالمسؤول عن شؤون المقابر وأفاد: كنا نحرق في المقبرة، وتأذى الأهالي من الروائح، ثم نقلنا حرق الموتى إلى مكان حرق الزبالة بعيداً عن الأهالي، وكان بعضهم يأخذ الرماد ويدفنه قرب المحرقة، فخشينا أن تكون هناك مقبرة بجانب المحرقة فمنعنا من ذلك استناداً إلى فتوى شرعية.

- أجابت اللجنة:

إن الله تعالى كرَّم بني آدم وقال: (ولقد كرَّمنا بني آدم) الإسراء:٧٠، وتكريمه بالحفاظ عليه حياً وميتاً والنص عام يشمل كل ميت، والله تعالى يقول في قصة ابني آدم، مشيراً إلى مصير الميت من بني آدم هو الدفن في الأرض: (فبعث الله غُراباً يبحثُ في الأرض ليُريهُ كيفَ يُواري سوءةَ أخيهِ) المائدة:٣١. فكل هذا هو شرع الله منذ أن سكن آدم هذه الأرض، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «كسر عظم الميت ككسره حياً» رواه أبوداود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها، والنهي عن التمثيل بالميت وإهانته عام، والحرق أكبر إهانة للميت من كسر عظمه، لأن كسر عظم الميت تبقى معه الصورة الإنسانية مكرمة ومع الحرق لا يبقى إلا الرماد.

وبناء على ذلك ترى اللجنة أنه لا يجوز حرق جثث الموتى أو تمكين أي فئة من الناس من ممارسة حرق الجثث داخل البلاد لمخالفة ذلك لأحكام الشريعة الإسلامية ●

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة
من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا
ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

مملكة العميان

■ عبدالستار خليف

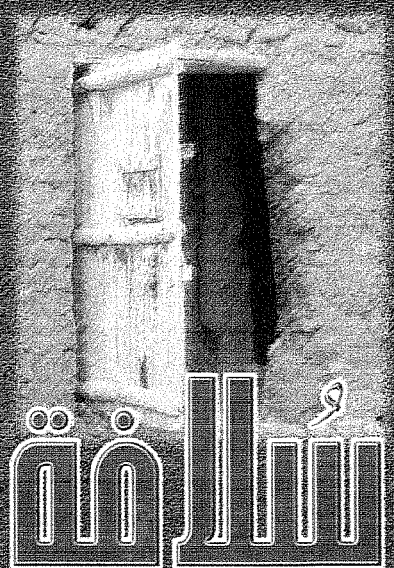

رسالة

من القصص ذات المغزى الانساني العميق، قصة طويلة كنا نتسلى بقراءتها في الزمن البعيد، دون البحث عن أبعادها، عما يدور في «مملكة العميان» وهذا هو عنوانها.

كتبها كاتب إنجليزي لايحضرني اسمه الآن. ليس المهم هو المؤلف أو جنسيته. لكن المهم هو مغزى هذه القصة.

تدور أحداث القصة عن رحالة ضل طريقه في أثناء رحلة استكشافية قام بها مع الرفاق، والقت به الصحراء الشاسعة الى قوم يعيشون بين الجبال في منطقة مجهولة من هذا العالم، مملكة بأكملها تعيش مثل كل البشر والشعوب والاجناس... ولكن الرحالة اكتشف أنهم جميعا بلا أعين، المملكة كلها من العميان!! محاجرهم غائرة يابسة لاتبرق ولا أثر للضوء فيها.

لا أحد فيهم يبصر، حتى الفتاة الجميلة التي التقى بها عندما هام على وجهه وقدمت له المساعدة.. كانت عمياء لا تبصر، وحدثها عن جمالها الرائع الاخاذ الذي لا ينقصه شيء سوى جمال البصر لمشاهدة جمال الكون العظيم.

طرقت هذه الكلمات الغريبة الدخيلة على المملكة، أذنيها، البصر... جمال الكون، المشاهدة، وانتقلت الكلمات الدخيلة من الافواه الى الآذان وانتشرت وعمت ارجاء المملكة.

قبضوا على هذا الغريب القادم من بعيد، وسيق الى الحاكم، فهذه الكلمات لم تدخل قاموس حياتهم الخاصة او العامة، كلمات تتحدث عن العيون والابصار والرؤية والمشاهدة... هذه أشياء جد خطيرة، من اين يحصلون عليها؟! لابد ان هذا القادم الدخيل على المملكة يدعوهم الى شيء خطير للتذمر والتمرد وحصولهم على اشياء لا وجود لها أصلا في مملكة العميان!! فما العمل؟!

قال الحكماء من أهل المشورة والرأي: هذا الشيء الذي يحدثنا عنه الغريب لابد أن نحرمه من حياته، وقالوا له: مادمت تعيش بيننا وفي مملكتنا فلابد وأن تكون مثلنا، تعيش مثلما نعيش، فهذه حياتنا التي اعتدناها وعشناها وأي خروج عليها جد خطير، فلابد أن نفقد هذا البصر الذي سيجلب لنا الكثير من المشكلات ويؤدي الى عدم الرضا وتدمير النظام القائم منذ الازل!.

وامتدت الايادي الكثيرة تتحسس في وجهه عن الشيء الخطير «أي عينيه» حتى انتزعوها منه، وساد الظلام... وتلاشى النور.

تركوه وتنفسوا الصعداء في ارتياح وقالوا: الآن تستطيع العيش معنا في هدوء وأمان في مملكتنا، فلقد أصبحت واحداً منا...

* والقصة لا تحتاج الى تعقيب)

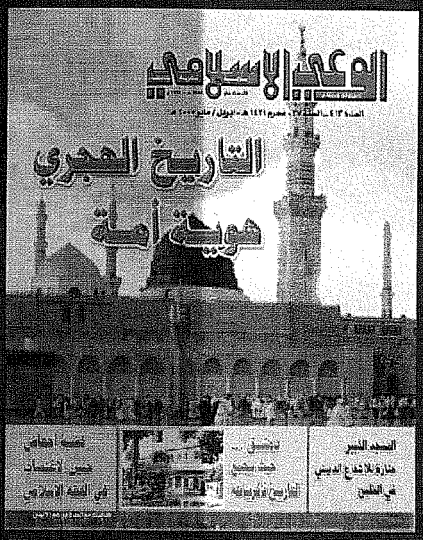

الآن

يمكنكم زيارة

موقع المجلة

على الإنترنت

www.awkaf.net/alwaei

مجلة الثقافة والفكر الإسلامي في ربوع العالم الإسلامي

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami

ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت
هاتف: ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)
فاكس: ٠٠٩٦٥.٥٣٤٨٩٥٤
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

بداعي الإيمان
هدية العدد